وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة لونيسي علي

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه " ل.م.د "

إعداد الباحثة: مويسي حنيفة **إشراف البرفيسورة:** بن فرحات فتيحة

تخصص: أنثروبولوجيا عامة

الهيمنة الأنثوية وتمثلاتها في الواقع الاجتماعي _المجتمع التبسي انموذجا_

اللجنة المناقشة:

الأستـــاذ	الرتبـــة	الصفـــة
د/ معتوق جمال	أستاذ التعليم العالي	رئيســـــا
د/ بن فرحات فتيحة	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
د/ مساك أمينة	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا
د/ درويش الشريف	أ/ محاضر –أ–	عضوا مناقشا
د/ فرحات مليكة	أ/ محاضر –أ–	عضوا مناقشا
د/ بن عاشور سهام	أ/ محاضر –أ–	عضوا مناقشا

السنةالجامعية: 2025/2024

إهداء

إلى روح والدَيّ اللذين فارقا الحياة، فكانا لي في الدنيا ملاذًا في القلب وطنًا، أقدّم هذه الأطروحة هديةً متواضعة لذكراهما العطرة، التي لا تغيب عن وجداني أبدًا. أنتما من غرستما فيّ بذور العلم والأمل، وكنتُ دومًا أرى في عيونكما مرآةً للصدق، والتضحية، والحنان الذي لا يُقدّر بثمن. في غيابكما، تظل ذكراكما شمسًا لا تغرب، وقوةً تدفعني للمضي قدمًا رغم كل الصعاب.

أسأل الله العظيم، أن يرحمكما برحمته الواسعة، وأن يغفر لهما ما تقدم من ذنبهما وما تأخر، وأن يجعل قبريهما روضةً من رياض الجنة. اللهم اجعل منزلتهما في الفردوس الأعلى من الجنة، وألهمني الصبر على فراقهما حتى نلتقي في دار النعيم، حيث لا فراق بعده.

اللهم آمين.

شكر وعرفان

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، أحمده سبحانه وتعالى وأشكره على نعمه التي لا تُحصى، ولله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه. وأصلي وأسلّم على خير خلقه، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي كان لنا نبراساً يُهتدى به في العلم والعمل.

وفي هذا المقام، لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذتي الفاضلة **"بن فرحات فتيحة"**، التي كان لها الأثر البالغ في مسيرتي العلمية، إذ كانت كالشعلة التي أضاءت لي طريق البحث والمعرفة. لم تبخل يوماً بتوجيهاتها السديدة ونصائحها القيمة، وكانت مثالاً يُحتذى به في التفاني والإخلاص. علّمتني أن النجاح في البحث العلمي لا يُدرك إلا بالصبر والاجتهاد وسعة الأفق. أسأل الله العلي العظيم أن يبارك في علمها وجهودها، ويجعل كل ما بذلته في ميزان حسناتها.

كما أتوجه بخالص الامتنان والتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة الكرام، الذين شرفوني بقراءة هذه الأطروحة وتقديم ملاحظاتهم الثرية والبناءة، والتي كان لها بالغ الأثر في تحسين هذا العمل. جزاهم الله عني كل خير وبارك في جهودهم.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أعبّر عن عرفاني العميق وامتناني الصادق لكل من قدم لي الدعم والمساندة طوال هذه الرحلة. أخص بالذكر **"سعيدة خلفاوي"**، التي كانت دائماً حاضرة لدعمي وتحفيزي بكرم لا يُقدّر بثمن، فلها مني كل التقدير والمودة.

وختاماً، أسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يوفقنا جميعاً لما فيه الخير والنفع، وأن يبقى العلم نوراً نستضيء به على دروب الحياة.

فهرس المحتويات

إهداء

شكر وعرفان

الملخص

مقدمة ----------أ

الفصل الأول: الإطار التصوري للدراسة

1. الإشكاليــة ---------- 1
2. فرضيات الدراسة ---------- 6
   1.2. الفرضية العامة ---------- 6
3. أسباب اختيار الموضوع---------- 7
   1.3. الأسباب الذاتية ---------- 7
   2.2. الأسباب الموضوعية ---------- 7
4. أهمية الدراسة ---------- 8
5. أهداف الدراسة ---------- 9
6. مجالات الدراسة ---------- 9
   1.6. المجال المكاني ---------- 10
   2.6. المجال البشري ---------- 11
   3.6. العينة ---------- 12
7. المنهج المستخدم ---------- 12
   1.7. المنهج الأثنوغرافي ---------- 12
   2.7. المنهج التاريخي ---------- 13
8. أدوات جمع المعلومات ---------- 14

.1.8 الملاحظة ---------- 14
.2.8 الملاحظة بالمعايشة ---------- 14
.3.8 المقابلة ---------- 15
.4.8 تحليل المضمون ---------- 16
.5.8 التسجيل الصوتي---------- 17
.6.8 الإخباريون ---------- 17
.9 مفاهيم الدراسة ---------- 18
.1.9 الأنثى ---------- 18
.1.1.9 الأنثى لغة---------- 18
.2.1.9 الأنثى في القاموس النفسي ---------- 19
.3.1.9 الأنثى التقليدية ---------- 19
.4.1.9 الأنثى الحديثة ---------- 19
.2.9 مفهوم الهيمنة---------- 20
.3.9 المفهوم الإجرائي للهيمنة الأنثوية ---------- 20
.4.9 صراع الجنسين ---------- 22
.5.9 العجز الذكوري ---------- 22
.10 الدراسات السابقة ---------- 23
.1.10 الدراسات الأجنبية ---------- 23
.1.1.10 الدراسة الأولى: حق الأم لـ "باخوفن"---------- 23
.2.1.10 الدراسة الثانية: الهيمنة الذكورية لـ "بيار بورديو" ---------- 23
.2.10 الدراسات العربية ---------- 24
.1.2.10 الدراسة الأولى: الانحراف النسوي دوافعه النفسية وعوامله المجتمعية 2010 --------- 24

2.2.10. الدراسة الثانية: العنف ضد الرجال: من طوى هذه القضية ونشر غيرها؟ ---------- 25
3.10. الدراسات الجزائرية ---------- 26
1.3.10. الدراسة الأولى: إجرام المرأة في المجتمع الجزائري العوامل والآثار 2007/2006 ----- 26
2.3.10. الدراسة الثانية: مظاهر سلطة الأب داخل الأسرة الجزائرية 1999/1998 ---------- 27
3.3.10. الدراسة الثالثة: المرأة ومظاهر تغيير النظام الأبوي في الأسرة الجزائرية 2013. ------- 28
4.3.10. الدراسة الرابعة: عنف الزوجة ضد الزوج، أسبابه وأشكاله 2006/2005. ---------- 29
4.10. نقد ومعـالجة---------- 30

الفصل الثاني: قراءة أنثروبولوجية في التمثلات الاجتماعية

تمهيد ---------- 34
1. التطور التاريخي لمفهوم التمثلات الاجتماعية ---------- 35
2. مدخل مفاهيمي للتمثلات الاجتماعية ---------- 42
3. التمثلات الاجتماعية---------- 43
1.3. مفهوم التمثلات الجمعية لإميل دوركايم---------- 43
2.3. دور البناء الاقتصادي في تشكيل التمثلات الاجتماعية وفق كارل ماركس ---------- 43
3.3. رؤية ماكس فيبر لبناء المعنى والتفاعل ---------- 44
4.3. التمثلات الاجتماعية وتشكيل الهوية عند بورديو ---------- 44
5.3. مفهوم التمثلات الاجتماعية كنظام للمعرفة في نظر موسكوفيتشي ---------- 45
6.3. التمثلات الاجتماعية وتنظيم العلاقات الرمزية عند وليم دواز ---------- 45
4. التمثلات العقلية ---------- 46
1.4. رؤية هولستي للصورة الذهنية ---------- 46
2.4. الصورة الذهنية بين التبسيط والتحريف ---------- 46
3.4. التمثل العقلي: رؤية بياجيه وبرونر لنمو المعرفة ---------- 47

4.4. الصورة الذهنية كأساس للتقويم---------- 48
5. أبعاد التمثلات الاجتماعية ---------- 49
6. خصائص التمثلات الاجتماعية ---------- 50
7. وظائف التمثلات الاجتماعية ---------- 51
1.7. الوظيفة المعرفية ---------- 51
2.7. الوظيفة الاجتماعية---------- 52
3.7. الوظيفة التوجيهية---------- 54
4.7. الوظيفة التفسيرية ---------- 54
8. استخدام مفهوم التمثلات في الدراسات الحديثة ---------- 55
1.8. مداخل دراسة التمثلات الاجتماعية ---------- 56
1.1.8. المدخل الأنثروبولوجي ---------- 56
2.1.8. المدخـل الاجتماعــي ---------- 58
3.1.8. المدخل النفســي ---------- 59
9. العوامل المؤثرة في التمثلات الاجتماعية ---------- 61
1.9. المجال الفوري ---------- 61
2.9. المجال الاجتماعي ---------- 61
10. التمثلات الاجتماعية ووظيفة تبرير التمايز الاجتماعي ---------- 62
ملخص الفصل---------- 63

الفصل الثالث: مدخل أنثروبولوجي للهيمنة الأنثوية

تمهيد ---------- 64
1. التطور التاريخي لمفهوم الهيمنة الأنثوية ---------- 65
1.1. العصور القديمة ---------- 65

2.1. العصور الوسطى وأوائل العصر الحديث ---------- 65
3.1. مرحلة الثورات الصناعية والتنوير (القرن 18-19) ---------- 66
4.1. القرن العشرين وبداية الحركات النسوية ---------- 66
5.1. العصر الحديث ---------- 67
2. الهيمنة ---------- 68
3. مفهوم الهيمنة عند أبرز المفكرين ---------- 70
1.3. العنف الرمزي لدى بيير بورديو: أداة خفية لترسيخ الهيمنة الأنثوية ---------- 70
2.3. الهيمنة وفقا لماكس فيبر: القوى الثقافية للهيمنة الأنثوية ---------- 71
3.3. فكر ميشيل فوكو: محايثة الهيمنة الأنثوية ---------- 72
4. الهيمنة السوسيوثقافية ---------- 74
1.4. العلاقة بين الثقافة والهيمنة الأنثوية ---------- 75
5. النظريات المفسرة للهيمنة الأنثوية ---------- 76
1.5. نظرية الانتشار الثقافي ---------- 76
2.5. توظيف نظرية العنف الرمزي لتحليل ترسيخ الهيمنة الأنثوية ---------- 79
3.5. نظرية الضابط الديني للسلوك ---------- 81
1.3.5. تدهور الضابط الديني للسلوك ---------- 82
2.3.5. العلاقة بين الأنثروبولوجيا ونظرية الضابط الديني للسلوك ---------- 82
3.3.5. إسقاط نظرية الضابط الديني للسلوك على الهيمنة الأنثوية ---------- 85
4.5. نظرية الاغتراب النفسي وعلاقتها بالأزمة الرجولية ---------- 86
5.5. نظرية ضبط القوة والتحكم لجون هاجان (Power-Control Theory) ---------- 89
6.5. توظيف التفاعلية الرمزية في تحليل الهيمنة الأنثوية ---------- 91
7.5. نظرية التعلم الاجتماعي ---------- 93

1.7.5. المنظور الأنثربولوجي في نظرية التعلم الاجتماعي---------- 94
2.7.5. كيف تلتقي نظرية التعلم الاجتماعي مع الأنثروبولوجيا؟ ---------- 95
8.5. توظيف نظرية القوة الناعمة في تحليل الهيمنة الأنثوية ---------- 96
6. مظاهر الهيمنة الأنثوية ----------98
1.6. القوة الناعمة ---------- 98
2.6. الصراع بين الجنسين ---------- 98
3.6. التمرد الأنثوي---------- 99
4.6. العنف الرمزي----------100
5.6. السلطة الأنثوية----------100
7. أبعاد الهيمنة الأنثوية ---------- 101
1.7. البعد الثقافي ----------101
2.7. البعد الاجتماعي ----------101
3.7. البعد السياسي----------102
8. المراحل الانتقالية للهيمنة الأنثوية ---------- 102
1.8. مرحلة التهيؤ للهيمنة والتسلط ----------102
2.8. مرحلة رفض الهيمنة الذكورية والنفور من الثقافة التقليدية ----------102
3.8. مرحلة التكيف مع الهيمنة الجديدة----------103
1.3.8. نمط المسايرة للقيم والمعايير السائدة في المجتمع----------103
2.3.8. نمط المغايرة للقيم والمعايير السائدة في المجتمع ----------103
9. الحركات النسوية التحررية ---------- 104
1.9. إجـراءات دوليــة ----------105
2.9. تأثير الحركات النسوية على الأنثى في الوطن العربي ----------106

ملخص الفصل ---------- 107

الفصل الرابع: استراتيجيات التحول الأنثوي وميكانيزمات تجاوز السلطة الذكورية

تمهيد ---------- 108

1. قراءة تاريخية للمجتمع التبسي ---------- 109

1.1. "تيفاست" دراسة انثربولوجية ---------- 109

2.1. البعد الثقافي للمجتمع التبسي ---------- 111

3.1. الأنثى التبسية في الإرث الثقافي القديم ---------- 112

4.1. القائدة التبسية قديما "الكاهنة" ---------- 117

2. استراتيجيات التحول الأنثوي ---------- 119

1.2. استراتيجية التعليم والمشاركة في العمل ---------- 120

1.1.2. تطور المستوى التعليمي للأنثى ---------- 120

2.1.2. الأنثى تنافس الذكر في سوق العمل ---------- 122

2.2. استراتيجية الوعي بالحقوق ---------- 125

1.2.2. دلالات في تأويل تمثلات الإدراك الأنثوي ---------- 125

3.2. استراتيجية الاستقلال والنفوذ المالي ---------- 126

4.2. استراتيجية التحرر والاستقلالية ---------- 129

1.4.2. الحرية المطلقة حق مسترجع في تمثلات الأنثى ---------- 131

2.4.2. حرية الأنثى المطلقة تمرد بالنسبة لتمثلات الذكر ---------- 133

3. ميكانيزمات التحول الأنثوي ---------- 135

1.3. ميكانيزم تجاوز الأنثى للنظرة الدونية ... لا لمقولة "دونية الأنثى" ---------- 135

2.3. الصراع النفسي الأنثوي ---------- 136

3.3. تقدير الذات الأنثوية ---------- 137

4.3. ميكانيزمات الهيمنة الأنثوية في التمظهرات ---------- 138
1.4.3. رمزية تشبه الأنثى بالذكر ---------- 138
2.4.3. الأنثى المسترجلة ---------- 139
3.4.3. ميكانيزم التغيير في سلوكيات الأنثى ---------- 144
4.4.3. ميكانيزم غرس سلطة جديدة ---------- 145
5.4.3. قمع الأنثى للأنثى كآلية للسيطرة ---------- 148
6.4.3. العنف الأنثوي ---------- 150
7.4.3. ميكانيزم العصيان عند الأنثى ---------- 154
5.3. ميكانيزمات تشكل الهيمنة الأنثوية في ظل تأثير الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي ---- 156
1.5.3. دور المؤثرين ---------- 157
2.5.3. تقليد الترندات ---------- 158
ملخص الفصل ---------- 162

الفصل الخامس: انعكاسات التحول الأنثوي على الواقع الاجتماعي

تمهيد ---------- 162
1. التحول الأنثوي وأثره على المجتمع المحافظ ---------- 163
1.1. تدهور القيم وصراع المعايير في ظل التحول الأنثوي ---------- 163
2.1. الأزمة الذكورية: انعكاسات التحول الأنثوي ---------- 165
2. الهوية الذكورية تحت المجهر ---------- 166
1.2. تراجع الهوية الذكورية أمام تقدم الأنثوية ---------- 166
2.2. هيمنة الذكر المتراجعة في مواجهة التحول الأنثوي ---------- 167
3. الصراع بين الجنسين في سياق التحولات ---------- 168
1.3. إثبات الذات الأنثوية كمحرك للصراع بين الجنسين ---------- 168

.2.3 تمثلات الذكر للصراع التنافسي بين الجنسين ----------169
.3.3 عمل الأنثى كتهديد للثقافة الذكورية ----------170
.4 الاستقلالية المالية وتأثيرها على توازن أدوار الجنسين ---------- 171
.1.4 الاستقلالية المالية للأنثى وتحديات الذكر ----------171
.2.4 سيطرة الأنثى على الموارد المالية: تمثلات ذكورية----------173
.3.4 العجز المادي للذكر أمام تطلعات الأنثى ----------174
.5 تحولات السلطة بين الجنسين: القيادة والرقابة---------- 179
.1.5 الذكر تحت سلطة مرؤسته: تحولات السلطة بين الجنسين ----------179
.2.5 الأوامر الأنثوية بعيون الذكر: تحديات التقبل----------182
.3.5 تمثل الذكر لرقابة الأنثى في الحياة اليومية ----------184
.6 العنف الرمزي واختلاف المعايير ---------- 185
.1.6 التنغيص: عنف رمزي تمارسه الأنثى ضد الذكر----------186
.2.6 تعنيف الأنثى للذكر: اختلاف المعايير في ميزان السلطة ----------188
.7 السلطة الأنثوية وتمثلاتها الذكورية---------- 190
.1.7 السلطة الأنثوية من منظور ذكوري ----------190
.2.7 مسايرة الذكر لهيمنة الأنثى في التحولات المجتمعية ----------192
.8 جيل جديد في ظل التحول الأنثوي---------- 194
ملخص الفصل---------- 196

الفصل السادس: تجليات الهيمنة الأنثوية في الموروث الثقافي

تمهيد ---------- 197
.1 الهيمنة الرمزية وعلاقتها بالثقافة الشعبية ---------- 198
.1.1 مفهوم الثقافة الشعبية ودورها في تشكيل الهيمنة الرمزية ----------198

2.1. دلالات الرمز وأبعاده الثقافية ---------- 199
3.1. طبيعة العلاقة بين الثقافة والرمز ---------- 200
4.1. الرمز كجزء من العملية التفاعلية الرمزية ---------- 200
2. السحر كأداة للهيمنة الأنثوية ---------- 202
1.2. السحر: الميكانيزم الأقوى في يد الأنثى ---------- 202
2.2. الطقوس السحرية كآلية خفية لممارسة الهيمنة ---------- 204
3.2. السحر والدور الاجتماعي للأنثى ---------- 209
4.2. السحر كوسيلة للمقاومة وتعزيز السلطة الخفية ---------- 210
3. الهيمنة الأنثوية في الثقافة الشعبية ---------- 211
1.3. الحكاية الشعبية كمرآة للهيمنة الأنثوية ---------- 211
1.1.3. نموذج الحكاية الشعبية: "مغرف الشتاء" ---------- 211
2.1.3. نموذج الحكاية الشعبية: "بقرة اليتامى" ---------- 213
3.1.3. نموذج الحكاية الشعبية: "ذياب الهلايلي" ---------- 214
2.3. الأمثال الشعبية كتمثلات للعنف اللفظي الأنثوي ---------- 220
1.2.3. انعكاسات الهيمنة الأنثوية في الأمثال الشعبية ---------- 221
3.3. الأغنية الشعبية كميكانيزم للهيمنة ---------- 231
1.3.2. تحليل أغنية "حكم النسوان" ---------- 231
2.3.2. تحليل أغنية "أنا مسيطرة، أمشيك مسطرة" ---------- 232
4. التمرد على العادات والتقاليد ---------- 233
1.4. اللباس غير المحتشم كرمز للتحرر ---------- 233
2.4. المقهى الشعبي: من مساحة ذكورية إلى مجال مشترك ---------- 234
3.4. ظاهرة قيادة الأنثى للسيارة: بين القبول والرفض ---------- 234

4.4. الاختلاط في المناسبات الاجتماعية ودلالاته ---------- 235

ملخص الفصل ---------- 236

الفصل السابع: عرض النتائج

1. الاستنتاج الجزئي ---------- 237

1.1. الاستراتيجيات المعرفية للأنثى ---------- 237

2.1. استقلالية الأنثى ودورها الاجتماعي ---------- 238

3.1. ميكانيزم القوة والعنف الأنثوي ---------- 238

4.1. العجز الذكوري وضغط الأدوار التقليدية ---------- 238

5.1. العنف الرمزي والعلاقات بين الجنسين ---------- 239

6.1. مسايرة الهيمنة الانثوية ---------- 239

7.1. تحليل مكانيزمات هوية الجنسين ---------- 240

8.1. التمرد والعصيان الاجتماعي ---------- 240

9.1. الثقافة الشعبية ووسائل الإعلام ---------- 240

2. تحليل نتائج الدراسة على ضوء الفرضيات ---------- 241

3. عرض النتائج العامة ---------- 245

خاتمة ---------- 248

قائمة المراجع والمصادر ---------- 251

الملاحق ---------- 232

دليل المقابلة ---------- 261

الحكاية الشعبية: "بقرة اليتامى" ---------- 266

فهرس الجداول

الجدول رقم 01: أبعاد التمثلات الاجتماعية وإسقاطها على الهيمنة الأنثوية ---------- 49

الجدول رقم 02: خصائص التمثلات الاجتماعية ---------- 50

الجدول رقم 03: نوع الأمثال الشعبية وشكل الهيمنة التي تمثلها---------- 229

فهرس الصور

الصورة رقم 01: صورة فوتوغرافية لتمثال اللبؤة وسط مدينة تبسة ---------- 110

الصورة رقم 02: تانيت برأس لبؤة ---------- 111

الصورة رقم 03: تمثال للملكة ديهيا الكاهنة ---------- 119

الصورة رقم 04: خريطة تازبنت ---------- 119

الصورة رقم 05: صورة فوتوغرافية لأنثى تتشبه بالذكر ---------- 137

فهرس الأشكال

الشكل رقم 01: مخطط توضيحي لنظرية الانتشار الثقافي---------- 76

الشكل رقم 02: مخطط توضيحي لنظرية الضابط الديني للسلوك ---------- 81

الشكل رقم 03: مخطط توضيحي لنظرية ضبط القوة والتحكم ---------- 89

الشكل رقم 04: مخطط توضيحي لنظرية التعلم الاجتماعي ---------- 93

الشكل رقم 05: أوضاع مرحلية للواقع الاجتماعي للأنثى ---------- 104

الشكل رقم 06: الصور الثلاثة للأنثى التبسية ---------- 117

الشكل رقم 07: الاتجاه نحو العنف ---------- 150

الملخص

ملخص الدراسة باللغة العربية

ملخص:

شهد المجتمع المحلي تحولات عميقة وتغيرات على مستوى كل الأنظمة أفرزت ظواهر لم يسبق وأن عرفها المجتمع من قبل، من بينها سلوكيات الهيمنة الأنثوية التي أصبحت تهدد استقرار المجتمع، ونظرا لما لها من تداعيات تمس الجنسين بصفة خاصة والمجتمع ككل بصفة عامة، الأمر الذي ترتب عنه فتح المجال لعدة تمثلات اجتماعية متضاربة، سواء لأسباب الظاهرة أو لتداعياتها. وعليه تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على التمثلات الاجتماعية المسقطة على الأنثى المتسلطة، هذه الأخيرة التي فرضت هيمنتها بقوة وأسهمت بشكل كبير في تحطيم الهيمنة الذكورية وتمردت على النمط التقليدي، وتسعى جاهدة للحصول على المزيد من الحرية والاستقلالية، وتسعي أيضا بكل قوة للتمكين الاقتصادي وتحررها من الشعور بالنقص أو الدونية نتيجة الصورة النمطية التى كان يُنظر لها بها، وعليه تبنت سلوكيات تسلطية متعددة من صراع، تمرد، عنف رمزي، قوة ناعمة، ضد الذكر، جعلته كائنا تابعا وخاضعا لتسلطها وأحيانا يكون مهمشا أمامها.

وانطلاقا من هذه الرؤية نهدف إلى الوقوف على واقع الذكر في ظل الهيمنة الأنثوية من خلال تمثلات الجنسين، والتركيز على استراتيجيات وميكانيزمات فرض الأنثى حضورها وإعلاء صوتها ضمن المكتسِح الذكوري الذي تعيش فيه، حيث تختلف تمثلات وآراء المبحوثين حول هذه الظاهرة في تفسيراتها وتحليلها، وللإلمام أكثر بالموضوع قمنا بدراسة ميدانية اعتمدنا فيها على المنهج الوصفي التحليلي، لما يتضمنه من تقنيات تتلاءم والموضوع المعالج.

الكلمات المفتاحية: الهيمنة الأنثوية، العنف الرمزي، التسلط، القوة الناعمة.

ملخص الدراسة باللغة الفرنسية

Résumé :

La société locale a connu de profondes transformations et changements au niveau de tous les systèmes qui ont produit des phénomènes que la société n'avait jamais connus auparavant, parmi lesquels les comportements de domination féminine qui commencent à menacer la stabilité de la société, et en raison de ses répercussions affectant en particulier les deux sexes et la société dans son ensemble, ce qui a entraîné l'ouverture de plusieurs représentations sociales conflictuelles, que ce soit pour les causes du phénomène ou ses répercussions. En conséquence, cette étude vise à examiner les représentations sociales projetées sur la femme dominatrice, dont cette dernière a fortement imposé sa domination et a grandement contribué à détruire l'hégémonie masculine, s'est rebellée contre le modèle traditionnel et s'efforce d'obtenir plus de liberté et d'indépendance, et s'efforce également avec toute la force pour l'autonomisation économique et l'affranchissement des sentiments d'infériorité à cause du stéréotype dans laquelle elle était perçue et a donc adopté de multiples comportements autoritaires de conflit, l'insurrection, la violence symbolique, la force douce, contre le mâle, le rendait soumis et subordonné à sa domination et parfois marginalisé devant elle.

A partir de cette vision, nous visons à identifier la réalité des hommes sous domination féminine à travers les représentations des deux sexes, et à nous concentrer sur les formes et mécanismes de la femme imposant sa présence et élevant sa voix au sein de l'hégémonie féminine et ses représentations dans la réalité sociale. - Tebessa est un modèle - l'enclave masculine dans laquelle elle vit, tant les représentations et opinions des personnes interrogées diffèrent sur ce phénomène dans ses interprétations et analyses, nous avons mené une étude de terrain dans laquelle nous nous sommes appuyés sur la méthode descriptive et analytique, en raison des techniques qu'elle contient et qui sont compatibles avec le sujet traité.

Mots-clés : domination féminine, violence symbolique, intimidation, pouvoir doux

ملخص الدراسة باللغة الأنجليزية

Abstract:

The community has witnessed profound transformations and systemic changes, leading to the emergence of unprecedented phenomena, including female dominance behaviors that now pose a threat to the stability of society, and because of their gender implications in particular and society in general. This has led to the opening of space for several conflicting social representations, both for the reasons of the phenomenon and its consequences. The aim of this study is therefore to identify the projected social representations of the latter's dominated female, which have vigorously imposed their dominance and contributed significantly to the shattering of male dominance and rebelled against the traditional pattern. and strive for greater freedom and independence, and also strive vigorously for economic empowerment and freedom from a sense of inferiority or inferiority as a result of the stereotype in which they were perceived and therefore adopted multiple authoritarian behaviours of conflict, insurgency, symbolic violence, soft force, against the male, made him subordinate and subordinate to her bullying and sometimes marginalized before her.

Based on this vision, we aim to ascertain the reality of men under female dominance through the representation of the sexes. s presence and voice in the male sweeper in which she lives, the researchers' views on this phenomenon differ in their interpretations and analysis. In order to gain a better understanding of the topic, we undertook a field study in which we relied on the analytical descriptive curriculum for its techniques adapted to the subject's treatment.

Keywords: female dominance, symbolic violence, bullying, soft power


مقدمة

مقدمة

كثيرة هي القضايا التي يفرزها الواقع الإجتماعي للإنسان، وإذا تفحصنا قائمة هذه القضايا لوجدنا أن الهيمنة الاجتماعية تتصدرها، لإرتباطها بصفة الإنسانية منذ بدء التكوين، بإتخاذها أشكالا مختلفة يتفنن الإنسان في ممارستها.

نحاول من خلال هذا البحث الاقتراب من الواقع الاجتماعي وما يدور فيه من تمثلات، ممارسات، تصورات، وعلاقات، وهدفنا في ذلك محاولة فهم وتفسير علاقات الهيمنة والسلطة التي تنمو داخل هذا البناء الاجتماعي وما يترتب عليها من مشكلات وظواهر اجتماعية، وذلك بواسطة استخدام مفهوم التمثلات دون أن ننسى الغاية من الأنثروبولوجيا التي ترمي إلى دراسة الظواهر الناتجة عن الخصوصية الثقافية للعلاقات بين الأفراد والجماعات، ومن أهم علاقات الهيمنة التي ستكون محور دراستنا في هذا البحث هي الهيمنة الأنثوية.

إن الأنثى المهيمنة في المجتمعات العربية تعتبر حديثة النشأة إذا قارناها بنظيرتها الغربية التي ساهمت بشكل كبير في تحديث المجتمعات الأوروبية، لأن الهيمنة الأنثوية بمثابة ظاهرة دخيلة على المجتمع الجزائري وخاصة المجتمع التبسي الذي يعتبر ولحد الساعة مجتمعا محافظا نسبيا، تكون فيه السيادة والريادة للذكر فقط، هذه الظاهرة ولدتها ظروف ومبررات تكاد لا تنسلخ عن قيم ومبادئ المجتمع، كونها تمس العلاقة بين الذكر والأنثى في المجتمع التبسي الذي تطغى عليه فوارق الجنوسة والنوع، وبتعبير أدق ساهمت أيضا الحركات النسوية في عملية تحرر الأنثى بدعوى تحديث المجتمع عن طريق بنودها التى فرضتها من خلال مؤتمراتها كمؤتمر القاهرة السيداو ومؤتمر برلين، وذلك بواسطة الثقافة أو التثاقف، إلا أنهم أغفلوا أن الأنثى تعيش في مجتمعات لها ثقافتها الخاصة أو خصوصيتها الثقافية، فهي تعيش في نسق مفتوح تتأثر بالقيم السائدة في المجتمع وهذه القيم تتوزع عبر مجموعة من الأنساق الاجتماعية التي تتشكل من القيم والعادات والتقاليد وغيرها، وبالتالي فالأنثى هي في تفاعل مستمر مع محيطها مادام هذا الأخير يحتضنها.

وهذه الهيمنة إذا مورست فهي ليست وليدة الحداثة وإنما هي ظاهرة ثقافية، ارتبطت بتمثلات وممارسات ومعتقدات قديمة قدم الإنسان ومتجددة معه وملازمة له، كموروث ثقافي تتناقله الأجيال ويعاد إنتاجه بصوره المختلفة من خلال التنشئة الإجتماعية، التي تكون فضاءا ثقافيا خصبا، يتلقى فيه الإنسان الأفكار والقيم والطقوس، ليشكل شبكات إنسانية تتبلور ضمنها العلاقات الإجتماعية وأنماط السلوك، وكون الأنثى هي من تمارس الهيمنة ضد الذكر فهي هيمنة ناعمة أو خفية وهادئة تختفي وراء مشروعيتها، تتغلغل داخل ذات الذكر وتسبب له عنفا ضمنيا غير مرئي، لتتحول تدريجيا إلى هيمنة صارخة تمارس العنف بكل أنواعه منسلخة من مشروعيتها التقليدية.

وتأسيسا لما ذكرنا سابقا، تحاول الدراسة الراهنة المتعلقة بـ "**الهيمنة الأنثوية وتمثلاتها في الواقع الاجتماعي -المجتمع التبسي انموذجا-**" تشخيص الواقع الفعلي لهذه الظاهرة واستقصاء محتويات التفكير الاجتماعي من تمثلات وتصورات تستخدم فيها كل أساليب الفتك والقوة، وتحقيقا للأهداف المسطرة قسمنا هذا البحث إلى بابين الأول نظري والثاني ميداني ونسبقهما بفصل حول الاقتراب المنهجي للموضوع، بالنسبة للدراسة النظرية نتناول فيها ثلاثة فصول، حاولنا من خلالها الإلمام بكل الجوانب النظرية للبحث ومفاهيمه وهذه الفصول هي:

الفصل الأول: يمثل الإطار التصوري للدراسة، وركزنا فيه على طرح إشكالية الدراسة، وتحديد التساؤلات الفرعية لها وفرضياتها، مبررات اختيار موضوع الدراسة وأهدافها وأهميتها ومجالاتها، فتحديد مفاهيم الدراسة، ثم تطرقنا إلى بعض الدراسات السابقة التي عالجت الموضوع سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، ثم قمنا بتحديد المناهج المستخدمة في الدراسة، فالأدوات ثم فضاءات الدراسة.

الفصل الثاني: تطرقنا إلى مدخل حول التمثلات الاجتماعية وتضمن نشأة وتطور التمثلات الاجتماعية، مدخل مفاهيمي للتمثلات الاجتماعية، المداخل النظرية لدراستها، ميكانيزمات بنائها، أبعادها، خصائصها،

وظائفها، العوامل المؤثرة فيها، دينامية بنائها، طرق تعديلها، كما بينا كيفية استخدام مفهوم التمثلات في الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية، وأخيرا النظريات المفسرة للتمثلات الاجتماعية.

الفصل الثالث: مدخل انثروبولوجي حول الهيمنة الأنثوية، تناول التطور التاريخي لمفهوم الهيمنة الأنثوية، حيث استعرضنا فيه التحولات التي شهدها هذا المفهوم عبر العصور، كما تطرقنا إلى مفهوم الهيمنة عند أبرز المفكرين، مسلطين الضوء على آرائهم المختلفة. وفي سياق التحليل الاجتماعي، ناقشنا الهيمنة السوسيوثقافية ودورها في تشكيل العلاقات بين الجنسين. كما تناولنا النظريات المفسرة للهيمنة الأنثوية التي تفسر أسباب ظهورها وآلياتها. وتم التطرق إلى مظاهر الهيمنة الأنثوية وأبعادها المختلفة، مع التركيز على تأثيرها في المجالين الاجتماعي والثقافي. وانتقلنا بعد ذلك إلى المراحل الانتقالية للهيمنة الأنثوية، التي شملت مرحلة التهيؤ للهيمنة، مرحلة رفض الهيمنة الذكورية والنفور من الثقافة التقليدية، ومرحلة التكيف مع الهيمنة الجديدة التي تضمنت نمطي المسايرة والمغايرة للقيم السائدة. وأخيراً، استعرضنا دور الحركات النسوية التحررية في تعزيز مكانة المرأة ودعمها في مواجهة الهيمنة الذكورية.

الفصل الرابع: وعنونا هذا الفصل باستراتيجيات التحول الأنثوي وميكانيزمات تجاوز السلطة الذكورية وحاولنا إبراز صورة عن البعد الثقافي للمجتمع التبسي والأنثى التبسية في الإرث الثقافي القديم، ثم تطرقنا إلى التغيرات السوسيوثقافية التي مست الأنثى التبسية، بعدها دخلنا في دراسة ميدانية وضحنا فيها دلالات في تأويل الإدراك الأنثوي وكيف تجاوزت الأنثى النظرة الدونية، وصولا إلى تقدير ذاتها، بعد انتصارها على الصراع النفسي الذي فُرض عليها، كما بيّنا تمثلات الجنسين للاستقلالية الذاتية والحرية المطلقة، تناولنا بإسهاب تمثلات الهيمنة الأنثوية في التمظهرات، إضافة إلى التنشئة الاجتماعية ودورها في غرس سلطة جديدة، دون أن ننسى تأثير الاعلام ووسائل التواصل الاجتماعي على الأنثى.

الفصل الخامس: تعرضنا فيه إلى دراسة انعكاسات التحول الأنثوي على الواقع الاجتماعي، حيث تمت مناقشة تدهور القيم وصراع المعايير الناتج عن هذه التحولات، مع التركيز على الأزمة الذكورية بوصفها

انعكاساً مباشرًا لتقدم الهيمنة الأنثوية. كما تم تسليط الضوء على الهوية الذكورية، من خلال تحليل تراجع الهوية الذكورية أمام تقدم الأنثوية وهيمنة الذكر المتراجعة في مواجهة التحول الأنثوي. ثم انتقلنا إلى دراسة الصراع بين الجنسين في سياق التحولات، حيث برز إثبات الذات الأنثوية كمحرك للصراع التنافسي بين الجنسين وتمثلات الذكر لهذا الصراع، بالإضافة إلى دور عمل الأنثى كتهديد للثقافة الذكورية .كما تم التطرق إلى الاستقلالية المالية وتأثيرها على توازن أدوار الجنسين.

فيما يخص تحولات السلطة بين الجنسين، ناقشنا تمثلات الذكر للأوامر الأنثوية ولرقابة الأنثى في الحياة اليومية .كما استعرضنا العنف الرمزي واختلاف المعايير، من خلال ظواهر مثل التنغيص بوصفه عنفًا رمزيًا.

وأخيراً، تم تسليط الضوء على السلطة الأنثوية وتمثلاتها الذكورية، حيث تناولنا السلطة الأنثوية من منظور ذكوري ومسايرة الذكر لهيمنة الأنثى في ظل التحولات المجتمعية. اختُتمت الدراسة بتحليل أثر هذه التحولات على جيل جديد في ظل التحول الأنثوي، لتوضيح التغيرات العميقة التي طرأت على البنية الأسرية والمجتمعية.

الفصل السادس: حاولنا من خلاله دراسة الهيمنة الرمزية وعلاقتها بالثقافة الشعبية، حيث تم التركيز على دور السحر كأداة للهيمنة الأنثوية، باعتباره إحدى الآليات القوية في يد الأنثى، كما تم استعراض الهيمنة الأنثوية في الثقافة الشعبية، حيث عُرضت الحكاية الشعبية كمرآة للهيمنة الأنثوية، والأمثال الشعبية كتمثلات للعنف اللفظي الأنثوي، مع تسليط الضوء على انعكاسات الهيمنة الأنثوية في الأمثال الشعبية ودورها في تشكيل الصور النمطية. بالإضافة إلى ذلك، تمت دراسة الأغنية الشعبية كميكانيزم للهيمنة، التي تُعبّر عن الصراع بين الجنسين من منظور ثقافي. واختُتم النقاش بتحليل التمرد على العادات والتقاليد، الذي يُظهر كيف تسعى المرأة إلى كسر القواعد التقليدية وإعادة صياغة الأدوار الاجتماعية بما يتماشى مع تطلعاتها.

الفصل السابع: تناولنا فيه نتائج الدراسة وتحليلها وتفسيرها على ضوء الخلفية النظرية التي انطلاقنا منها مع اعتمدنا على الدراسة الميدانية التي تم تحليلها وتفسيرها بعد إسقاطها على النظريات المتبعة في هذا البحث.

الفصل الأول

الإطار التصوري للدراسة

1. الإشكاليـــــة

تركّز دراستنا على تحليل التغيرات التي طرأت على تمثلات المجتمع لسلوكيات الأنثى، وذلك في ضوء التحولات السوسيوثقافية التي مست أدوار الجنسين، من خلال الربط بين عالم الأفكار، وعالم الأشخاص، وعالم الأشياء. فالأنثى المعاصرة، باعتبارها فاعلاً اجتماعياً، أعادت تشكيل موقعها الرمزي والاجتماعي بما يعكس منظومتها الفكرية وخصوصيتها الثقافية، كما أظهرت قدرة متزايدة على التكيف مع متغيرات السياق الجديد، متجاوزة بذلك العديد من القيود البنيوية التي كانت مفروضة عليها ضمن النظام الأبوي التقليدي.

وفي هذا السياق، تُستند هذه الدراسة إلى ما توصلت إليه الدراسات السابقة التي تناولت مفهومي "الذكورة" و"الأنوثة"، وسعت إلى رصد السمات المرغوبة اجتماعياً لكل من الذكر والأنثى. وقد بيّنت هذه الدراسات أن سمة الهيمنة تُعدّ مرغوبة اجتماعياً لدى الذكر، في حين تُعتبر من السمات غير المألوفة أو النادرة في سلوك الأنثى، وذلك انسجاماً مع الصورة النمطية الراسخة في الثقافة والتمثلات الاجتماعية. وتبدو هذه الصورة شبه ثابتة، بفعل كون الثقافة ذات طابع تراكمي، أنتجها العقل الجمعي للإنسان من خلال تفاعله مع الآخرين لتلبية احتياجاته الأساسية. ويؤكد المفكر مالك بن نبي أن لكل مجتمع نسقه الثقافي الخاص، بغضّ النظر عن درجة تطوره، وهذا النسق الثقافي يتشكل من خلال التفاعل الاجتماعي المشترك، الذي تحركه دوافع مادية ومعنوية، ويتجسد في ثلاثة عوالم متداخلة: عالم الأشياء، عالم الأشخاص، وعالم الأفكار. ومن هذا المنظور، تسعى هذه الدراسة إلى مقاربة التفاعل بين هذه العوالم، من خلال تحليل سلوكيات الأنثى، وتمثلات المجتمع لهذه السلوكيات في ضوء التغيرات الطارئة.

لقد أصبحت الأنثى، كجزء لا يتجزأ من البنية الاجتماعية، أكثر قدرة على الاستجابة للتحولات السوسيوثقافية المتسارعة، ما ساهم في إعادة تشكيل وضعها الاجتماعي داخل النسق المجتمعي. إلا أن هذه التغيرات لا يمكن فهمها دون العودة إلى مرتكزات النظام الأبوي، الذي طالما احتكر السلطة الرمزية والاجتماعية عبر شبكة من

المؤسسات والقيم والمعتقدات، عملت على إعادة إنتاج تراتبية حادة في مواقع الجنسين، تعلي من شأن الذكر وتحد من فرص الأنثى، وتربط مكانتها بمجموعة من المعتقدات والعادات والتقاليد التي لا تكتفي بضبط سلوكها، بل أحياناً بمعاقبتها عند تجاوز الحدود المرسومة لها.

لكن الأنثى اليوم، وعلى رغم القيود سالفة الذكر، فهي تُحرز تقدماً في كل المجالات، هذا التقدم جعلها تغير من سلوكياتها وطباعها وتصرفاتها، فاستخدمت حيلا وإستراتيجيات ووسائل هروب من الواقع أتاحت لها التمرد والخروج عن صمتها والتحرر من سطوة الرقابة الاجتماعية، فالتمرد أصبح بالنسبة لها تحديا فهو في مخيلتها يتمثل في مواجهة التحديات بحدة وفعالية على وضعية اجتماعية معينة ترفضها، ولا تلجأ إلى تجميل القبح أو الهروب منه لأنها أصبحت تثق في نفسها فلم تعد تبالي بما ليس جميلا فيها، ولا تخاف من القضايا الساخنة أو الحرجة، إنما تلج إلى أعماق الطابوهات المسكوت عنها وتتحدث فيها بكل جرأة.

لأن البحث عن الهوية ومدى تحقيق الذات الأنثوية محكوم بمفهوم تحرير الأنثى، فحرية الأنثى مقبولة عندما تلتزم بالقيم والضوابط الشرعية، لكن عندما تتجاوز هذه الحرية إلى التمرد غير المنطقي والتسلط والسيطرة بل الهيمنة بكل ميكانزماتها التى تتمثل في خلق رؤية استراتيجية للآخر، الذي أصبحت تتمثله تابعا لها أو في بعض الأحيان تتمثله ملكا لها، وتعيين توجيهاته وتحديد مصيره، فتكون مهمة الأنثى الجديدة هي تنسيق العلاقات القائمة بين هوية الذكر من جهة، وبين الرؤية الاستراتيجية لمساره من جهة أخرى، والبحث عن كيفية تحقيقها، وهوية الذكر ليست انعكاساً للواقع، إنما هي بناء أو إنتاج تعمل الأنثى على إنشائه بواسطة التنشئة الاجتماعية، أما الرؤية فيتم تصميمها من خلال التمثلات التى هي في حقيقة الأمر ثقافة جديدة صنعتها الأنثى لبناء واقعها الجديد، وجرفتها أيضا سيول الثقافة الوافدة من الغرب ومكنتها من استيعاب العناصر الثقافية الجديدة، لأن تمثلات الحداثة الغربية انتقلت بما تحمله من أفكار اجتماعية عن الأنثى الأوروبية المتحررة إلى الأنثى في المجتمعات العربية، وكنتيجة أخذها بتمثلات الحداثة الغربية للخروج من الأزمات الاجتماعية والثقافية

التي خلفتها ثقافة المجتمع التقليدية ولتنتقل من الطابع التقليدي إلى الطابع الحداثي للمجتمعات الغربية بما تحمله نواة هذه التمثلات من قيم تقوم على النقيض تماما مع القيم داخل الفكر العربي، فصارت كلتا القيم هدفا منشودا وسبيلا لاختيار الوسائل اللازمة لتحقيق الأهداف الاجتماعية أو الاقتصادية أو الثقافية، وهو ما أنتج ظاهرة اجتماعية صارت تهدد العناصر الثقافية التي تقيم عليها الأنثى هويتها الثقافية، وجسدت هذه الظاهرة حالة الإزدواجية في الفكر والسلوك وظهور أفكار متباينة ومتصارعة فيما بينها حول مفاهيم الثقافة الحداثية بالغرب وخصوصية الثقافية التقليدية، مما نتج عنه صراع أو تباين كبير بين الجنسين، لينعكس هذا الصراع بينهم على كافة مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية، مما يزيد من الظاهرة محل الدراسة ويخلق سلسلة من الأزمات التي يعاني منها الجنسين.

فقد أصبح كلا الجنسين عاجزا عن الوصل بين عناصر ثقافته بما تحويه من أبعاد معيارية ووظيفية وبين متغيرات الواقع الاجتماعي والثقافي الذي صار يُفرض عن طريق ظهور ممارسات وتمثلات جديدة، ليس فقط تغييرا في عناصر النظام الاجتماعي لثقافة الجنسين وإنما صارت كل الثقافة العربية مهددة بالزوال لتحل محلها عناصر الثقافة الدخيلة، ونتيجة تزايد ضغط هذه العناصر الجديدة مع من يتجهون نحو إرسائها باعتبارها رمزا للتقدم ومن يقاومون الجمود بالتغيير، فهذا يتطلب وقفة طويلة النظر للأنثى وإلى كيفية خلخلتها لميراث الثقافة الموروثة في المجتمع، واستنادا إلى أن ميراث الثقافة الشعبية هو ميراث تراكم عبر زمن طويل وتعايش فيه الأيديولوجي والأسطوري والأنثروبولوجي، وأن خلخلة هذا الميراث القارة كانت ومازلت من مرامي الحركات التحررية النسوية، فهي تحرضها على مواجهة المجتمع "ومعاداة" قواعده و"الإخفاق" في التوافق مع معاييره السائدة، هذا التغير جعلها تُخلّ بالمعايير والنظم حتى ملامحها الأنثوية أصبحت تتصف بهجومية ناشطة واستعداد للمخاطرة والتجرؤ على القيم مما نتج عنه صراع ثقافي بين الجنسين.

وهكذا وصل الصراع الثقافي إلى الأسرة التي صارت تجمع بين المتناقضات الموجودة في المشهد الثقافي المجتمعي لتنقله بقصد أو دون قصد إلى الأجيال الجديدة، الأمر الذي أحدث مجموعة من التغيرات في القيم والمواقف والتمثلات عند الأجيال الجديدة عموما والأنثى خصوصا، تعكس النظرة العامة لهذه الفئة تجاه المجتمع وما يعيشونه من أوضاع، إذ أصبحنا نلاحظ إزدواجية ثقافية في مفاهيمهم عن الواقع تجسدها الإزدواجية في السلوكيات والتمثلات التي يحملونها والتي تعد خليطا غير واضح المعالم بين عناصر الثقافة الغربية وأخرى ثقافة عربية، إضافة إلى غياب معنى واضح عن ذواتهم وما يطمحون إليه والإحساس بالعجز الثقافي في مقابل ثقافة الآخر، ويحدث هذا كله في ظل غياب الوازع الديني، وابتعاد مؤسسات التنشئة الاجتماعية عن أداء دورها الحقيقي في الرعاية والتوعية بالتغيرات الاجتماعية والثقافية الحاصلة، وتشجيعهم ليكون لهم دور إيجابي في هذا التغير بدل التسلط والسيطرة والأنانية والتمرد والفردانية والإنسحابية التي تظهر عليهم، خاصة الأنثى التي ذاع بين أوساطها كافة مظاهر الهيمنة والتسلط، خاصة اليوم ومع التسارع الكبير وبشكل خلق إرباكا واضحا في كافة الثقافات بالعالم دون استثناء منذ أن اتجهت الثقافة بالغرب إتجاها ماديا صارت فيه لبعض القيم صفة العالمية وأصبح لها اعتبارات معيارية ووظيفية داخل الفكر الإنساني وهي قيم **المادة والهيمنة.**

وبالرجوع إلى المجتمع التبسي فهو بدوره مسته الهيمنة التي لم تعد محصورة في دائرة سلوك الذكر أو من خصوصيته، إذ بدأت تتشكل على هيئة ثقافة أنوثة تحمل في داخلها معتقدات، طقوس، عادات، وتقاليد جديدة وغيرها، وقد بدت ملامح هذه الهيمنة الأنثوية الدخيلة بالظهور منذ انطلاقة دعوات تحرير المرأة والتي مهدت الطريق لثقافة التمرد، التسلط، الاسترجال والسيطرة، بينما تراجعت مجموعة أخرى من القيم الروحية ولم يعد لها داخل المجتمع التبسي سوى وجود بنائي إن لم تغب بالمطلق، ففقد كلا الجنسين إنسانيته في عالم الأشياء وتزايدت الأزمات النفسية والاجتماعية للإنسان المعاصر والتي تعد الأزمة الذكورية أحد تجلياتها، فالذكر اليوم يعيش أزمة تحاصر حياته الاجتماعية المعاصرة.

والأنثى التبسية كغيرها تعيش مجموعة من التحولات نتيجة المرحلة الانتقالية للمجتمع الجزائري تتضمن تداخلا بين التقليدي والحداثي على صعيد العلاقات الاجتماعية وطرق العيش وأساليب التفكير وأنماط السلوك، هي الأخرى أصبحت تستطيع الابتعاد عن القيم والمعايير المألوفة وأن تُخطئ دون التعرض للمحاسبة والعقاب ودون الشعور بالذنب أو بالمخاطرة، ومن هذا المنظور ترتسم مؤشرات هيمنة الأنثى التبسية من تسلط، عنف رمزي، سيطرة، تأثير... الخ، حيث تعتبر هذه المؤشرات محيطاً حاضناً لإنحيازهم عن المألوف، وشرط من شروط السيطرة على الآخرين، وهنا يبرز الوجه الأنثوي الأمومي، ويبدو التسلط من هذا المنظور خرقاً للدور الأمومي وتفعيلاً له في مجال الصراع الأسري.

إن تمثلات المبحوثين للهيمنة الأنثوية، تمس عدة جوانب، وفي بحثنا هذا شغل العنف الرمزي الممارس من طرف الأنثى ضد الآخر أكثر اهتمامنا، ذلك لما له من مكانة جلية الوضوح في المجتمع بصفة عامة، والعلاقات الاجتماعية بصفة خاصة، وبصفة أكثر في خصوصية العلاقات الاجتماعية بين الجنسين إذ تعتبر خطوة مهمة تتسم بغزارة وثراء التمثلات ناسجة بذلك خيوطها من عمق المجتمع وثقافته، فسلوكيات العنف الرمزي لم تعد حكرا على الذكر فقط، وهذا ما استكشفناه من خلال مقابلات المبحوثين في المجتمع التبسي لما يحملون من تمثلات حول علاقات الهيمنة بين الجنسين، كما يقول بيير بورديو: "النظام الاجتماعي يشتغل باعتباره آلة رمزية هائلة تصبو إلى المصادقة على الهيمنة التي يتأسس عليها النظام"، مما يدعونا إلى البحث عن علاقة الثنائي في وضعية معينة لفتت انتباهنا من خلال الواقع المعاش، حينما تأخذ الأنثى المركز المهيمِن في محاولة لقلب موازين الهيمنة، ولفهم كيفية استقبال المبحوثين لهذا التناقض بين الثقافة المجتمعية التقليدية من ناحية، والعنف الرمزي والسيطرة الأنثوية من ناحية أخرى، يتطلب البحث في هذا الموضوع التطرق للتمثلات في مختلف أشكالها ولدى الطرفين معا، وهو ما يجعلنا نطرح الإشكالية التالية:

- كيف ساهم التغير السوسيوثقافي في بروز سلوكيات الهيمنة الأنثوية؟ وماهي تمثلاتها وانعكاساتها على الواقع الاجتماعي للمجتمع المحلي التبسي؟

ومن خلال هذه الإشكالية استوجب علينا طرح التساؤلات التالية:

1- كيف تجاوزت الأنثى السلطة الذكورية والنظرة الدونية؟ وما هي التمثلات الجديدة التي تحملها الأنثى عن نفسها؟ وما المحددات التي تحكم رؤيتها وفهمها لعالمها الجديد في ضوء علاقتها بالحياة الاجتماعية؟

2- ماهي تمثلات العنف الرمزي الذي تمارسه الأنثى ضد الذكر؟ وكيف تجلى الصراع الاجتماعي بين الجنسين؟ وما هي مآلاته؟

3- كيف جسدت الجذور التاريخية نماذج الأنثى التسلطية في الخفاء؟ وماهي تجلياتها في الموروث الثقافي من سحر وأمثال وحكايات شعبية حول السيطرة الأنثوية؟

2. فرضيات الدراسة

1.2. الفرضية العامة

ساهم التغير السوسيوثقافي في بروز سلوكيات الهيمنة الأنثوية، وكانت لهذه السلوكيات مجموعة تمثلات وانعكاسات على الواقع الاجتماعي للمجتمع المحلي التبسي.

الفرضية الأولى: تجاوز الأنثى للسلطة الذكورية والنظرة الدونية عبر استراتيجيات وميكانيزمات مختلفة مما أسهم في ظهور هوية جديدة للأنثى.

الفرضية الثانية: العنف الرمزي الذي تمارسه الأنثى ضد الذكر كمؤشر على الهيمنة الأنثوية والصراع بين الجنسين.

الفرضية الثالثة: يبيّن الموروث الثقافي صورة الأنثى المتسلطة في السحر والحكايات الشعبية.

3. أسباب اختيار الموضوع

1.3. الأسباب الذاتية

- الرغبة الشخصية في التعرف على تمثلات الجنسين للهيمنة الأنثوية.
- ما نلاحظه من واقع مخرجات التنشئة الاجتماعية من شباب عاجز عن الحزم واتخاذ قراراته إن كان عاملا، وغير قادر على تحمل المسؤولية وصنع مستقبله إن كان عاطلا.
- الواقع الذي لاحظناه من مظاهر تعنت وتمرد للأنثى على القيم الاجتماعية كتغير نمط اللباس، وغياب روح المسؤولية بالنسبة للذكر.
- ما لمسناه من صورة نمطية سلبية لدى الأنثى عن ذاتها القديمة وعن ثقافتها الأصلية مقابل تمثل ثقافة الغرب.
- غيرتنا على القيم الاجتماعية وثقافتنا الإسلامية، التي كانت منبعاً للتنشئة وأساساً للأسرة، تجعلنا نتساءل بمرارة عما أصابها من تراجع في ظل التحولات الراهنة.
- معرفة أسباب تزايد التمرد الأنثوي ومظاهر العنف الرمزي ضد الذكر والتمركز حول الذات الأنثوية.

2.2. الأسباب الموضوعية

- موضوع الهيمنة من الموضوعات الحديثة التي لاقت عناية واسعة من المفكرين كاستجابة للمعاناة والاستلاب الذي يعانيه الإنسان في المجتمعات المعاصرة.
- على الرغم من اهتمام الدراسات بالجزائر بظاهرة الهيمنة غير أنها عالجت الظاهرة من جانبها الاقتصادي دون جانبها الثقافي والاجتماعي والأنثروبولوجي، ما جعلنا نفكر في دراسة هذه الظاهرة في دلالتها الثقافية والأنثروبولوجية لإثراء المعرفة العلمية.

- حداثة مفهوم التمثلات الاجتماعية والذي لا يزال ميدانا خصبا للدراسة الأكاديمية بالجزائر، وهو ما استدعانا للوقوف عنده لزيادة التعريف به.

- دراسة محتويات التفكير الاجتماعي عند الجنسين بخصوص الهيمنة الأنثوية من حيث ميكانيزماتها واستراتيجياتها وكيفية تشكلها، كون الأنثى تمثل نصف المجتمع ولها القدرة على التأثير في الذكر وكذلك التأثير في التنشئة الاجتماعية.

- دراسة العنف الرمزي الممارس من طرف الأنثى ضد الذكر من الناحية الأنثروبولوجية بربطه بالأبعاد الإنسانية للمجتمع والمتعلقة بالعادات والتقاليد والقيم والدين وأبعاد أخرى ثقافية وإجتماعية ضمن البناء الإجتماعي.

4. أهمية الدراسة

تتضح أهمية الدراسة الحالية من أهمية المتغيرات التي تعمل على دراستها وكذا أهمية كل من الفئة المعنية بالدراسة وعينة البحث، فالتمثلات الاجتماعية مبحث هام يجمع بين جملة من العلوم إضافة إلى الدور الذي تلعبه في كشف حقائق المجتمع وأفكاره المشتركة وترجمة قيمه ومعارفه ومدى وعيه، خاصة وأن الدراسة تتعلق بعينة من الثنائية (ذكر/أنثى)، كما أن سلوكيات الهيمنة الأنثوية بما تشير له من سيطرة وتسلط وتمرد أنثوي تعد من أخطر السلوكيات المعاصرة للمجتمعات العربية الإسلامية، حيث تستهدف أهم عنصر في المجتمع وهو الأنثى التي تعتبر نصف المجتمع لتجعلها في حالة من التمرد والعصيان، لذلك يستمد موضوع الدراسة أهميته من خلال متغيراته كما أشرنا، والمتمثلة في الذكر والأنثى اللذان يمثلان أساس البناء الاجتماعي واختلال العلاقة بينهما يؤدي إلى اختلال المجتمع.

أما الهيمنة الممارسة من طرف الأنثى ضد الذكر فهي نوع جديد من السيطرة يمارس بصورة خفية قد يجهلها الطرفان أحيانا، وبذلك تكمن أهمية الدراسة في غموضه وتأثيره اللامباشر، والذي يظهر في الضرر المعنوي الذي يهدد إستقرار وتوازن المجتمع.

كما تكمن أهمية الدراسة في الكشف عن المسار المرحلي لوضع الأنثى داخل المجتمع عبر التاريخ من خلال تغير مكانتها الإجتماعية ودورها.

من خلال الملاحظة والمشاركة في العلاقات الاجتماعية مع الفاعلين في المجال الاجتماعي، لاحظنا أن بعض الإناث يتصرفن كما لو أن الذكر ملك لهن، ويتعاملن معه على أساس أنهن يتمتعن بنفس مكانته. كما لاحظنا أن تصرفات وسلوكيات الذكور تشير إلى أنهم يتعرضون لضغوط من قبل الإناث. هذا ما دفع الباحثة إلى إدراك وجود مشكلة، خاصة وأن هذه السلوكيات متكررة في الواقع مع العديد من الذكور، مما قادنا إلى: محاولة معرفة العلاقة بين الثنائية (ذكر/أنثى)، ومحاولة الإطلاع على كل الجوانب التي تمد الأنثى بالقوة، وذلك محاولة للكشف عن العوامل والظروف التي تزيد من قوة الأنثى في مجالها الاجتماعي وأثرها وقوتها داخل المجتمع التبسي وكيف تتشكل هيمنتها على الذكر.

5. أهداف الدراسة

الهدف من هذه الدراسة هو فهم تمثلات الأنثى والذكر في المخيال المجتمعي وكيفية بروز ميكانيزمات الهيمنة الأنثوية، حيث تسعى الدراسة إلى:

- تحليل تمثلات الأنثى والذكر في المخيال المجتمعي لفهم ميكانيزمات الهيمنة الأنثوية، وكيفية رؤية الأنثى لذاتِها وموقعها الجديد في المجتمع.
- دراسة تمثلات العنف الرمزي الذي تمارسه الأنثى ضد الذكر وكيفية تجلي الصراع الاجتماعي بين الجنسين، وكذلك مآلات هذا الصراع.

- استكشاف دور التغير السوسيوثقافي في بروز سلوكيات الهيمنة الأنثوية، ومدى تأثيرها على الواقع الاجتماعي في المجتمع المحلي التبسي.
- دراسة تجاوز الأنثى للسلطة الذكورية والنظرة الدونية، وكيفية تشكيل تمثلات جديدة عن نفسها وفقًا لعلاقتها بالحياة الاجتماعية.
- تحليل الجذور التاريخية للأنثى التسلطية في الموروث الثقافي من سحر وأمثال وحكايات شعبية.

6. مجالات الدراسة

1.6. المجال المكاني

في هذه الدراسة، تم تحديد المجال المكاني في مدينة تبسة، الواقعة في شمال شرق الجزائر، والتي تشكل جزءًا من منطقة الأوراس، وتتمتع بموقع استراتيجي قرب الحدود التونسية. تبسة تعتبر مدينة ذات طابع مختلط يجمع بين المناطق الحضرية والريفية، مما يوفر بيئة مثالية لدراسة الهيمنة الأنثوية في سياقات اجتماعية وثقافية متنوعة، إذا أن المدينة تتميز بتنوع ثقافي واجتماعي كبير نتيجة للموقع الجغرافي الذي يجعلها نقطة تلاقٍ بين الثقافات الجزائرية والتونسية، وهذا التنوع ينعكس في الأدوار الاجتماعية للنساء في تبسة، حيث تتباين هذه الأدوار بين البيئة الحضرية التي تشهد تطورًا أكبر في التعليم والعمل، والبيئة الريفية التي لا تزال تلعب فيها الأنثى دورًا محوريًا في إدارة شؤون الأسرة والمشاركة في الأنشطة الزراعية. كما تعد تبسة أيضًا مدينة ذات واقع اقتصادي خاص، حيث تواجه تحديات مرتبطة بالبطالة والفقر، وهو ما يساهم في زيادة فاعلية دور الأنثى في سوق العمل، خاصة في القطاعات التعليمية والصناعية والخدماتية. وبالإضافة إلى ذلك، تشهد المدينة تطورًا في مجال التعليم، مما يعزز من مكانة الأنثى ويوفر لها فرصًا أكبر للمشاركة في الحياة العامة، وبالتالي تأثيرا أكبر على بنية المجتمع المحلي.

بناءً على هذه الخصائص، تعتبر تبسة مجالًا غنيًا لدراسة الهيمنة الأنثوية، مما يتيح فحص تأثير الأبعاد الثقافية، الاجتماعية، والاقتصادية على مكانة الأنثى وأدوارها في المجتمع المحلي.

2.6. المجال البشري

المجتمع البشري في مدينة تبسة يتميز بتنوعه الاجتماعي والثقافي، ويعكس مزيجًا من التأثيرات التاريخية والجغرافية والاقتصادية التي شكلت هويته على مر العصور، موقعه أيضا جعله نقطة تلاقٍ بين الثقافات الجزائرية والتونسية، مما يساهم في التنوع الاجتماعي واللغوي في المدينة.

يتكون المجتمع البشري التبسي من مزيج من السكان الحضريين والريفيين. تتنوع التركيبة السكانية في المدينة بين الشباب والبالغين وكبار السن، ويظهر ذلك في نسبة السكان المتواجدين في المناطق الحضرية مقارنة بالمناطق الريفية، إذ تشهد المدينة نموًا سكانيًا ملحوظًا، وقد يكون ذلك بسبب عوامل الهجرة الداخلية من القرى والمناطق المجاورة بحثًا عن فرص عمل وتعليم.

يتميز المجتمع البشري التبسي بتأثره العميق بالعادات والتقاليد المحلية، التي تتداخل مع التأثيرات الثقافية الإسلامية والعربية، فضلًا عن التأثيرات التونسية بسبب القرب الجغرافي. لهذا، تُعتبر تبسة مدينة تتمتع بتنوع في الأعراف الاجتماعية مثل الزواج، والاحتفالات، وأدوار النساء في الأسرة والمجتمع. وفي الوقت نفسه، تتمتع المدينة أيضًا بمرونة اجتماعية تسمح بتقبل بعض التغيرات الثقافية الحديثة مثل التعليم والصحافة ووسائل الاتصال، ونخص بالذكر التطور في مجال التعليم، مما أسهم في رفع مستوى الوعي الاجتماعي وتطوير مكانة الأنثى بالرغم من بعض العوائق التقليدية، إلا أن الأنثى في تبسة أصبح لها حضور أكبر في المجالات الأكاديمية والمهنية.

3.6. العينة

تعتبر العينة بمثابة المجتمع المصغر من المجتمع الكلي موضوع الدراسة، وتعرف "العينة بأنها مجتمع الدراسة الذي تجمع منه البيانات الميدانية، وهي جزء أو نسبة معينة من أفراد المجتمع الأصلي[1].

كما أن حجم العينة يرتبط ارتباطا وثيقا بموضوع البحث، أي الإشكالية والهدف المتوخى منه، وكذلك يرتبط بكيفية جمع البيانات وتوفر أفراد مجتمع الدراسة الذين لديهم معلومات، وتعتمد دراسة المقابلة على اختيار أشخاص يسهل الوصول إليهم[2].

لذلك كان اختيارنا للعينة **القصدية** (العمدية): إذ يقوم الباحث باختيار مفرداتها بطريقة تحكمية لا مجال فيها للصدفة، بل يقوم هو شخصيا باختيار مفرداتها الممثلة أكثر من غيرها لما يبحث عنه من معلومات وبيانات، وهذا لإدراكه المسبق ومعرفته الجيدة لمجتمع البحث ولعناصره المهمة التي تمثله تمثيلا صحيحا.

حيث تتكون العينة من فئة الجنسين ذكور/إناث من ولاية تبسة، ويبلغ عددهم حوالي 40 شخصا بين إناث وذكور، وقد حُدد المجال البشري لهذا البحث من الإناث والذكور لمعرفة طبيعة تمثلات كلا الجنسين لتسلط الأنثى بينهم، وهل يوجد تسلط وصراع وعنف من الأنثى ضد الذكر، فضلا عما يلاحظونه من أقربائهم وجيرانهم وأصدقائهم حول الموضوع نفسه. وقد أختيرت أعمارهم ما بين عمر 25 إلى 50 سنة.

7. المنهج المستخدم

1.7. المنهج الاثنوغرافي

وهو "مجمل المناهج التجريبية أو الطرائق التي بواسطتها يقيم الأثنوغرافي حالة البحث الميداني والعلاقات ذات المردود العلمي الأكثر بينه وبين ميدانه[3]".

---

[1] زرواتي رشيد، تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم االاجتماعية، ط1، 2002، ص 191.

[2] سعيد التل، مناهج البحث العلمي "طرق البحث النوعي"، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 2، 2007، ص 72.

[3] أنتوني غيدنز، علم الإجتماع، تر: فايز الصياغ، مجد الميسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 4، ص 200.

اعتمدنا على الطريقة الأثنوغرافية للكشف عن السياق المعاصر لظاهرة الهيمنة الأنثوية من أجل التعرف على مظاهرها وأسبابها وكذلك إنعكاساتها، وطبيعة التفاعلات التي تتم بين الذكر والأنثى في ظل ممارسات خفية تتجسد في ممارسة السيطرة والتسلط، ولفهم أساليب وطرق تجسيد المجتمع التبسي لمعتقداته وقيمه وسلوكياته في ظل التغيرات والممارسات الدخيلة، ويتم ذلك عن طريق الملاحظة بالمشاركة في الوضع الطبيعي الحياتي من جانب الباحثة، فالمنهج الأثنوغرافي يعتمد على الوصف والتحليل، باستخدام الكلمة والعبارة عوضا عن الأرقام والجداول الإحصائية، بإشراك المستفيدين وتقديم وجهة نظرهم بصورة شمولية وفاعلة، بمعايشة الباحثة للمجتمع عن طريق الملاحظة، محاوِلة التجرد من خلفيتها الثقافية والفكرية، وتبحث وتتولى نقل ووصف ما تشاهده وتسمعه من خلال تسجيلها للملاحظات والآراء والأفكار والمقترحات والرؤى من داخل ميدان الدراسة[1].

2.7. المنهج التاريخي

يتمثل المنهج التاريخي في القواعد والإجراءات التي يتبعها الباحث في جمع المادة التاريخية ودراستها ونقدها وتحليلها ثم استخلاص النتائج والتعميمات منها، لذلك فإن المنهج التاريخي يقوم بتتبع الظاهرة أو موضوع الدراسة خلال فترة زمنية، ودراسة العوامل التي تأثرت بها ووصفها القائم بهدف تفسيرها في سياقها التاريخي[2]. فهو الطريقة التاريخية التي تعمل على تفسير وتحليل الحوادث التاريخية الماضية كأساس لفهم المشاكل المعاصرة، والتنبؤ بما سيكون عليه المستقبل[3]، وذلك من خلال العودة إلى مصادر تاريخية عن ماضي الأنثى الجزائرية والتبسية خاصة ومكانتها عبر التاريخ، كما يجب العودة إلى الماضي لمعرفة أسباب ممارسة الأنثى للعنف الرمزي ضد الذكر، لأنه من خلال التاريخ نعرف كيف كانت التنشئة الاجتماعية في السابق ونتعرف على وضعية الأنثى في الماضي، وذلك بتتبع الظاهرة للوصول إلى تحليل الأوضاع في الوقت الحالي.

[1] محجوب محمد عبدو، الإتجاه السوسيوأنثروبولوجي في دراسة المجتمع، وكالة المطبوعات، الكويت، ص 243.

[2] خالد حامد، المدخل على علم الاجتماع، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 38.

[3] أحمد عايد، مدخل لمنهجية البحث الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د. ط، 2006م، ص86.

8. أدوات جمع المعلومات

1.8. الملاحظة

تعد الملاحظة من بين التقنيات المستعملة في الدراسات الميدانية لأنها الأداة التي تجعل الباحث أكثر إطلاعا واتصالا بالموضوع، وتعرف الملاحظة على أنها طريقة منهجية يقوم بها الباحث بدقة تامة وفق قواعد محددة للكشف عن تفاصيل الظواهر، ولمعرفة العلاقات التي تربط بين عناصرها.

وهي "الاعتبار المنتبه للظواهر أو الحوادث بقصد اكتشاف أسبابها وقوانينها[1]"، وتستخدم الملاحظة عادة في البحوث الميدانية لجمع البيانات التي لا يمكن جمعها بإستخدام الأدوات البحثية الأخرى، فهي مشاهدة دقيقة للظاهرة محل الدراسة، وعليه فقد أفادت هذه الأداة الباحثة في ملاحظة السلوك الظاهري للعينة، وكذلك اكتشاف مواقف يمكن أن تساعد الباحثة في التوجه نحو دراسة عنصر من عناصر الدراسة، والتطرق إلى صياغة أسئلة تضاف إلى دليل المقابلة، والتي ساهمت في تزويد الباحثة بمعلومات وبيانات وافية حول أفراد العينة.

ومن هذا المنطلق فقد كانت تقنية الملاحظة الأكثر سهولة ومرونة في تحقيق وتحصيل المعلومة، كون الباحثة تنتمي إلى المجتمع المدروس، وبإمكانها تتبع مسار الظاهرة من خلال الملاحظة المستمرة وهذا حتى تتمكن من تحليل الوضع بصورة واقعية.

2.8. الملاحظة بالمعايشة

تعد الملاحظة من بين التقنيات المستعملة في الدراسات الميدانية لأنها الأداة التي تجعل الباحث أكثر إطلاعا واتصالا بالموضوع وتعرف الملاحظة على أنها طريقة منهجية يقوم بها الباحث بدقة تامة وفق قواعد محددة للكشف عن تفاصيل الظواهر، ولمعرفة العلاقات التي تربط بين عناصرها أما الملاحظة بالمعايشة فهي الملاحظة التي يصبح فيها الباحث أحد أعضاء المجتمع المدروس وإما أن يصرح بذلك أو أن تكون سرية،

[1] فرح موسى الريفي وعلي مصطفى الشيخ، مبادئ البحث التربوي، مكتبة الأقصى، الدار العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، ص 115.

وقد استخدمها الأنثروبولوجيون لدراسة المجتمعات البدائية في ملاحظة بعض المواضيع فهي تعتبر مصدرا من مصادر الحصول على المعلومات لما تتميز به من خصائص تمكننا من الإطلاع على أدق التفاصيل والكشف عن الظواهر[1]. ومن هذا المنطلق فقد كانت تقنية الملاحظة بالمعايشة التقنية الأكثر سهولة ومرونة في تحقيق وتحصيل المعلومة، والأمر الذي سهل ذلك أكثر هو انتماؤنا للمجتمع المدروس. حيث في بداية دراستنا الاستكشافية قمنا بإجراء شبكة الملاحظات في الأماكن العامة التى يتواجد بها الجنسين وركز على الأماكن التى تتواجد بها الأنثى بكثرة والتي من خلالها نستطيع ملاحظة سلوكياتها وممارساتها عن قرب وهذا حتى نتمكن من تحليل الوضع بصورة واقعية.

3.7. المقابلة

إن المقابلة بوصفها أداة للبحث هي حوار يتم بين القائم بالمقابلة وبين شخص أو مجموعة أشخاص بهدف الحصول على معلومات حول موضوع معين، وتتعلق خاصة بالآراء أو الإتجاهات أو السلوك أو المعلومات، فهي عبارة عن أسئلة محضرة سلفا ومضبوطة وفقا لهدف الدراسة، ومن المتفق عليه أن تكون مشاركة المستجوبين إرادية، وأن تكون أجوبتهم محاطة بالسرية[2].

كما أن المقابلة تعتبر أداة بحثية تمكن الباحث من الإجابة عن تساؤلات البحث.

تم استخدام هذه التقنية لأن طبيعة البحث تكتسي الصفة التفاعلية القائمة على استنطاق تمثلات الأفراد حول سلوكيات ممارسة الأنثى للهيمنة ضد الذكر، ومدى تجلياتها داخل المجتمع التبسي وكذا تمثلاتهم حول الأنثى المستقبلية.

[1] خالد حامد، المرجع السابق، ص 127,126.

[2] خالد حامد، منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والانسانية، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 128.

4.8. تحليل المضمون

يعد تحليل المضمون تقنية وصفية في دراسة الوثائق والإرساليات الإعلامية والخطابات المختلفة بغية فهمها وتفسيرها في ضوء المعالجة الإحصائية. بمعنى أن تحليل المضمون أسلوب كيفي وكمي في الوقت نفسه إلى حد ما، يُستخدم في تحليل مضامين المواد الشفوية والمكتوبة والمصورة، باستكشاف محتوياتها ومعطياتها وبياناتها، وجردها في مؤشرات دلالية وسيميائية، وتجميعها في تيمات معينة، مع تصنيفها في فئات جامعة وموحدة ومشتركة، ثم، معالجة المضامين الدلالية نوعا وقياسا لتعقبها مرحلة الفهم والتفسير.

كما عرفه لازويل "أنه أسلوب يستهدف الوصف الدقيق لما يقال عن موضوع معين في وقت معين، وبأن هذه التقنية تتميز بخاصيتين هما: البيانات التي يُعتمد عليها في إستخلاص المعاني والرموز والأفكار التي يتألف منها المضمون بوجه عام، والإجراءات المعتمدة في تحليل المضمون تتبع خطة منظمة واضحة لمعالجة مضمون المادة المحللة وتصنيفها والتعبير عنها لأغراض البحث وأهدافه[1]".

حاولنا استخدام تحليل المضمون في تحليل بعض الأمثال والحكايات الشعبية التى تعبر في رمزيتها عن وضعية الأنثى في المجتمع التبسي، كما استخدمناه أيضا في تحليل كلمات أغاني شعبية ترمز في مضمونها إلى مكانة ودور الأنثى وحضورها في الموروث الثقافي للمجتمع التبسي، كما وظفناه في تحليل فيديو منتشر على وسائل التواصل الاجتماعي.

[1] خالد حامد، المرجع السابق، ص 53.

5.8. التسجيل الصوتي

إن إستخدام جهاز التسجيل واسع الانتشار في البحوث الإجتماعية، لدرجة أنه قد طغى على التدوين الكتابي، حيث إستخدمت الباحثة هذه الأداة لأهميتها الكبيرة في جمع المادة الأثنوغرافية، وترتيب الأفكار وتسجيلها دون تحريف، وقد استخدمت الباحثة أداة للتسجيل آلة تسجيل تابعة للهاتف النقال في معظم المقابلات بعد موافقة المبحوثين.

6.8. الإخباريون

إن نجاح الدراسة الميدانية يتوقف على حسن إختيار الإخباريين والتعاون معهم، كونهم يمثلون حلقة الوصل بين الباحث ومجتمع البحث.

الإخباري هو الشخص الذي يقوم بمساعدة الباحث الميداني من خلال الإجابة عن أسئلته وتقديم معلومات أثنوغرافية مفصلة عن المجتمع الذي يدرسه، تشمل مختلف مظاهر حياته ونظمه، ويناقش الباحث حولها لاستجلاء ما يصعب عليه فهمه من حقائق غامضة تتعلق بها[1].

وبإمكان الباحث الأنثروبولوجي أن يجعل أغلب أفراد المجتمع مخبرين له بطريقة مباشرة أو غير مباشرة حين يجيبونه عن استفساراته وأسئلته[2].

وطبقا لما سبق، فقد إستخدمت الباحثة عينة من مجتمع الدراسة ليكونوا مخبرين لتدعيم الدراسة في إثراء موضوع الهيمنة الأنثوية.

---

[1] د. شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا، الكويت، 1981، ص 492.

[2] Royal Anthropological Institute of Great Britan and Irland, Notes and Queries of Anthropology, 6th.ed, London, 1951, p 43.

9. مفاهيم الدراسة

1.9. الأنثى

1.1.9. الأنثى لغة

تعريف ومعنى أنثى في معجم المعاني الجامع: أنثى (اسم) الجمع إناث وأُناثى، الأنثى خلاف الذكر من كل شيء، وامرأة أنثى كاملة الأنوثة، أنثى المرأة التي تحمل وتلد، أنّث كلمة جعلها مؤنثة، أنّث في الأمر لان وتساهل، أنّث ولده خنّثه، أناثه أبعده، مؤنث اسم مفعول من أنّث، والمؤنث من الرجال من تشبه بالأنثى، المؤنث من الطيب ما تتطيب به النساء ويترك لونا كالزعفران، كلمة مؤنثة أي ملحقة بعلامة التأنيث، ورجل أنيث لين الكلام متكسر الأعضاء.

وفي لغتنا العربية يتميز اللفظ المؤنث غالبا بزيادة التاء المربوطة آخر الكلمة، كقولنا مثلا: "صغير" للمذكر "صغيرة" للمونث وكذلك: "طويل _ طويلة" وعلى العموم نجد لفظ أنثى يطلق على صنف من جنس الإنسان والحيوان، هذا الصنف الذي يتميز عن الآخر الذكر من حيث البنية الشكلية والوظائف البيولوجية.

في اللهجة المحلية العامية كذلك ياخذ الشئ الذي ضَعُف أو قلّ عدده أو أُعجب به ناظره صفة الأنوثة مع التصغير حتى وإن كان مذكرا في أصله وتسميته كقول العامة مثلا "ثْويمة من الثوم"، " حْلَيْبَة من الحليب"، و"مُيْهة من الماء"، "فليفلة من الفلفل" ... الخ، كل هذه النماذج كما رأينا هي عبارة عن أسماء مذكرة قد أُحيلت إلى التأنيث.

وما نصل اليه هاهنا هو أن اللهجة المحلية العامية كانت في تناولها لفظة مؤنث ليست ببعيدة عن اللغة الفصيحة فقد ارتكزت على ذات الثنائية المتوالية المبنية على المفارقة والضدية بين عنصري: ذكر/أنثى والتي تقابل: قوة/ضعف، صلابة/لين، ثقل/خفة ...

2.1.9. الأنثى في القاموس النفسي

وإذا خرجنا عن دائرة اللغة في تناول الأنثى، وولجنا عالم علم النفس نجد فرويد يقول: إذا أردت أن تعرف ماهي الأنوثة فابحث عنها في الشعر أو الأدب أو القصص الشعبية أو انتظر، قد يطول انتظارك حتى يصل العلم إلى تعريف، فإذا كان فرويد وهو العالم النفساني الذي كرس حياته غوصا في أعماق النفس البشرية قد أقرّ بهذه الحقيقة، فماذا بوسعنا نحن أن نقول؟ وبذلك كان فرويد أول من اعترف بتعقيد هذا المفهوم، الأنوثة على حد قوله كتاب مغلق أو قارة مظلمة ...[1].

3.1.9. الأنثى التقليدية

هي الأنثى التي تمكث في البيت لطهي الطعام وتنظيف المنزل ورعاية الأطفال وتلتزم بطاعة الزوج، وترتدي ملابسها التي تصممها بطريقة تعبر عن مفهومها للأنوثة ...

4.1.9. الأنثى الحديثة

هي التي تعيش في عصرنا الحالي، تتسم بالعديد من الصفات التي تتناغم مع التغيرات الاجتماعية، الثقافية، والتكنولوجية في العالم. هي أنثى تتنقل بين مختلف الأدوار والمسؤوليات التي تفرضها الحياة المعاصرة، وتعيش بحرية، وعقلانية، وتفكير متجدد، كالاستقلالية المالية والتعليم والتعلم المستمر فهي تسعى إلى اكتساب المعرفة وتطوير مهاراتها في مختلف المجالات، سواء عبر التعليم الرسمي أو من خلال التجارب الشخصية[2]، كما تساير التكنولوجيا ووسائل التواصل الاجتماعي فهي على دراية واسعة بالتكنولوجيا وتستخدمها بشكل فعال. هي قادرة على استخدام وسائل التواصل الاجتماعي للتواصل، التعلم، والتعبير عن آرائها، بل وتؤثر في المجتمع

[1] سجموند فرويد، محاضرة تمهيدية جديدة في التحليل النفسي، تر: عزت راجح، مكتبة مصر، د. ط، ص 123.

[2] https://www.foochia.com/archive/273599

من خلالها، ترفض أي شكل من أشكال التمييز أو القهر بناءً على جنسها، وتؤمن بقدرتها على ممارسة حرية الاختيار واتخاذ القرارات التي تؤثر في حياتها.

الأنثى الحديثة هي صورة متجددة من الأنثى التي تتجاوز القيود التقليدية، الأنثى المستقلة والمتحررة هي شخصية تتمتع بالقدرة على اتخاذ قراراتها الخاصة وإدارة حياتها بوعي وحرية، دون الاعتماد على الآخرين أو الوقوع تحت تأثير القيود المجتمعية التقليدية.

2.9. مفهوم الهيمنة

جاء المصطلح بمفهومه العام في المعجم الوسيط كما يلي: "هيمن: سيطر عليه وراقبه، والمهيمن: من أسماء الله تعالى: بمعنى الرقيب والمسيطر على كل شيء"[1].

إن الهيمنة تدور بين مهيمن ومهيمن عليه بمعنى وجود ندين متقابلين، والتقابل يعني التضاد والتباين من الناحية الفيزيولوجية، السلوك والأدوار.

3.8. المفهوم الإجرائي للهيمنة الأنثوية

تقع الهيمنة الأنثوية عند ممارسة الأنثى للسلطة والتأثير والإقناع من خلال نوع من السلوكيات تجعل المهيمن عليه يتصرف تلقائيا بطريقة تؤكد خضوعه من دون الحاجة إلى استخدام القوة لدفعه للقيام بذلك. بمعنى أن الأنثى تطبق الهيمنة الناعمة بحيث يكون باستطاعتها التأثير في الآخرين وتوجيه خياراتهم العامة وذلك نتيجة لقلبها المفاهيم والموازين في منظومة قيمها الثقافية، أو بعبارة أخرى الهيمنة الأنثوية تقع حين يستوعب الخاضع ويتقبل هذه الهيمنة ويعيش من خلالها في الحياة اليومية.

[1] إبراهيم أنيس، عطية صوالحي، المعجم الوسيط، ج 2، إ: حسن علي عطية، شوقي أمين، دار المعارف مصر، 1973، ص1005.

فيما سبق –وعلى ما اتضح– استطعنا من خلال تعرضنا إلى تعريف لفظ أنثى أن نكشف عن بعض خصائص وميزات الأنثى، بعد الفراغ من الإحاطة اللغوية بها كلفظ بدأ يتضح لنا المصطلح العام الهيمنة الأنثوية.

وكنتيجة لما سبق يتبين لنا أن الهيمنة الأنثوية هي سلوك سلبي تتخذه الأنثى ضد الذكر، حيث تتسلط عليه من حيث كونه مخلوقا صاحبته الهيمنة منذ الأزل وعليها أن تتحداه متمردةً على العادات والتقاليد، أو المعاملة السيئة للذكر بصفة عامة، ما يجعله عرضة للكثير من العقد النفسية، ولأن ولاية تبسة منطقة حدودية مع الدولة الشقيقة تونس التى يتميز شعبها عند الخطاب مع الذكر باستخدام ضمير التأنيث (أنتِ) وعند الخطاب مع الأنثى باستخدام ضمير التذكير (أنتَ)، كذلك انتقلت هذه الثقافة إلى المجتمع التبسي إذ أن غالبيته عند الحديث يؤنث المذكر ويذكّر المؤنث كأن يقول الرجل لزميله "كليتِ، شربتِ، رحتِ، جيتِ، ..."، وهذا له دلالة رمزية ترمز في عمقها إلى هيمنة الأنثى وسطوتها.

ما يمكن استنتاجه من خلال المفهوم الإجرائي للفظة أنثى أنه يختلف تماما عن المفهوم اللغوي لهذه اللفظة، فهي لم تعد توحي إلى الضعف والليونة، وبالنظر إلى الجنس الآخر "الذكر" الذي أصبح يتم تأنيثه وتصغيره من **أنتَ** إلى **أنتِ**، ومن **رجل** إلى **رويجل**، وهذه الأخيرة تطلق على الرجل الذي لم يعد يؤدي دوره ويتحمل مسؤولياته، كما ترمز إلى التقليل من قيمته والانتقاص من رجولته، خاصة إذا عرفنا أن لفظة ذكر تعني في المعجم في مجملها الشدة والقوة والخشونة ... الخ[1]، ويؤكد لنا هذا المعنى والمفهوم تفوق الأنوثة على الذكورة في المجتمع المعاصر.

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص 310.

4.9. صراع الجنسين

هو صراع بين الجنسين **ذكر/ أنثى** داخل الإطار السوسيوثقافي حول المفاهيم والأفكار والتمثلات التي توجه الفكر والعمل داخل المجتمع، ونتيجة التناقض في المنطلقات الفكرية يولد هذا الصراع، إذ أن الذكر ينتمي إلى ثقافة تقليدية تستمد شرعيتها من ثقافة المجتمع في بعدها التاريخي ومتمسك بالعادات والتقاليد، والأنثى تدافع عن وضعية ترى أنها تستمد شرعيتها من ثقافة حداثية عصرية يتجه نحوها المجتمع، مما يؤدي إلى الصراع والغموض في الواقع الاجتماعي المؤطر للحياة الثقافية.

5.9. العجز الذكوري

يعني العجز الذكوري شعور الذكر بغياب القدرة على التأثير في مجريات الأحداث والتحكم في أموره، وأن هناك قوة خارجية تحدد مصيره وتسيطر عليه[1].

إن العجز الذكوري هو حالة من الضعف والعجز تصيب الذكر داخل الفضاء المجتمعي باعتباره منبع المعنى ومصدر القوة، ويظهر في المظاهر المتعلقة بالجانب الفكري والمادي للثقافة مثل غياب القدرة على إنتاج الرموز واللغات والمعارف التي تشكل عالم الدلالة والأفكار، وكذلك العجز عن صوغ القواعد والمؤسسات التي تنظم العيش والتفاعل الاجتماعي، والعجز عن اختراع الوسائل والأدوات والوسائط التي تشكل الواقع الفعلي للتفاعل.

[1] تهاني محمد عثمان منيب، عزة محمد سليمان، العنف لدى الشباب الجامعي، مركز الدراسات والبحوث– جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية–، الرياض، 2007، ص14.

10. الدراسات السابقة

1.10. الدراسات الأجنبية

1.1.10. الدراسة الأولى: حق الأم لـ "باخوفن"[1]

درس باخوفن الأسرة بصفتها مؤسسة اجتماعية، واعتمد في دراسته على الأساطير، في محاولة منه لمعرفة سلطة الأنثى وحق الانتساب إلى الأم، وفي كتابه هذا حاول تبيان دور الأنثى ومركزها في الحضارة والمجتمع، خاصة في المجتمعات القديمة والبدائية، حيث تمتعت بالقوة السياسية والقانونية وبالسلطة، استدل على ذلك ببعض الأساطير القديمة، فيشير مثلا إلى أن أسطورة "إيزيس" يستدل منها على أن المجتمع المصري كان مجتمعا أموميا، كما يشير بذلك إلى أن إله الأرض يظهر في معظم هذه الأساطير على أنه أنثى وليس ذكرا، وأن أول مظهر للعبادة كان هو عبادة الآلهة الأنثى في كثير من المجتمعات القديمة، فمثلا كانت ربة الحكمة عند اليونان هي "أثينا" « Athena » وعند الرومان "منيرفا" «Minerva » .

وتعقيبا على دراسة باخوفن فإننا نرى أنها دراسة تفتقر إلى المناهج الأنثربولوجية لأنها تعتمد على الأساطير، أما نحن في هذه المعالجة فقد اعتمدنا أثناء دراستنا على الحقل الميداني وفق المناهج الأنثربولوجية حتى تتسم بالموضوعية والواقعية.

2.1.10. الدراسة الثانية: الهيمنة الذكورية لـ "بيار بورديو" [2]

تمحورت إشكالية بيار بورديو حول الكشف عن خصائص المجتمع الذكوري وماهية أنماط التفكير اللاواعية لديه، وماهية الآليات المؤسسة للتقسيم الجنسي، وحاول تفكيك العلاقة الاجتماعية الجدلية التي تظهر وكأنها

[1] ابراهيم الحيدري، فلسفة التاريخ عند باخوفن، مجلة كلية الاداب، بغداد، 1979

[2] بيار بورديو، الهيمنة الكورية، تر: سلمان القعقراني، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2009.

مبرر طبيعي لظهور الهيمنة الذكورية في دراسته للمجتمع القبائلي في الجزائر خلال الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي.

تكلم بيار بورديو عن الهيمنة الذكورية التي تتصف بواقع سوسيوثقافي معين يفرض فيه الذكر هيمنته الكاملة على المجتمع، ومن خلالها يتم قمع الأنثى.

وعلى الرغم من وجود الهيمنة الذكورية كصراع جنسي بين الذكر والأنثى في أي مجتمع، غير أن بيار بورديو اقتصر دراسته على الفكرة العنصرية والنظرة الدونية تجاه المجتمع القبائلي، في تحليل الهيمنة الذكورية باعتبار أنها نسق مرتبط بالنسيج الاجتماعي الجزائري والعلاقات بين الجنسين، ويخفي حقيقة البعد السياسي لمثل هذه الدراسات الأنثربولوجية التي تبرر الاحتلال الفرنسي للجزائر وتصوير المجتمعات المستعمرة على أنها متخلفة، وبالتالي تكون وظيفة المستعمر تحريرها من هذا التخلف وتحديث هذا المجتمع البدائي، ومن ثم تحرير الأنثى الجزائرية من هيمنة الرجل الذكورية، متناسيا أن الهيمنة الذكورية في المجتمعات الغربية تخطت كل الحدود إذ أنهم كانوا يصنفون الأنثى على أنها كائن بلا عقل.

2.10. الدراسات العربية

1.2.10. الدراسة الأولى: الانحراف النسوي دوافعه النفسية وعوامله المجتمعية 2010[1]

قامت الباحثة بدراسة ميدانية لتحليل أسباب تفشي ظاهرة انحراف النساء في المجتمع التونسي، مركزةً على أثر التحولات الاقتصادية والاجتماعية، وتناولت الدراسة تطور الانحراف النسوي من خلال أربع فرضيات:

- **الفقر والبطالة:** أشارت إلى أن قلة موارد الرزق وهجرة الإناث إلى المدن الكبرى ساهمت في زيادة الانحراف بسبب ظروف الفقر وفرص العيش.
- **القدرة الشرائية والمحاكاة:** ضعف المداخيل وارتفاع تكاليف المعيشة مع انتشار المحاكاة بين الفئات الاجتماعية ساهم في تفاقم الانحراف والتمرد الأنثوي.

[1] هادية العود البلهول، الانحراف النسوي دوافعه النفسية وعوامله المجتمعية، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2010.

- **تراجع القيم وضعف المؤسسات:** تدني المنظومة القيمية وتسيب المؤسسات التربوية الرسمية وغير الرسمية أدى إلى انعدام الوازع الأخلاقي.
- **أثر العولمة:** انتشار "فيروس الاستهلاك" الناتج عن العولمة أثر في تفاقم الإجرام لدى الرجال والنساء على حد السواء.

اعتمدت الدراسة على المنهج الكمي الوصفي والتحليل الكيفي، باستخدام إحصائيات جرائم الإناث ما بين (1993-2003) ومقابلات مع نزيلات سجن صفاقس (2004-2005).

وتوصلت الباحثة إلى النتائج التالية:

- الرخاء الاقتصادي في صفاقس ساهم في انتشار الإغراء الاستهلاكي وعدوى المحاكاة.
- الزواج أنتج مشكلات اجتماعية أبرزها الجهوية ونبذ النازحين، مما دفع بعضهم للجنوح نحو الإجرام.
- جرائم النساء ترتبط غالبًا بوجود ضحية، مع تجاهل جرائم أخلاقية مثل الدعارة التي تُضر بالمجتمع ككل.
- أغلب المبحوثات ينحدرن من أسر مفككة فشلت في أداء دورها التربوي.
- النموذج التحديثي في تونس، كأثر للعولمة، أدى إلى تصاعد اللامعيارية وانتشار السلوكيات الإجرامية بين النساء.

الدراسة تبرز العلاقة بين الظروف الاقتصادية والاجتماعية والتحولات الثقافية وتأثيرها على انحراف النساء.

2.2.10. الدراسة الثانية: مقال لخديجة علي موسى "العنف ضد الرجال: من طوى هذه القضية ونشر غيرها؟"

في مقالها "العنف ضد الرجال: من طوى هذه القضية ونشر غيرها؟"، تناقش خديجة علي موسي قضية العنف الذي تمارسه النساء ضد الرجال في المجتمع المغربي، وهو جانب غالبًا ما يتم تجاهله مقارنة بالتركيز الكبير على العنف ضد النساء.

تُشير الكاتبة إلى أن هناك أنواعًا مختلفة من العنف الذي يتعرض له الذكور، مثل العنف المادي كالتعرض للضرب والجرح، والعنف المعنوي، وتُلاحظ أن الذكور نادرًا ما يجرؤون على الإفصاح عن هذه الاعتداءات، باستثناء الحالات التي تصل إلى المحاكم. كما تنقل عن أحد المحامين المغاربة أن النساء المتورطات في العنف الجسدي ضد الذكور غالبًا ما يستغللن شهادة المرض النفسي لتخفيف العقوبات القانونية المترتبة عليهن.

وترى الكاتبة أن ظاهرة ضرب النساء للذكور تكاد تكون منتشرة في معظم البيوت المغربية، مرجعة ذلك إلى ضعف شخصية بعض الذكور. كما يقدم بعض رجال القانون تفسيرًا لهذه الظاهرة، معتبرين أن العنف الذي تمارسه الزوجة ضد زوجها قد يكون رد فعل على العنف الذي تتعرض له، أو نتيجة لتركيبتها النفسية التي تأثرت بالتنشئة الاجتماعية غير السليمة.

المقال يُسلط الضوء على قضية حساسة وشبه مغفلة، داعيًا إلى ضرورة مناقشتها بموضوعية لمعالجة جذورها الاجتماعية والنفسية.

3.10. الدراسات الجزائرية

1.3.10. الدراسة الأولى: أطروحة دكتوراه إجرام المرأة في المجتمع الجزائري العوامل والآثار 2007/2006[1]

استعملت الباحثة كل من المنهج الوصفي، المنهج الإكلينيكي، دراسة حالة وجمع البيانات من الميدان، كما استعانت بوسائل مختلفة لفهم الظاهرة وهي: السجلات، الملاحظة، المقابلة والاستمارة.

جاء البحث "إجرام المرأة في المجتمع الجزائري العوامل والآثار" محاولة لتسليط الضوء على الجريمة المقترفة من قبل الأنثى، وكشف خباياها وعمقها ودلالاتها الاجتماعية، النفسية والقانونية، وواقعها في المجتمع

[1] مزوز بركو، أطروحة دكتوراه إجرام المرأة في المجتمع الجزائري العوامل والآثار، 2007/2006.

الجزائري، حاولت الباحثة الكشف عن سيكولوجية الأنثى المجرمة، وأكدت أن الجريمة عند الأنثى أصبحت من الظواهر التي برزت وبقوة في الآونة الأخيرة وفي كل المجتمعات، حيث كانت النتيجة المتوصل إليها من خلال هذا البحث أن جريمة القتل كانت أعلى نسبة في الارتكاب من قبل الأنثى مقارنة بالجرائم الأخرى كالسرقة والتسول والتزوير... إلخ.

كما توصلت أيضا إلى أن الأنثى في جريمة القتل لا تولي القرابة الدموية أي اهتمام، وأن علاقتها بضحاياها هي علاقة صراع دائم من أجل الدفاع تارة والهجوم تارة أخرى، وضحاياها كانوا يتراوحون بين الأقل قرابة دموية والأكثر قرابة.

خلافا لما هو شائع اجتماعيا من أن الأنثى لا يمكنها أن تقترف جريمة القتل لأنها تتميز بالضعف ورقة القلب والعاطفة، لكن هذه الدراسة بينت أن الأنثى أصبحت قادرة على القيام بهذه الجرائم مما يدعم دراستنا على تواجد تسلط وعنف ممارس من طرف الأنثى.

2.3.10. الدراسة الثانية: رسالة ماجستير بعنوان مظاهر سلطة الأب داخل الأسرة الجزائرية 1999/1998[1]

وتم طرح إشكالية الدراسة على النحو التالي: هل الامتيازات الجديدة للأفراد من شأنها أن تؤثر على سلطة الأب، أم هناك عوامل اجتماعية أخرى خفية تحد من مظاهر سلطته داخل الأسرة الجزائرية اليوم؟

وهذه الدراسة توضح أن التغير الذي أصاب النظام الأسري الجزائري منذ الاستقلال الناجم عن عدة عوامل اقتصادية ديموغرافية ثقافية أثر على تغير الذهنية الأبوية –سلطة الأب داخل الأسرة التقليدية– أي أنه لطبيعة النمط الأسري الجديد دور في حركية تطور مظاهر سلطة الأب، خاصة أن سلطة هذا الأخير في الأسرة

[1] بركة فاطمة، مظاهر سلطة الأب داخل الأسرة الجزائرية، رسالة ماجيستر في علم الاجتماعن جامعة الجزائر، 2000.

التقليدية الممتدة كانت مستمدة من الوحدة القرابية للأسرة ضمن سكن مشترك، غالبا ما كانت تمارس هذه الوحدة القرابية سلطة جماعية داخل الوسط الأسري، حيث تساهم بقسط كبير في تقوية سلطة الأب على أبنائه وزوجته. وفي دراستنا سنحاول تبيان هذه العوامل التي أدت إلى تغير الذهنية التسلطية ومن ثم إلى تراجعها.

3.3.10. الدراسة الثالثة: رسالة دكتوراه بعنوان المرأة ومظاهر تغيير النظام الأبوي في الأسرة الجزائرية 2013.[1]

اعتمدت على الوصف، التحليل والمقارنة، وطرحت التساؤلات التالية: إلى أي مدى أثر كل من عاملي تعليم المرأة وخروجها إلى العمل في تلاشي قيم ومظاهر النظام الأبوي الممارس على المرأة داخل الأسرة؟ وكيف تنظر المرأة الجزائرية لواقعها المستقبلي؟

توصلت هذه الدراسة إلى أنه قد حدث تغيّر اجتماعي للنظام الأبوي الممارس على الأنثى داخل الأسرة تمثل في تقلص ظاهرة التمييز بين الجنسين في الحقوق والواجبات المشتركة، تقلص ظاهرة سلطة الذكر على الأنثى بمفهوم الهيمنة والتسلط، وكذا إعادة توزيع الأدوار بين الزوجين داخل الأسرة.

أي أن السلطة رغم ضرورتها لتوازن أي جماعة فإنها في الأسرة المعاصرة لم تعد تلك القائمة على الهيمنة والتسلط كما كانت لدى الأسرة التقليدية بل إن العلاقات الأسرية لاسيما منها الزوجية أصبحت قائمة أكثر على قيم الحوار والتشاور في إتخاذ مختلف القرارات، زيادة على ذلك فإن الأنثى أصبحت تتمتع بحرية أكبر داخل الأسرة سواء تعلق الأمر بسلوكياتها الشخصية أو بمختلف اختياراتها أو تصرفاتها في مختلف ممتلكاتها الخاصة، الدراسة هنا أهملت تحول العلاقات الأسرية في مجال الدور والسلطة داخل الأسرة الجزائرية وكشفت الدراسة عن تحول كبير في الملامح البنائية للأسرة في مجتمع البحث من حيث نمطها، حجمها، فقد أصبحت الأسرة

[1] الحاج بلقاسم، المرأة ومظاهر تغير النظام الأبوي في الأسرة الجزائرية -دراسة ميدانية وصفية لأهم مظاهر التغير الاجتماعي في الوسط الحضري للعاصمة، جامعة الجزائر 1، 2013.

النووية المتوسطة الحجم هي النمط السائد في المجتمع، كما تبين وجود تحول واضح في أدوار الأسرة، يظهر ذلك بشكل ملحوظ في تغيير دور الأنثى والأبناء. كما كشفت الدراسة عن اتجاهات إيجابية نحو تعليم الأنثى ونحو عملها في مهن معينة. كما تبين وجود اتجاه واضح نحو تأخير سن الزواج بالنسبة للذكور والإناث. كما أنها ركزت على موضوع الأسرة، المرأة، النظام الأبوي، لكن بصفة مستقلة دون محاولة التطرق إليها في شكل وحدة تفاعلية تكاملية، لذلك تأتي هذه الدراسة محاولة تدارك هذا النقص وذلك بتفسير مظاهر تغير النظام السلطوي والعلاقات الاجتماعية الممارسة من طرف الأنثى تجاه الذكر داخل الأسرة.

أما فيما يتعلق بالتغيرات الاجتماعية والثقافية بصفة عامة فقد كشفت الدراسة عن جملة من هذه التغيرات سواء في الجوانب المادية أو اللامادية، وكيف بلورت الأنثى هذه السلطة لصالحها وكيف أصبحت هي المسيطرة ولذلك سوف نحاول البحث في دراستنا عن هذه السلوكيات التي تمارسها الأنثى.

4.3.10. الدراسة الرابعة: رسالة ماجيستر بعنوان عنف الزوجة ضد الزوج، أسبابه وأشكاله 2006/2005.

حسب رأي الأسرة التربوية بولاية قالمة[1]، حيث مجال الدراسة كان مؤسسات قطاع التربية بولاية قالمة وبالتحديد مؤسسات التعليم الثانوي العام والتكنولوجي، عدد المؤسسات 23 ثانوية، حيث خصت الدراسة المتزوجين والمتزوجات داخل المؤسسات التربوية تمثلت في فئة المؤطرين وفئة العمال المهنيين وفئة الإداريين.

حسب رأي الأسرة التربوية لولاية قالمة توجد عدة عوامل نفسية تدفع المرأة إلى ممارسة العنف ضد زوجها، كالغيرة على الزوج، والإنتقام من زوجها نتيجة عامل نفسي كرد فعل على كل من مارس هيمنة عليها في وقت مضى، توجد عوامل اجتماعية تدفع الأنثى إلى العنف كتدني مستوها الدراسي والاقتصادي، التفكك والتصدع

[1] نادية دشاش، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير بعنوان عنف الزوجة ضد الزوج أسبابه وأشكاله، فرع علم النفس الاجتماعي، 2006.

العائلي، سوء العلاقة الزوجية "الوسم الاجتماعي". حيث طرحت الباحثة تساؤل رئيسي حول الأسباب التي تدفع الزوجة لممارسة العنف ضد الزوج، كما أدرجت سؤالا فرعيا تمثل في: ماهي مظاهر وأشكال العنف التي يمكن أن تمارسه الزوجة ضد زوجها؟، وتوصلت الباحثة إلى أنه من أهم مظاهر عنف الأنثى ضد الذكر هي السب والشتم والإهانات، حرمان الزوج من ممارسة حقوقه الشرعية، حرمانه من زيارة أهله ومنعه من إستقبال أهله، تحريض الأبناء على الزوج، المعاداة، الضرب، خروج الزوجة دون إذن، التحقير أمام الغير، كما أن أسباب عنف الزوجة التي توصلت إليها الباحثة: عدم إقتناع الزوجة بالزوج يؤدي إلى بها إلى ممارسة العنف ضده، ضعف شخصية الذكر، سوء معاملة الزوج للزوجة، العجز المادي للزوج، التفوق في المستوى التعليمي للزوجة، خيانة الزوج، شخصية الزوجة المتسلطة.

واتبعت الباحثة في الدراسة منهجين، المنهج الوصفي بجمعها للمعلومات من أجل دراسة الظاهرة الإنسانية، وكذلك المنهج الإكلينيكي لدراستها من الناحية النفسية.

من خلال هذه الدراسة نرى أن الباحثة مزجت بين العنف بشكليه المادي والرمزي وأطلقت عليه بصفة عامة مصطلح العنف. واستعنا بهذه الرسالة في بعض المواطن لوجود تطابق وتوافق في بعض جوانب الدراسة لأن عنف الأنثى بنوعيه المادي والمعنوي مظهر من مظاهر الهيمنة.

4.10. نـقد ومعـالجة

انطلاقا من تنوع الدراسات في معالجة قضايا الأنثى (تحرير المرأة، العنف ضد المرأة، خروج المرأة للعمل، تنمية المرأة، ... الخ)، من أطروحات الدكتوراه، مذكرات ماجستير، مقالات علمية، نجد أن قضايا المرأة في الصدارة، خاصة في الوقت الحاضر الذي بتنا نشهد فيه العديد من وسائل الإعلام الموجهة للأنثى ومعالجة قضاياها، من مطبوعات صحفية إلى برامج تلفزيونية إلى مواقع على الشبكة العنكبوتية، حتى بتنا نشهد تنافساً في طرح مشاكل الأنثى بين هذه الوسائل لكسب أكبر حجم ممكن من الجمهور، بمعنى أنه كلما

تطورت وسائل الإعلام والتكنولوجيا تطورت معالجة قضايا الأنثى بأشكال وصور مختلفة، و من خلال ما تقدم عرضه من الدراسات السابقة العربية والمحلية والأجنبية، يتضح اتفاقها على أن الهيمنة والتسلط ظاهرة اجتماعية تعاني منها كافة المجتمعات البشرية دون استثناء، وتختلف من حيث النسبة من مجتمع لآخر. وركزت معظم الدارسات التي تناولت قضايا الأنثى كمادة دسمة على أن الأنثى هي الطرف الضعيف المهيمن عليها مهما كانت مساحة الحرية التي تمتعت بها، وبالمقابل فهناك دراسات قليلة جدا تعد على الأصابع تطرقت إلى هيمنة الأنثى وانحرافاتها وارتكابها للجرائم ومنافستها لعالم الرجولة وسيطرتها المادية والمعنوية على جوانب عديدة من المجتمع، لذلك حاولنا في دراستنا توسيع رقعة البحث إلى ما بعد حرية الأنثى، وصولا إلى السيطرة والتسلط والتعدي على حرية الآخر، ففي بحثنا هذا نحاول ملامسة المسكوت عنه، كل هذه السلوكيات المؤسسة للعلاقات الاجتماعية والممارسات اليومية من قوانين وقواعد للعلاقات العامة والخاصة هي مصدر لفرز أنماط وسلوكيات جديدة في البنية الاجتماعية اللامفكر فيها اجتماعيا.

بالاعتماد على مراجعتنا للدراسات السابقة، سواء تلك التي تم الإشارة إليها بشكل مباشر أو التي لم يتم التطرق إليها، تبيَّن أن الباحثين اتبعوا ثلاث اتجاهات رئيسية في تناول الموضوع:

- **الاتجاه الأول:** حصر مجال اهتمامه في دراسته حول وظيفة الأنثى وأثرها على الأسرة، وكذلك قضايا تفعيل مشاركة الأنثى في التنمية المستدامة في جميع القطاعات الساعية لكسب رهان المساواة بين الجنسين، واعتبارها قوة عاملة منتجة في بناء وطنها، خاصة بعد الانتقال الذي عرفته الأسرة الجزائرية من مرحلة الزراعة الى المرحلة الصناعية.
- **الاتجاه الثاني:** ذهب إلى أن الأنثى الجزائرية غير راضية إطلاقا عن وضعها الحالي لذلك فهي تطمح إلى تغييره، وهي بذلك تريد أن تعيش استقراراً أسرياً، هذا الأخير يرتبط بمدى تلقيها الاحترام اللازم من طرف أفراد أسرتها ومشاركتهم لها في اتخاذ مختلف القرارات الأسرية، كما ذهب إلى أن الأنثى تطمح للتمتع بمختلف حقوقها المدنية كالتعليم والعمل إلى جانب الذكر في مختلف المجالات، حيث أن هذا الاتجاه

يرى بأنها مجرد طموحات لأن الأنثى مازالت تعيش وضعية دونية ومقهورة ومهيمن عليها، لذلك فهي غير راضية بالوضع.

- **الاتجاه الثالث:** ذهب إلى أبعد من ذلك حيث عالج قضية إجرام وعنف الأنثى والعوامل المساعدة وذلك من خلال وصف الظاهرة الإجرامية وخصائصها الانفعالية والنفسية والاجتماعية وعواملها المختلفة خاصة العوامل الأسرية والمناخ العائلي والبنية الاجتماعية ككل الذي جعل الجنس الناعم يتخلى عن نعومته وأنوثته وعاطفته ويسلك طريق الإجرام. حيث أن هذا الاتجاه توصل إلى أن شخصياتهن تتميز بسبع عوامل هي الشك، السيطرة، التحرر، الاكتفاء الذاتي، شدة التوتر، القلق، الجمود.

إن ملاحظاتنا للبحوث والدراسات، بل أقول الاتجاهين الأول والثاني التي تعمقت أو لامست موضوع الأنثى، تجعلنا نقف أمام حقيقة واقعية وهي أن هذه البحوث والدراسات العلمية كثيرة وعلى الرغم من كثرتها إلا أنها تصب في قالب واحد ألا وهو الهيمنة الذكورية على الأنثى، أما الاتجاه الأخير فقد حاول البحث عن طبيعة السلوك المتمثل في الفعل الإجرامي لدى الأنثى، والعنف الممارس ضد الذكر وهذا في المجال الفردي، قد يقال أنها حالات شاذة استطاعت الأنثى أن تهيمن فيها وتتسلط، إلا أن سلوكيات هيمنة الأنثى باتت تستدعي أو تتطلب الرؤية الشاملة والبحث فيها بتعمق، لذلك ستكون هذه الدراسات هي دليلنا ومرشدنا نحو التعمق في فهم الهيمنة الأنثوية.

الفصل الثاني

قراءة أنثروبولوجية في

التمثلات الاجتماعية

تمهيد

تعتبر التمثلات الاجتماعية أحد المفاهيم الأساسية التي تتيح لنا فهم كيف يُشكل الأفراد والمجتمعات معاني معينة للأحداث، السلوكيات والهويات ضمن السياقات الاجتماعية المختلفة، إذ تمثل هذه التمثلات شبكة من الصور والمفاهيم التي تؤثر في نظرة الأفراد إلى أنفسهم والآخرين، وتؤثر في تفاعلاتهم اليومية ومواقفهم تجاه القضايا الاجتماعية والسياسية. في الدراسات الحديثة، أصبحت التمثلات تُعتبر أداة لفهم كيفية بروز العلاقات الاجتماعية المختلفة، خصوصاً فيما يتعلق بالعلاقات التي تتسم بالهيمنة والسيطرة.

إن التمثلات لا تقتصر فقط على تصوير واقع اجتماعي، بل هي أيضاً أداة فعالة لتثبيت أو مقاومة الهيمنة في المجتمع. فكل تمثل يعكس ويعيد إنتاج القوى الاجتماعية والسياسية، سواء عبر وسائل الإعلام، التربية أو الخبرات اليومية. وبذلك، تصبح التمثلات ليست مجرد تعبيرات عن ثقافة معينة، بل أداة لإعادة تشكيل السلطة والسيطرة بين الأفراد والجماعات.

وفي هذا السياق، تُعد التمثلات الاجتماعية مدخلاً لفهم العلاقات المتشابكة بين الأفراد، خاصة عندما تتعلق بالهيمنة، سواء كانت تلك الهيمنة قائمة على أساس النوع الاجتماعي أو الطبقي أو الإثني. إذ أن التمثلات التي يحملها الأفراد عن الأدوار الاجتماعية والتوقعات المتعلقة بها تساهم في تعزيز نظم الهيمنة أو مقاومتها، من خلال تأطير الأفعال والمواقف في سياقات معينة تسهم في إنتاج أو تفكيك تلك العلاقات.

من خلال هذا الفصل، سوف نناقش دور التمثلات في بناء وصيانة علاقات الهيمنة، مستعرضين أبرز الاستخدامات الحديثة لهذه المفاهيم في الدراسات الاجتماعية، وكيفية تأثيرها على الوعي الفردي والجماعي، بالإضافة إلى تأثيراتها على التفاعلات الاجتماعية بين الجنسين والمجموعات الاجتماعية المختلفة.

1. التطور التاريخي لمفهوم التمثلات الاجتماعية

على الرغم من حداثة مفهوم التمثلات في الدراسات العلمية إلا أن جذوره ارتبطت بالجانب الفلسفي فقد ذهب أرسطو في الفلسفة اليونانية إلى تعريف التمثلات كمنهج لدراسة الواقع عند الفيثاغوريين على أنها عملية تكييف الواقع تبعا لنظرياتهم، أي هي التعامل مع الظواهر الخارجية وتكييفها بما يستجيب للآراء الخاصة والمسبقة للفرد، وقد تكلم في كتابه "الشعر" عن علاقة المماثلة وتعود أقدم مماثلة عضوية في علم الأحياء إلى أرسطو حينما ماثل بين رئة الحيوانات البرية وغلاصم الحيوانات المائية، وقد تكلم عن مبدأ التصنيف في علاقة المماثلة حيث رأى أن من وظائف الاستدلال بالمماثلة هو تبسيط العالم من خلال تصنيف الأشياء والكائنات في مجموعات تربطها علاقة المشابهة، إذ يقول: "فالأجناس لا تختلف فيما بينها إلا بالدرجة، أي بالزائد والناقص، يمكن جمعها في جنس واحد ... وتحت اسم واحد"، فكانت البيولوجيا عند أرسطو قائمة على المماثلات البنيوية أو المماثلات الوظيفية بين أجناس الحيونات[1]، ومن هنا لم ينظر أرسطو للتمثلات كظاهرة تدرس وإنما اعتبرها منهج استدلالي يهدف إلى فهم الظواهر الخارجية وتفسيرها من خلال علاقة المماثلة والمشابهة والتصنيف.

أما في الفلسفة الحديثة فنجد ايمانويل كانط (1724 – 1804) يقول "إن مواضيع معرفتنا ما هي إلا تمثلات، ومعرفتنا للواقع الكلي هي مستحيلة" وكان قد نشر فكرة مفادها أنه من أجل المعرفة يجب الإهتمام بموضوع الدراسة والإنسان الدارس[2]، وقد استخدمه في حديثه عن العلاقة بين الذات العارفة والمواضيع التي تدركها فقد رأى أننا لا نستطيع الوصول إلى معرفة حقيقة الأشياء كما هي عليه إنما معرفتنا لها لا تتعدى كونها تمثلات وتصنيفات ذهنية نكونها عن المواضيع المختلفة[3]، تعتمد هذه التمثلات على ما نراه في الواقع الخارجي إضافة إلى ما نملكه من مقولات قبلية وبالتفاعل بين الذات وموضوعها ينتج التمثل الذي يعيد بناء مفهومي عن الموضوع لا يمثل حقيقته بل تمثلات لا تقوم على التجربة بقدر ما تعتمد على الذات العارفة،

---

[1] جورج طرابيشي، نقد العقل العربي، العقل المستقيل في الإسلام، ط1، دار الساقي، بيروت، 2004، ص 394-402.

[2] Dominique Aimon, le concepte de representation, DEA, En science de l'éducation, 1998.

[3] جيل دولوز، فلسفة كانط النقدية، تر: أسامة الحاج، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان،1997، ص21.

يقول: "أقول أننا لا نستطيع مع ذلك أن نتوصل إلى معرفة الظواهر، وأننا لا نستطيع أبدا أن نعرف الأشياء في ذاتها"[1]، وقد تأثر كانط في ذلك بـ هيوم حين قال: "أنا أعرف، ليس حين ألاحظ (رأيت الشمس تشرق ألف مرة) بل حين أحكم بأن (الشمس ستشرق غدا)، هذا ما دفع كانط إلى التساؤل: ما واقع المعرفة؟[2] فرآها لا تعدو أن تكون تمثلات، إذ يقول كانط: "إن جميع التمثلات التي ترد إلينا بغير تدخل إرادي من جانبنا (مثال ذلك التمثلات التي تأتينا عن طريق الحواس) لا تعرفنا بالموضوعات إلا على النحو الذي تؤثر به علينا، أما ما عسى أن تكون طبيعتها في ذاتها فأمر يظل مجهولا بالنسبة لنا"[3]، وبالتالي نجد أن كانط قد فرق بين نوعين من التمثلات الأولى تأتي من الحواس مباشرة مثل التمثلات التي نكونها على أفعالنا بأنها خيرة أو لا من خلال ما نلاحظه بأعيننا من نتائج لها في الواقع فنكون مقيدي الإرادة بهذه النتائج والثانية تنتجها الذات العارفة بفعالية والتي لا تربط بين الأفعال ونتائجها بقدر ما تربطها بتمثل الواجب الذي يمنح الإرادة الخيرة الأولوية والحرية في الاختيار بين الأفعال، أما هيجل فقد رفض الفصل بين الذات وموضوعها حيث رأى أن الموضوعات الخارجية ليس لها حقيقة في ذاتها مغايرة لما نكونه عنها داخل ذواتنا من تمثلات، أي قولنا أن معارفنا تمثلات لذواتنا لا يعني مطلقا أن الموضوعات المدركة لها حقيقة غير التي نكونها عنها، والتمايز الذي نلاحظه في العالم الخارجي ما هو إلا تمايز داخل فكرنا، ومنه فالتمثلات معرفة تعطينا حقيقة العالم الداخلي والخارجي على حد السواء[4].

[1] ايمانويل كانط، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، تر: عبد الغفار مكاوي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1960، ص112.

[2] جيل دولوز، المرجع السابق، ص 21.

[3] ايمانويل كانط، المرجع السابق، ص 112.

[4] حنا ديب، هيجل وفيورباخ، ط1، أمواج للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1994، ص141.

كما اهتم الباحثون السوسيولوجيون منذ النشأة الأولى لعلم الإجتماع بمفهوم التمثلات، وكانوا السباقين إلى توظيفها في دراساتهم على الكثير من التخصصات الأخرى الموجودة ضمن حقل العلوم الإنسانية. الشيء الذي أكده موريس هالبواكس* (Maurice Halbwachs) بدراسته لمؤلفات دوركايم حول أسبقية السوسيولوجيا على علم النفس حول موضوع التمثلات[1]، وحسب الدراسات التاريخية لعالم النفس الإجتماعي موسكوفيتسي Moscovici.S حول مصطلح التمثلات توصل إلى نفس الفكرة القائلة بامتياز الأسبقية لعلم الإجتماع في استخدام مصطلح التمثلات ولعل أول دراسة نبينها هي لعالم الإجتماع جورج زيمل Simmel.G الذي توصل إلى دراسة فهم العلاقة الموجودة بين وضعية الفرد البعيدة عن الآخرين والحاجة إلى تمثلهم، فزيمل يرى في التمثلات نوع من العملية التي تمكن من بلورة الأفعال المتبادلة بين مجموعة من الأفراد وتشكيل الوحدة العليا التي هي المؤسسة، الحزب، الكنيسة...[2].

من جهة أخرى فيبر يجعل من التمثلات إطارا مرجعيا لنشاط الأفراد حيث يقول "يتجلى أن هذه الوضعيات الجماعية التي تنتمي إلى الفكر اليومي أو الفكر القانوني أو لأي تفكير متخصص هي تمثلات لشيء ما يتردد في عقول الناس ليس فقط، القضاة والموظفين، بل كذلك الجمهور حيث توجه نشاطهم وبنياتهم، ولها أهمية سببية، معتبرة، بل مهيمنة من أجل السير الطبيعي لنشاط الأفراد الواقعيين" ويضيف هنا أن المعرفة المشتركة والمسبقة لها القدرة على تحديد نشاط الأفراد وبرمجتهم[3]. يعترف موسكوفيتسي بأن المستخدم الحقيقي للمفهوم

* موريس هالبواكس (Maurice Halbwachs) هو عالم اجتماع وفيلسوف فرنسي، ولد في 11 مارس 1877 وتوفي في 16 مارس 1945. يُعتبر من أبرز المفكرين في علم الاجتماع، واشتهر بتطوير مفهوم **الذاكرة الجمعية** (La Mémoire Collective)، الذي يوضح كيف تُشكِّل المجتمعات تمثلاتها وتاريخها عبر الذكريات المشتركة التي يتم تداولها داخل الجماعة. من أبرز أعماله: **الأطر الاجتماعية للذاكرة** الذي يُعتبر من أبرز كتبه، حيث ناقش فيه نظريته حول الذاكرة الجمعية، و**الطبقات الاجتماعية ورغباتها**. توفي هالبواكس في معسكر اعتقال بوخنفالد خلال الحرب العالمية الثانية بسبب أصوله اليهودية ومعارضته للنظام النازي، تاركا إرثًا فكريًا مهمًا في علم الاجتماع، ولا تزال أفكاره حول الذاكرة الجمعية تُستخدم في العديد من الدراسات المعاصرة.

[1] Templane laurens et Nicolas Roussian، la mémoir sociale indentité et représentation sociale. P.U.R cedex.2002 p 65.

[2] Serge Moscovici, Des représentations collectives aux représentations sociales : éléments pour une histoire, *LES REPRÉSENTATIONS SOCIALES*, chapitre 2, pp. 62-86. Paris : Les Pres-ses universitaires de France, 1ère édition, 1989, Collection : “Sociologie d’aujourd’hui”.

[3] S. Moscovici op cit p64.

في علم الإجتماع هو إميل دوركايم الذي يقول: "إن الملاحظة تكشف عن وجود نوع من الظواهر تسمى التمثلات، وهي تختلف بواسطة خصائصها المتميزة عن الظواهر الطبيعية الأخرى. فمن غير المعقول على كل منهج أن يعالجها على أنها غير موجودة ... هذه التمثلات لها أسباب وهي بدورها أسباب"[1].

حيث كان إميل دوركايم سباقا في طرح مصطلح التمثلات الجمعية في مقاله الذي نشره عام 1898م بمجلة "**الميتافيزيقيا والأخلاق**"، إذ فرق بين التمثلات الجمعية والتمثلات الفردية ورأى أن التمثلات الجمعية ليست مجموع التمثلات الفردية إنما هي مستقلة عن أي تمثل فردي وتتسم بخصوصية التفكير الجمعي[2]. وأنكر إميل دوركايم أي قيمة للحيثيات النفسية بإعلانه أن الظاهرة الاجتماعية هي ظاهرة مستقلة عن الأفراد وعلى الرغم من أن دوركايم أعلن أن الظواهر الاجتماعية يجب أن تدرس كأشياء إلا أنه رأى أن دراسة المعايير الاجتماعية لا يجب أن تدرس في مظاهرها أي لا يمكن فقط دراسة الوسائل التي تنتشر بها مثل التقليد بل يجب التعرف على مصادر هذه المعايير والتي هي مجموعة التمثلات الجمعية التي تشترك فيها الجماعة داخل المجتمع الواحد وتشكل خصوصية لكل مجتمع والتي يجب أن تدرس من حيث كونها تجلي لإرادة المجتمع التي تحكم مشاعر الفرد وتوجهها وليس من منطلق المشاعر الذاتية للأفراد لأنها نتاج المؤسسات الاجتماعية التي أنشأها المجتمع لتسيير شؤون الأفراد ومن هنا يمكن ملاحظتها بشكل موضوعي ودراستها، فهذه المؤسسات الاجتماعية تعيش من خلال الأفراد الذين يحملون تمثلات عنها هي في جوهرها تمثلات جمعية لا يمكن تفسيرها من خلال علم النفس الفردي وأوضح دوركايم ذلك من خلال دراسته مع ماوس في مقال بعنوان: "**حول بعض الأشكال البدائية للتصنيف، مساهمة في دراسة التمثلات الاجتماعية**" سنة 1903م[3]، يقول دوركايم أنه "إذا كان بإمكاننا القول –لاعتبارات معينة– بأن التمثلات الجمعية خارجة عن وعي الأفراد فذلك لأن تلك التمثلات غير

[1] DURKEIME.E, Sociologie et philosophie, P.U.F Paris, 1967, p4.

[2] الحاج الشيخ سمية، التصورات الاجتماعية للمرض العقلي لدى الأطباء، إ/ بوسنة عبد الوافي زهير، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس، تخصص علم النفس الاجتماعي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2012، ص 18–19.

[3] فيليب كابان، جان فرانسوا دورتيه، علم الاجتماع، من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات، تر: إياس حسن، ط1، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، 2010، ص 55–56.

منبثقة من وعي أفراد منعزلين عن بعضهم البعض، وإنما هي صادرة عن العلاقات القائمة بينهم، وهو أمر جد مختلف، ولا شك أن كل واحد يساهم في بلورة تلك التمثلات المشتركة، إلا أن المشاعر الخاصة –بالأفراد– لا تصبح اجتماعية إلا عندما تنتظم بفعل قوى فريدة من نوعها، أي قوى يطورها تجمع الأفراد فيما بينهم، وتبعا لتلك التفاعلات المتبادلة والتركيب الذي تنتج عنه تصبح تلك المشاعر والتمثلات الخاصة شيئا آخر"[1].

وبهذا الشكل دوركايم جعل من التمثلات ظاهرة مختلفة عن الظواهر الأخرى ولها أسبابها التي تؤدي إلى ظهورها وهي بدورها سبب في ظهور ظواهر أخرى، لكن دوركايم يربطها من جهة أخرى بالخاصية النفسية التي لها دور في ظهور التمثلات "الكل يدل على أن الحياة النفسية هي دروس متواصلة من التمثلات لا نستطيع القول من أين تبدأ أو أين تنتهي" ويربط دوركايم بين التمثل والوعي على أنهما متلازمان فلا يمكن تعريف الأول إلا في ظل وجود الثاني وبالتالي لا يمكننا تصور أي تمثل بدون وعي.

يوضح دوركايم أن مصدر هذه التمثلات هي العلاقات التي تنشأ بين الأفراد بطريقة منظمة أو بين الجماعات الثانوية التي تتدخل بين الفرد والمجتمع، ويميز هنا بين نوعين من التمثلات: **التمثلات الفردية وهي ضمير كل واحد** و**التمثلات الجماعية وهي المجتمع في كليته**، فالأولى ليست محددة للثانية لكن أصلها، وتتوافق مع طريقة هذا الكائن الخاص الذي هو المجتمع ويرى الأشياء بتجربته الخاصة [2].

إن التمثلات حسب المفهوم الدوركايمي هي "طبقة واسعة من الأشكال الذهنية العلوم، الديانات، الأساطير، الفضاء، الوقت، الأفكار، المعارف، بدون تمييز، فهي مشتركة ويعاد إنتاجها بطريقة إجتماعية وهي متنقلة بين الأجيال وتمارس قهرا على الأفراد. وبهذا تمكن دوركايم ومدرسته من وضع تحليل لمختلف الميادين الإجتماعية وذلك بالارتكاز على فرضية: أنه يمكننا تفسير الظواهر انطلاقا من التمثلات والأفعال[3].

[1] محمد لمباشري، دوركايم والتمثلات الجمعية: مقاربة نفسية اجتماعية تربوية.

[2] S. Moscovici op cit p64.

[3] S. Moscovici op cit p65-66.

فالتمثلات إذا والأفعال شيئان مرتبطان ومتلازمان وغالبا ما تسبق التمثلات الأفعال، والتمثلات مستمدة من الثقافة وأشكال الوعي الإجتماعي.

بعد دوركايم استخدم لوسيان ليفي بريل مصطلح التمثلات الاجتماعية في دراسته للبنية المعرفية في المجتمعات البدائية ومقارنتها بالبنية المعرفية للمجتمعات الحديثة حيث رأى أن المجتمعات البدائية تستدل بنفس الطريقة للمجتمعات الحديثة غير أن الاختلاف يكون في المنطلقات الفكرية وطبيعة التمثلات التي ينطلقون منها لتفسير الواقع[1].

ويرى لوسيان ليفي بريل أن هناك أربع مبادئ رئيسية لدراسة التمثلات داخل المجتمعات البدائية:[2]

- الانطلاق من طبيعتها الاجتماعية المشتركة بين الأفراد وعدم التركيز على التمثلات الفردية.
- الانطلاق من كون كل تمثل هو نتاج الثقافة والبنية الاجتماعية التي تحدد أسلوب إدراك الواقع.
- دراسة الاعتقادات والاستدلالات العقلية من كونها متكاملة وليست متفردة.
- كل الأفراد على اختلاف الحضارات التي ينتمون إليها لهم ذات القدرات والوظائف العقلية.

في الأخير يمكننا القول أن مفهوم التمثلات الاجتماعية قد مر بفترة ارتبط فيها بالمعتقدات السحرية والأساطير والطقوس حيث تضمن كل أشكال التفكير الاجتماعي، ثم جاءت فترة أُهمل فيها هذا المفهوم لسببين رئيسيين هما:

- سيطرة النموذج الماركسي في علم الاجتماع الذي يؤمن أن التمثلات والأفكار والإيديولوجيات التي تمثل البناء الفوقي في المجتمع هي تابعة للبناء التحتي المادي وترتبط به بعلاقة تبعية، تعبر عنه وتتغير بتغيره.
- هيمنة المدرسة السلوكية في علم النفس التي لا تؤمن إلا بدراسة ما هو قابل للملاحظة وتهمل كل النشاطات الذهنية الغير قابلة للملاحظة المباشرة والقياس.

[1] جورج غروفيتش، الأطر الاجتماعية للمعرفة، تر: خليل أحمد خليل، ط2، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2008، ص60.

[2] لشطر ربيعة، التصورات الاجتماعية لأطفال الشوارع مدينة عنابة نموذجا، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس الاجتماعي، جامعة 20 أوت 55، سكيكدة، 2008، ص33.

ثم عاد المفهوم لدائرة الاهتمام خاصة بعد التطور الذي كان في كل من علم اجتماع المعرفة وعلم النفس الاجتماعي[1]، فعاد للظهور بقوة في ميادين مثل: علم الاجتماع، علم الأنثروبولوجيا، علم النفس الاجتماعي، التاريخ. كانت الانطلاقة الحقيقية لدراسة هذا المفهوم في ميدان علم النفس الاجتماعي على يد **سيرج موسكوفيتشي** وذلك في فرنسا من خلال بحثه الذي سعى من خلاله للتعرف على صورة نظرية التحليل النفسي عند الجماعات المختلفة وذلك في كتابه الذي نشر سنة 1961م ثم أعيد نشره سنة 1976م وكان بعنوان: "**التحليل النفسي صورته وجمهوره**"، وتميزت أعمال موسكوفيتشي على من سبقوه في دراسة التمثلات مثل جان بياجيه في علم النفس وإميل دوركايم في علم الاجتماع أنه حاول أن يوصل بين الجانب النفسي للتمثلات والجانب الاجتماعي، كما هدف إلى أن ينزع الصورة السلبية عن التمثلات بأنها عبارة عن قوالب فكرية مسبقة وجاهزة من خلال التعرف على السيرورة التي تنتج من خلالها وبيان الجانب المكتسب والاجتماعي فيها.

اتسعت الدراسات التي تناولت مفهوم التمثلات الاجتماعية مثل دراسات كل من كايس، جودلي، اللذان ركزا على الدراسات الوصفية للتمثلات الاجتماعية في حين ركز باحثين مثل أبريك على دراسة علاقة التمثلات الاجتماعية بسلوكي التنافس والتعاون، ومن هذه الناحية سوف نركز على علاقة التمثلات الاجتماعية للهيمنة الأنثوية من خلال التنافس.

خاصة أن كارل ماركس ذهب إلى أن أهم أسباب التغير الاجتماعي هو الوعي، حيث يدعو العمال إلى نبذ التمثلات الزائفة القائمة على استغلالهم والثورة بالعنف على النظام المستبد بكل أركانه ومقوماته واسترجاع مصدر القوة وهو رأس المال للقضاء على قوة وسلطة الطبقة المالكة لوسائل الإنتاج وإعادة بناء علاقات إنتاج جديدة ووعي ثقافي جديد قائم على التوزيع العادل للثروات داخل المجتمع من خلال نظام اشتراكي، والأنثى تبنت أفكار كارل ماركس وحولتها لصالحها عن طريق زرع الوعي الثوري أو أفكار الحركات النسوية التى تعد

[1]عامر نورة، التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية، إ: الهاشمي لوكيا، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس وعلوم التربية، قسم علم النفس، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، 2004م، ص 8-9.

من أهم أسباب التغير الاجتماعي، حيث تدعو هذه الحركات النسوية إلى نبذ التمثلات الزائفة القائمة على استغلالهم والثورة بالعنف على الهيمنة الذكورية، بكل أركانها ومقوماتها واسترجاع مصدر القوة وهو الاستقلال المالي للقضاء على قوة وسلطة الذكر وإعادة بناء علاقات جديدة ووعي ثقافي جديد قائم على تسلط الأنثى.

2. مدخل مفاهيمي للتمثلات الاجتماعية

إن مفهوم التمثلات الإجتماعية حديث النشأة، بحيث يرتكز على أعمال عالم النفس الإجتماعي Moxovici Serge الذي يرى أن التمثلات تقوم أساسا على التفاعل بين الأفراد و/أو الجماعات ويركز في دراسة التمثلات الإجتماعية على ديناميكيتها، وتطورها بدلا من محتواها فهذه التمثلات عبارة عن إندماج مجموعة من المعالم الجماعية والفردية[1] في نفس الاتجاه يصرح .Clénet J بأن التمثلات تتشكل عندما نتفاعل مع الآخرين، وعن طريق الاتصال بالواقع نتيجة لنشاط ما. وبالتالي التمثلات الإجتماعية هي نشاط وسيرورة فردية، جماعية، وإيديولوجية. ويعرفها Jodeler على أنها شكل من المعرفة المبلورة، والمشتركة إجتماعيا ولها هدف ملموس في بناء الواقع المشترك لجماعة ما، ويضيف أن التمثلات يجب أن تعرف كمنتوج وكسيرورة. من هذا كله نستنتج أن التمثل هو من جهة منتوج للفكر البشري الذي يضع صورة لنفسه ولمحيطه، وذلك من أجل التفكير والتصرف وبالتالي التمثل هو الوجه الرمزي بين الفرد ومحيطه يقول Mosovici.S عن طريق التمثلات يعطي الفرد نماذج تفسيرية، ورموز تمكنه من إيجاد معنى وإعطاء دلالة للعالم الذي يحيط به ويؤكد .Jodelet D أن التمثلات الإجتماعية يجب أن تدرس كعنصر عاطفي وذهني واجتماعي[2] ومن جهة أخرى سيرورة، فهي عبارة نسق تفسيري عن طريقه الفرد يتفاعل مع محيطه، فهي تتدخل في عدة نشاطات معرفية، ولهذا تلعب دورا هاما في سلوك الفاعلين يقول .Clénet J "إن التمثلات الفردية هي عبارة عن سيرورة بواسطتها يتحكم

[1] Dominique Aimon, le concepte de representation, DEA, En science de l'éducation, 1998.

[2] JODLET Denis, Les Représentations sociale, P.U.F Paris, 1989, p41.

الفكر البشري في محيطه ويستعملها لتصحيح مساره" [1]. إذا نحن دائما بحاجة إلى معرفة ما الذي يربطنا بالعالم المحيط بنا، فيجب أن ندركه ماديا وفكريا من أجل حل المشاكل التي يطرحها، ومن أجل ذلك نشكل التمثلات، وأمام هذا العالم المنقسم إلى أشياء وأشخاص، وأحداث وأفكار فنحن لا نعيش منعزلين في فراغ اجتماعي، وبالتالي نتقاسم العالم مع الآخرين، ونتعاون معهم أحيانا من أجل فهمه، وتسييره أو مواجهته.

3. التمثلات الاجتماعية

1.3. مفهوم التمثلات الجمعية لإميل دوركايم

جاء إميل دوركايم بمفهوم التمثلات الجمعية **représentation collectives** لتشير إلى كل رمز أو معنى ذو دلالة عند الجماعة وتعكس هذه التمثلات التاريخ والتجربة المشتركة للجماعة[2]، ويرى إميل دوركايم أن التمثلات الجمعية هي الخبرة المشتركة للجماعة وتشتمل على المشاعر والأفكار والمعتقدات الجمعية وتشير إلى نظرتهم للعالم وتحدد طريقة تعاملهم معه، كما تشكل الهوية التي تميز الجماعة عن غيرها[3].

2.3. دور البناء الاقتصادي في تشكيل التمثلات الاجتماعية وفق كارل ماركس

رفض كارل ماركس مفهوم التمثلات الجمعية الذي جاء به إميل دوركايم لأنه في نظره ينتمي إلى البناء الفوقي الذي يخضع بالكلية إلى البناء التحتي المادي فليس له قيمة في ذاته باعتباره يتغير بتغير البناء الاقتصادي للمجتمع، فالتمثلات الاجتماعية في المجتمع الرأسمالي كانت تعبيرا عن إيديولوجية الطبقة المالكة التي تحاول أن تقنع بها الطبقة العاملة لتظل تسيطر عليها من خلال إيجاد وعي زائف ومشوه عن الواقع، وتساهم البلوريتاريا في استغلالها بقبولها لهذه التمثلات المفروضة عليها من الطبقة التي تملك وسائل الأنتاج.

---

[1] CLENET j, Représentation, Formation et Alternance, Edition Developpement l'harmattan, Paris, 1998, p70.

[2] فاروق مداس، قاموس مصطلحات علم الاجتماع، سلسلة قواميس المنار، دار مدني، د. س، ص65.

[3] سميرة أحمد السيد، مصطلحات علم الاجتماع، ط1، مكتبة الشقري، السعودية، 1997، ص35.

3.3. رؤية ماكس فيبر لبناء المعنى والتفاعل

التمثلات الاجتماعية عند ماكس فيبر هي مجموعة المعاني وقواعد السلوك والأحكام القيمية والعقائد المنظمة والمتجانسة التي يبنيها الأفراد عن العالم ويدركونها ويفسرون من خلالها ويتفاعلون وفقها[1].

4.3. التمثلات الاجتماعية وتشكيل الهوية عند بورديو

أراد تقديم فهم للتمثلات الاجتماعية من خلال دراسة العائلة كبناء اجتماعي يمثل مجتمع صغير يبني تمثلاته عن العالم من واقعه الاجتماعي والخصوصية التاريخية التي تميزه ليوجد معاني وأفكار مشتركة، وهذه التمثلات التي تبنيها العائلة عن الواقع تتجاوزهم كأفراد لتعبر عن خصوصية هذه العائلة في مقابل الآخر الخارجي فمن خلال هذه التمثلات التي تكونها الأسرة عن الواقع يظهر مفهوم الخصوصية عند أفرادها إذ تصبح مؤسسة تقابل بين ما هو خاص وعام، داخلي وخارجي، ويحدد بورديو وظائف التمثلات الاجتماعية في تحقيق الانتماء وتوجيه سلوك الأفراد وتحديد الهوية الخاصة للذين يشتركون فيها، وذهب بيار بورديو إلى أنه من الضروري الأخذ بعين الاعتبار التمثلات الاجتماعية المصاغة من قبل الأفراد لتفسير الواقع، فالتمثلات الاجتماعية عند بيار بورديو تمثل الحس المشترك المكون من مجموعة الآراء والمعتقدات المقبولة داخل جماعة معينة أو جماعات اجتماعية، خصوصية هذه الآراء والمعتقدات أنها تحمل صفة الإلزام لكل تفكير عاقل داخل الجماعة، وقد دعا بيار بورديو إلى أن على الباحث السوسيولوجي إحداث القطيعة مع التمثلات الاجتماعية لما تحمله من أحكام مسبقة تهدد التفكير السوسيولوجي الموضوعي[2].

من خلال بورديو يمكننا فهم التمثلات الاجتماعية بأنها مجموعة المعاني والأفكار المشتركة التي يبنيها الأفراد داخل مجتمع ما وتتضمن عملية الانتقاء والتصنيف الذي يشكل الحس المشترك للجماعة ويعبر عن خصوصيتها وهويتها كما يوجه سلوكياتها وفق ما تدركه من تمايز لها عن الجماعات الأخرى.

---

[1] عبد الكريم بزاز، علم اجتماع بيار بورديو، إ: نور الدين بومهرة، دراسة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، علم الاجتماع والديموغرافيا جامعة منتوري، قسنطينة، 2006، ص 24، 34.

[2] عبد الكريم بزاز، المرجع السابق، ص 11، 54.

5.3. مفهوم التمثلات الاجتماعية كنظام للمعرفة في نظر موسكوفيتشي

ظهر مفهوم التمثل الاجتماعي في علم النفس الاجتماعي مع سيرج موسكوفيتشي في كتابه الشهير "التحليل النفسي صورته وجمهوره" سنة 1961م وقد عرفه أنه: "عبارة عن شكل من أشكال المعرفة الخاصة بالمجتمع، إنها نظام معرفي وتنظيم نفسي، وتعتبر جسر بين ما هو فردي وما هو اجتماعي، إذ تسمح للأفراد والجماعات بالتواصل والذي يدخل في بنية دينامية المعرفة".

6.3. التمثلات الاجتماعية وتنظيم العلاقات الرمزية عند وليم دواز

إعتمادا على مفهوم الحقل الاجتماعي عند بيار بوردو وتعريف سيرج موسكوفيتشي للتمثلات الاجتماعية بأنها: "سيرورة توسط بين المفهوم وإدراكه"، يعرف وليم دواز التمثلات الاجتماعية على أنها: "المبادئ المولدة لتموقعات إدماجية خاصة في مجموعة العلاقات الاجتماعية وهي التي تنظم السيرورة الرمزية الفاعلة داخل هذه العلاقات".

مما سبق يمكن تعريف التمثلات الاجتماعية بأنها منظور تفسيري، يتطلب استيعاب المعارف والمعنى الذي أعطي لها داخل الجماعة التي ينتمي إليها الفرد وقبل ذلك، اللغة المستخدمة في إنتاج هذه المعرفة وسياق إنتاجها، حيث تعد عاملا من عوامل التماسك والتمايز للأفراد والجماعات التي تلتزم بعناصر مشتركة كما أنها تأكيد على الولاء للعناصر الثقافية المشتركة والذي لا يقتصر على الولاء الفكري بل تجسده في المواقف المختلفة بهذا فهي تلعب دوراً رئيسيا في تشكيل إطار الشراكة والهوية الثقافية للفاعلين الاجتماعيين.

4. التمثلات العقلية

بدأ استخدام مصطلح الصورة الذهنية عندما أصبح لمهنة العلاقات العامة تأثير كبير على الحياة الأمريكية مع بداية النصف الثاني من القرن الماضي، وقد كان لظهور كتاب "تطوير صورة المنشأة" للكاتب الأمريكي لي بريستول عام 1960 أثر كبير في نشر مفهوم صورة المنشأة بين رجال الأعمال ثم اتسع مجال استخدامه ليشمل مجالات التجارة والسياسة والإعلام، كما تبلور هذا المفهوم مع ظهور كتاب "السلوك الدولي" لمؤلفه هاربرت كليمن عام 1965 [1].

1.4. رؤية هولستي للصورة الذهنية

"إنها مجموعة من المعارف، والأفكار، والمعتقدات التي يكونها الفرد في الماضي والحاضر، والمستقبل، ويحتفظ بها وفق نظام معين، عن ذاته، والعالم الذي يعيش فيه، ويقوم الفرد بترتيب هذه المعارف والمعتقدات، ويحتفظ بأهم خصائصها وأبرز معالمها، لاستحضارها عند الحاجة، كما يتدخل في تكوين هذه الصورة الخبرات السابقة، المباشرة، وغير المباشرة، التي يتعرض لها الفرد"[2].

يشير مفهوم الصورة الذهنية إلى وجود عالمين يعيش الفرد ضمنهما، عالم محسوس يتمثل في العالم الخارجي وما يتلقاه الإنسان عبر حواسه من معلومات مباشرة منه، وعالم داخلي يتمثل في قدراته وبناه العقلية والنفسية التي يستعملها في ترجمة المعلومات التي يتلقاها من العالم الخارجي للإحاطة به من خلال الصورة الذهنية.

2.4. الصورة الذهنية بين التبسيط والتحريف

بين حماد إبراهيم حامد أن الصورة الذهنية تساعد الإنسان على ترجمة وتبسيط البيئة الخارجية التي تتصف بالتعقيد بتصنيف الأشياء الخارجية إلى مجموعات معينة، كما ذهب وولتر ليبمان في كتابه "الرأي العام" الذي

[1] ميرال مصطفى عبد الفتاح، صورة العرب –في الفضائيات الإخبارية الأجنبية–، ط1، دار العالم العربي، القاهرة، 2013، ص 19.

[2] جمال بن عمار الأحمر، الصور الذهنية –في الفلسفة والعلوم الإنسانية–، ط1، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، 2016، ص 10.

نشره عام 1922م أن الإنسان يصعب عليه الإحاطة بحقائق العالم الخارجي كما أنه لا يملك الوقت الكافي لذلك فيجبر على تكوين صور ذهنية تبسط العالم وتعد صور تمثيلية للواقع غير حقيقية[1]. وبين ليبمان أن الإنسان يرى ذهنيا كثيرا من العوامل التي لا يستطيع أن يراها بعينه، ما يدفعه إلى تشكيل صور ذهنية عن هذه العوالم تمثل منظارا يحكم به عليها، وهنا تكمن الخطورة حيث أن الصورة السلبية المشوهة ستفضي إلى تمثلات مقولبة محصورة فيها[2].

3.4. التمثل العقلي: رؤية بياجيه وبرونر لنمو المعرفة

تكلم جان بياجيه في نظريته حول النمو المعرفي للطفل على عملية التمثل التي قال عنها أنها: عملية استيعاب الفرد لمدركات وعناصر البيئة الخارجية ضمن مخططاته العقلية التي تعمل على تنظيم تلك المدركات الخارجية من أحداث ووقائع وغيرها حسب خصائصها المشتركة لتسهيل استيعابها وتساهم في نمو المخططات العقلية للطفل، ورأى بياجيه أن عملية التمثل تقوم مع عملية الموائمة* على تحقيق موازنة* الفرد مع بيئته[3].

أشار برونر إلى عملية التمثل ورأى أنها: عملية تحويل ما في العالم الخارجي من مدركات ومعلومات إلى أشياء قابلة للتخزين في البناء الذهني للفرد من خلال الصور والرموز، ورأى أن عملية التمثل العقلي تختلف من مرحلة نمائية إلى أخرى بحيث توجد ثلاث مراحل تقابل أربعة مراحل نمو عند بياجيه تظهر عملية التمثل في كل مرحلة فيها بشكل معين يتلاءم مع طبيعتها، الأولى التمثل العقلي بالنشاط والفعل وهي موازية لمرحلة الحركية الحسية عند بياجيه ثم التمثل العقلي بالأيقونة وتقابل مرحلة ما قبل العمليات عند بياجيه والتمثل العقلي بالرمزية وتقابل مرحلتي العمليات العيانية ومرحلة العمليات المعرفية المجردة[4]. وتعرف الصورة الذهنية أيضا

---

[1] جيرنو أحمد جالو، الفضائيات المتخصصة والصور الذهنية، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، نبلاء ناشرون وموزعون، عمان، 2016، ص 52-53.

[2] علي خليل شقرة، الإعلام والصورة النمطية (صورة العرب والمسلمين نموذجا)، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2015، ص 12.

*المواءمة: هي العملية العقلية التي بمقتضاها يتم إنشاء مخطط جديد أو تعديل في مخطط متاح ويحدث ذلك تغيير ونمو في الأبنية العقلية.

*الموازنة: هي العملية المسؤولة عن التنظيم الذاتي في الحياة العقلية للفرد ويتم من خلالها تكيف وموازنة الفرد لمتطلباته مع متطلبات البيئة.

[3] علي فالح الهنداوي، علم نفس النمو-الطفولة والمراهقة-، ط2، دار الكتاب الجامعي، العين، 2002، ص70.

[4] محمد عودة الريماوي، علم نفس النمو-الطفولة والمراهقة-، ط2، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2008، ص 93-95.

على أنها عملية عقلية يسترجع بواسطتها الفرد مدركات حسية وخبرات شعورية في شكل صورة عقلية تقوم مقام الشيء المدرك في غيبته، وتتميز عنه فلا تطابقه كما أنها أكثر قابلية للنسيان وأقل وضوح من المدرك نفسه[1].

4.4. الصورة الذهنية كأساس للتقويم

عرف أديب خضور الصورة الذهنية أنها "مجموعة الأحكام والتمثلات والإنطباعات القديمة والجديدة الإيجابية منها والسلبية التي يأخذها شخص أو جماعة أو مجتمع عن آخر ويستخدمها منطلقا وأساسا لتقويمه لهذا الشخص ولتحديد موقفه وسلوكه إزاءه"[2].

من خلال التعريفات السابقة يمكن القول أن الصورة الذهنية هي بناء عقلي، يعتمد مجموعة من المعلومات والأفكار يتلقاها الفرد من خبراته الذاتية أو محيطه الاجتماعي عن شخص، ظاهرة ...، ويستعملها في تصنيف الوقائع الخارجية إلى مجموعات تسهل تفسير الواقع الخارجي والتفاعل معه إيجابيا أو سلبيا بحسب مضمون التمثل، تتسم الصور الذهنية بالمرونة، وقابلية التغيير، إلا أنها قد تتحول إلى صورة نمطية مقولبة حيث يطلق هذا الأخير على الصورة النمطية السلبية المتصفة بالجمود، التحيز وتشويه صورة الآخر دون خبرة حقيقية مباشرة بالموضوع.

[1] كامل محمد محمد عويضة، علم نفس الشخصية، سلسلة علم النفس رقم: 14، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ص 150-151.

[2] باقر موسى، الصورة الذهنية في العلاقات العامة، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، نبلاء ناشرون وموزعون، 2014، ص 56.

5. أبعاد التمثلات الاجتماعية

ذهب **موسكوفيتشي** إلى أن للتمثل الاجتماعي ثلاث أبعاد: المعلومات ومجال التمثل والاتجاه.

البعد	تعريفه	ربطه بالهيمنة الأنثوية
المعلومات	وجود المعلومات والمعارف المتداولة بين أفراد الجماعة حول موضوع التمثل.	يعتبر توفر المعلومات حول دور الأنثى في مجالات السلطة من العوامل التي تؤثر في قبول أو رفض الهيمنة الأنثوية.
حقل التمثل	مجموعة القيم والمعايير والمعتقدات السائدة في الجماعة، والتي تعكس هويتها وخصوصيتها الثقافية.	القيم والمعايير الثقافية تؤثر على كيفية إدراك او تمثلات المجتمع للانثى المهيمنة. في المجتمعات التي تؤمن بالقيم الأبوية، تكون الهيمنة الأنثوية مرفوضة.
الاتجاه	الموقف العام من الموضوع، سواء كان **إيجابيًا** أو **سلبيًا**.	الاتجاهات العامة نحو الهيمنة الأنثوية تحدد مدى قبول أو رفض فكرة الانثى القوية والمتسلطة في المجتمع. هناك اتجاهات وآراء تدعم الهيمنة الأنثوية كالحركات النسوية، بينما هناك اتجاهات تقاومها.

الجدول رقم 01: أبعاد التمثلات الاجتماعية وإسقاطها على الهيمنة الأنثوية (المصدر: من إعداد الطالبة).

6. خصائص التمثلات الاجتماعية

الخاصية	تعريفها	ربطها بالهيمنة الانثوية
الارتباط بالموضوع	التمثلات الاجتماعية تعكس تصورات الذات لظاهرة أو موضوع، مادي أو معنوي، حيث تتفاعل خصائص الذات المدركة مع الموضوع الخارجي، مما يحوّله إلى وجود داخلي في البناء الذهني للفرد يختلف عن وجوده الأصلي[1].	في حالة الهيمنة الأنثوية، الموضوع هو دور الأنثى في السلطة، حيث تتفاعل الذات الاجتماعية مع هذا الموضوع وتبني تمثلاتها الخاصة حوله.
الرمزية والدلالية	التمثلات الاجتماعية تُعيد تقديم واسترجاع الموضوع من خلال الرموز الذهنية التي تعبر عنه وتُعطيه معنى ودلالة.	الهيمنة الأنثوية قد تكون ممثلة من خلال رموز معينة في المجتمع، مثل صورة الأنثى القوية أو المتسلطة التي تعكس القيم الثقافية أو الاجتماعية المرتبطة بالسلطة النسائية. في بعض الثقافات، قد تُعتبر الأنثى القوية رمزًا لـ التهديد أو التحدي للنظام الأبوي.
الصورية	التمثلات الاجتماعية تحول المعارف المعقدة إلى صور ذهنية لتبسيط الواقع وجعل المعارف الجديدة أسهل للفهم.	الهيمنة الأنثوية يمكن أن تتحول إلى صور ذهنية معينة، مثل الأنثى القوية في العمل أو الأنثى المسيطرة في الأسرة، مما يجعل هذا المفهوم أكثر قابلية للفهم والتفسير داخل السياق الاجتماعي.
البنائية	التمثلات الاجتماعية هي عملية تركيب وبناء ذهني للواقع، وهي ليست مجرد استرجاع للصور بل إعادة صياغة الواقع.	التمثلات حول الهيمنة الأنثوية تتضمن إعادة بناء دور الأنثى في المجتمع، بما يتماشى مع التحولات الثقافية والاجتماعية، مثل التحولات في الحقوق السياسية والاجتماعية للأنثى.
الإبداع	تتم عملية إعادة بناء الواقع على عملية أخرى أساسية في بناء التمثل وهي عملية تنظيم العناصر والمعلومات بطريقة مغايرة لتنتج واقع جديد يلائم بيئة الفرد الاجتماعية والثقافية، وهي عملية تتضمن عملية إبداعية تشبه إعادة إنتاج الواقع بريشة الرسام[2].	التمثلات الاجتماعية للهيمنة الأنثوية قد تشمل إبداعًا ثقافيًا يعكس التغييرات في القيم الاجتماعية، مثل تصوير الأنثى في السلطة بشكل يتماشى مع المفاهيم الجديدة للمساواة أو التمكين النسائي

الجدول رقم 02: خصائص التمثلات الاجتماعية (المصدر: من إعداد الطالبة).

[1] سيد علي ميلود، تمثلات عمال القطاع الصناعي الخاص الواقع المهني، إ: كمال علي مزيغي، مذكرة لنيل شهادة ماجستير تخصص تنظيم وعمل، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2004، ص 41-42.

[2] لشطر ربيعة، المرجع السابق، ص40-41.

أما **موسكوفيتشي** فقد حدد خصائص التمثلات الاجتماعية كالتالي[1]:

- التمثلات الاجتماعية هي نتاج التفاعل الاجتماعي فلا تكون من دونه، ويتم تنظيمها في إطار معين بواسطة العمليات الاجتماعية ويعطي موسكوفيتشي مثالا: الأفراد الذين يجتمعون في مقهى يتحاورون على موضوع معين ويصلون في نهاية الأمر إلى فهم مشترك بينهم حوله ويكون لهذا الفهم خصائص محددة.
- لابد أن يكون مضمون التمثلات الاجتماعية من المحيط الاجتماعي للأفراد أي متعلقة بالجانب الاجتماعي للمعرفة.
- التمثلات الاجتماعية لها قيمة رمزية حيث تمثل دائما رمزا للأفراد أو الجماعة.

7. وظائف التمثلات الاجتماعية

1.7. الوظيفة المعرفية

تعمل التمثلات الاجتماعية على إيجاد عالم معرفي مشترك بين أفراد المجتمع الواحد، ينشأ بالاتصال بينهم ويستمر ويعزز بواسطة استمرار تأثير عملية الاتصال، حيث تتشكل معارفنا حول العالم المحيط بنا وواقعنا من خلال التمثلات الاجتماعية التي نحملها كفهم مشترك بيننا وبين أفراد المجتمع الذي نعيش ضمنه، فالمعاني التي تحملها الكلمات ويتم تبادلها وتناقلها بين الأفراد داخل المجتمع الواحد هي ملك مشترك بين جميع مستخدمي تلك اللغة، ومعارفنا كما ذهب لذلك موسكوفيتشي ليست ملكا فرديا وإنما هي منظمة انطلاقا من أساس مجتمعي وتعبر عن فهم مشترك للعالم المحيط بنا، فالتمثلات الاجتماعية في أساسها عبارة عن مجموعة المعارف التي نكونها عن ذواتنا وعن العالم المحيط بنا انطلاقا من التفاعل بين مجموعة من الخصائص الفردية كمستوى

[1] كولن فريزر وآخرون، تقديم علم النفس الاجتماعي، تر: فارس حلمي، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2012، ص 363.

الذكاء والإدراك وخبراتنا التي نستمدها من البيئة الاجتماعية المحيطة بنا وتصبح تلك المعارف إطارا مرجعيا مشتركا بين أفراد الجماعة[1].

يقول إميل دوركايم أن: "أفكارا بالغة التجريد شيمة أفكار الزمان والمكان هي في كل لحظة من لحظات تاريخها، على صلة حميمة بالبنية الاجتماعية المقابلة لها" فليس المجتمع هو الذي ينشئ تمثلاتنا ومعارفنا فحسب، وإنما هذه المعارف والتمثلات الاجتماعية هي التي تشكل الواقع الاجتماعي وتظهر في مختلف جوانب الوجود الاجتماعي، وقد خالفه في جزء من ذلك كارل ماركس الذي وإن كان يرى أن التمثلات الاجتماعية والمعارف المكونة لها ليست نتاج الوعي الفردي بل هي نتاج المجتمع وبالتحديد البنية الاقتصادية للمجتمع، إلا أنه يعارض إميل دوركايم في كون التمثلات الاجتماعية ومكوناتها قادرة على تشكيل الوجود الاجتماعي فهي عند كارل ماركس تابعة للبناء الاقتصادي تتأثر ولا تؤثر[2].

2.7. الوظيفة الاجتماعية

تكون الأفكار الاجتماعية ذات تأثير كبير في تحريك الجماهير وتوجيهها نحو أهداف مشتركة تساهم في بناء الهوية الاجتماعية داخل المجتمع غير أنها لا تصبح مسيطرة على توجيه الجماعات إلا إذا تجسدت في نفوسها على شكل تمثلات راسخة في أذهانهم فتصبح خاضعة لها وتعتبرها حقائق مطلقة واقعية إذ يمكن أن يتساوى في الخضوع لها العالم والجاهل داخل الجمهور، حيث يرى غوستاف لوبون أن الأفكار الاجتماعية لا ترتبط فيما بينها برابط منطقي فإذا حللناها نجدها تجمع في طياتها العديد من التناقضات التي تعجز الجماهير الخاضعة لها على إدراكها لأنها تسلم بها دون وعي، وتسيطر هذه الأفكار المشتركة على عقول الجماهير بشكل يمكن أن يدفعها إلى ارتكاب الأعمال الأكثر تناقضا من منطلق غياب الروح النقدية التي تسمح برؤية التناقضات داخلها، ويورد مثالا على ذلك بالهنود الذين تعلموا في جامعات أوربية أصبحت أفكارهم الاجتماعية

[1] كولن فريزر وآخرون، المرجع السابق، ص 360.

[2] جورج غروفيتش، الأطر الاجتماعية للمعرفة، تر: خليل أحمد خليل، ط2، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2008، ص 58، 63.

خليطا من التمثلات التقليدية لهم والتمثلات الاجتماعية للمجتمعات الأوروبية ليتشكل في أذهانهم نمطين من الأفكار الاجتماعية التي لا علاقة لإحداها بالأخرى، الأولى نتاج البيئة الاجتماعية الأولى لهم والثانية غربية بما تحمله كل منها من خصوصية وبحسب الصدف والمواقف يظهر أحد النمطين غالبا على الآخر مما يجعل سلوكياتهم تبدو متناقضة ظاهريا، يقول في ذلك: "أيا تكن الأفكار التي توحى للجماهير أو تحرض عليها، فإنه لا يمكنها أن تصبح مهيمنة إلا بشرط أن تتخذ هيئة بسيطة جدا أن تتجسد في نفوسها على هيئة صور، وليس هناك أي رابط منطقي من النوع القياسي أو المتوالي يربط هذه الأفكار الصور فيما بينها... إن الجمهور يتعرض لتأثير إحدى الأفكار المتنوعة والمختزنة في عقله، وبالتالي فهو يرتكب الأعمال الأكثر تناقضا واختلافا، فإنعدام الروح النقدية لديه لا يسمح له برؤية التناقضات"، وهذا كما بين ما يؤدي إلى سرعة تأثر الجماهير بالأحداث المختلفة وتصديقها للشائعات نتيجة لخلطها بين الحدث والتضخيم الذي يلحقه بالحدث يقول: "فالجمهور يفكر عن طريق الصور، والصور المتشكلة في ذهنه تثير بدورها سلسلة من الصور الأخرى بدون أي علاقة منطقية مع الأول"[1].

قد أكد لوسيان ليفي بريل على أن التمثلات الاجتماعية داخل المجتمعات البدائية تكون أكثر قوة منها في المجتمعات الحديثة التي تسودها التمثلات الفردية، ما يجعل هناك فارقا بين المجتمعين حيث ترتبط شخصية الفرد داخل المجتمعين في تمثلاتها المعرفية بطبيعة البنى الاجتماعية، ففي المجتمعات البدائية تعمل قوة حضور التمثلات الاجتماعية على تعزيز الأنتماء والاتحاد والمشاركة داخلها في حين أن ارتفاع مستوى حضور التمثلات الفردية داخل المجتمعات الحديثة يزيد من التمايز والفردانية به[2].

[1] غوستاف لوبون، سيكولوجية الجماهير، تر: هاشم صالح، ط1، دار الساقي، بيروت، 1991، ص 69، 82.

[2] جورج غروفيتش، المرجع السابق، ص 61.

3.7. الوظيفة التوجيهية

لا تتوقف وظيفة التمثلات الاجتماعية داخل المجتمع على الجانب المعرفي ولكن وظيفتها تكمن أيضا في الجانب العملي المتمثل إنتاج مجموعة من القيم والاتجاهات والآراء المشتركة بين أفراد المجتمع تتجسد في شكل سلوكيات يقومون بها استجابة للمواقف المختلفة، فتحدد بذلك نمط العلاقات الاجتماعية والتصرفات المختلفة للأفراد، كما ينتج عن ذلك نظاما للتوقعات يسهل على الأفراد داخل البناء الاجتماعي الواحد تبني السلوكيات المناسبة للبيئة الاجتماعية التي ينتمون إليها، فقد ذهب أبريك إلى أن التمثلات الاجتماعية تعرف لنا ما هو ممنوع وما هو مسموح داخل محيط اجتماعي معين[1].

4.7. الوظيفة التفسيرية

تمكن التمثلات الاجتماعية الأفراد داخل المجتمع من تفسير السلوكيات المختلفة التي تصدر عن الفاعلين الاجتماعيين الذين يشاركونهم بناء الواقع الاجتماعي من خلال نظام التوقعات المشتركة الذي توفره لأفراد المجتمع ويجعل سلوكا ما في موقف معين مقبولا ومبررا اجتماعيا أو مرفوضا مثل مسألة الثأر في صعيد مصر كتقليد اجتماعي يحركه تصور مشترك داخل الجماعة يبرر سلوك القتل للقاتل وحتى أحد أفراد عائلته وإن كان لم يقتل، وبالتالي من خلال وظيفة التفسير تساهم التمثلات الاجتماعية المشتركة في تسهيل عملية التواصل والتفاعل الاجتماعي وتقوية العلاقات الاجتماعية وإزالة أسباب الخلاف والشقاق إضافة إلى المحافظة على التمايز والهوية التي تميز جماعة عن جماعة أخرى ويقول **أبريك:** "للتمثلات دور جديد ألا وهو التدعيم والمحافظة على الموقف الاجتماعي لجماعة اجتماعية معينة"[2].

---

[1] لشطر ربيعة، المرجع السابق، ص42.

[2] عبيدي سناء، العوامل الأسرية التي تجعل الطفل في خطر تصورات الأخصائي النفسي في ولاية قسنطينة، دراسة ميدانية لنيل شهادة الماجستير في علم النفس العيادي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009، ص41.

8. استخدام مفهوم التمثلات في الدراسات الحديثة

لقد استعمل مفهوم التمثلات عند بعض علماء الإجتماع في دراساتهم الحديثة بشكل ملفت للانتباه ومن هؤلاء نذكر بيار بورديو الذي درس المجتمع الجزائري وخاصة منطقة القبائل وتناول بالتحليل البنيوي فكرة تمثلات الأشخاص للقرابة، والتمثلات التي تتولد عن علاقات هذه القرابة في المجتمع القبائلي وذلك في كتابه: القرابة "عنوانه فصل في« L'esquisse d'une théorie de la pratique » كتمثل و كإرادة" حيث حاول تفسير فكرة أن الفرد، من جهة مرتبط بالتمثلات المورثة عن جماعته ولكنه من جهة أخرى له إرادة بواسطتها يتصرف، يترجم ويعيد ترجمة هذه التمثلات التي يحولها في حياته اليومية إلى ممارسات تؤكد استقلاليته[1].

فحسب بورديو لا توجد علاقات اجتماعية إلا وتوظف مجموعة من التمثلات من بينها علاقة القرابة وهي عبارة عن علاقات مهيمنة في المجتمع القبائلي لها وظائفها الخاصة وذلك من أجل مقاومة التمثلات الفردية التي تراها منحرفة[2].

ومن الدراسات الحديثة التي تهتم بمفهوم التمثلات تلك التي قام بها عالم الإجتماعي الفرنسي Stotzel.J وهي عبارة عن مجموعة من التحقيقات التي أقيمت في مجموعة من الدول الأوربية حول تمثلات بعض القيم المقترحة مثل النزاهة، روح المسؤولية، الإيمان الديني وغيرها، حيث أثبتت هذه الدراسة أن تلك التمثلات متغيرة من دولة لأخرى.

[1] ADDI Lhouari, Sociologie et Antropologie chez pierre BOURDIEU, Edition de couverte, Paris, 2002, p137.

[2] BOURDIEU pierre, Esquisses d'une théorie de la pratique, Editions Du seuil, Paris, 2000/1972, p95,96.

1.8. مداخل دراسة التمثلات الاجتماعية

1.1.8. المدخل الأنثروبولوجي

اهتم العديد من الأنثروبولوجيين بدراسة تأثير الثقافة السائدة في مجتمع ما على التمثلات الجمعية حول الظواهر المختلفة فمثلا نجد روبرت هيرتز العالم الفرنسي اهتم بدراسة طقوس الموت كتجسيد للتمثلات الجمعية داخل المجتمع ووظيفتها الاجتماعية، ويتضح ذلك من خلال مقاله: "الإسهام في دراسة التمثل الجمعي للموت" الذي يعد من أهم تلك الدراسات التي قام فيها بدراسة التمثلات الجمعية لظاهرة الموت داخل المجتمع الأندونيسي وخاصة جزيرة بورنيو ووظيفتها المرتبطة بالمساهمة في استعادة البناء الاجتماعي لتوازنه وعودة العلاقات الاجتماعية بين الأحياء إلى طبيعتها بعد الموت، حيث لا ترى هذه المجتمعات في الموت شيء مفاجئ وعابر بل يسود اعتقاد على أنه توجد هناك فترة ما يكون فيها الشيء الفاني غير ميت وغير حي وأطلق عليها روبرت هيرتز تسمية الفترة الوسيطية حيث يتم في نهاية تلك الفترة إقامة عيد من خلاله تستعاد بقايا الميت وتعد لنقلها إلى مكان جديد من أجل التأكد من وصول الروح إلى أرض الأسلاف وتحول الميت إلى أحد الأسلاف[1].

كما اهتم المدخل الأنثروبولوجي بدراسة العلاقة بين أساليب الحياة الثقافية ومختلف التمثلات السائدة في المجتمعات عن مفهومي الصحة والمرض فوجد الدارسون في هذا المجال أن هناك علاقة بين النماذج الثقافية السائدة داخل مجتمع ما وتمثلاته للمرض وطرق الاستجابة له، إذ يحدد المناخ الثقافي ما نعتبره مرضا وكذلك الأسباب التي ننسبها لها، فمن بين الأمور التي اهتم بها علماء الأنثروبولوجيا هي التمثلات الاجتماعية للصحة والمرض وعلاقته بثقافة المجتمع، موضوع تأثير السحر في المجتمعات البدائية التي تعتقد تأثيره على الصحة والمرض. حيث لاحظ **كانون** أن هناك من الشباب الأصحاء داخل هذه المجتمعات من يموتون بفعل اعتقادهم بالسحر وفسر ذلك من الناحية الفسيولوجية بأنهم كانوا يعانون من الجوع والعطش والأنفعال الشديد نتيجة

[1] يحي مرسي عيد بدر، أصول علم الإنسان الأنثروبولوجيا، ج1، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2007، ص 234-235.

انتظارهم لمصيرهم المحتوم لشدة اعتقادهم بالسحر، ومنه ظهرت الدعوة في الأنثروبولوجيا إلى ضرورة البدء بالثقافة من أجل فهم التمثلات الاجتماعية عن الصحة والمرض داخل المجتمعات ويعتقد أنصار الأيكولوجيا وعلم الأوبئة الارتباط بين التمثلات الاجتماعية للصحة والمرض والمسائل المتعلقة بالتكيف مع الوسط الاجتماعي. ويُنظر للممارسات الثقافية في الموقف الايكولوجي كعلاج واق من المرض إذ تتداخل في هذا الموقف علاقات المتغيرات الثقافية والبيولوجية والفيزيقية. وحاول أنصار هذا الاتجاه التعرف على العوامل المشكلة للتمثل الاجتماعي نحو الصحة والمرض من منطلق الاهتمام بالمظاهر الاجتماعية والثقافية في علم الوبائيات ودورها في معرفة أسباب الأمراض وتوزيعها بين السكان وتأثيرها على علاقاتهم بالبيئة الطبيعية باختلافها حسب العمر، النوع، العرق، المكانة بالمجتمع المحلي ومما يزيد في توضيح إشكالية التمثلات الاجتماعية للصحة والمرض ربطها من قبل أنصار الأنثروبولوجيا الطبية بمفهوم الطب الشعبي كمكون أساسي لها[1].

كما اتجه العديد من علماء الأنثروبولوجيا أمثال: روث بينيدكت، مارغريت ميد، غريغوري باتيسون صاحب نظرية "علم البيئة الذهني"، رالف لينتون، أبراهام كاردينر إلى إعادة اكتشاف إرث المفكر الألماني جوهان غوتفريد هيردر الذي يعود إلى مفهوم "روح الشعب" المتشكلة من التقاليد الشعبية والتي يعتبرها أساس كل ثقافة وأساس التمثلات الاجتماعية حول العديد من المفاهيم كالذكورة والأنوثة والأدوار الاجتماعية والتوقعات المرتبطة بها...، وانطلقوا من هذا الإرث في دراسة العلاقة بين شخصية الأفراد داخل مجتمع معين وطبيعة الثقافة السائدة فيه فوجدوا أن هناك علاقة بين طبيعة الثقافة السائدة والتمثلات التي يحملها الأفراد عن مختلف الظواهر المحيطة بهم وطريقة تفسيرهم للواقع انطلاقا من تلك التمثلات[2].

[1] إسماعيل قيرة وآخرون، التصورات الاجتماعية ومعانات الفئات الدنيا، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، ص 10، 20.

[2] فيليب لايورت –تولرا، جان– بيار فارنييه، إثنولوجيا أنثروبولوجيا، تر: مصباح الصمد، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2004، ص49–50.

2.1.8. المدخــل الاجتماعـــي

يميل المدخل الاجتماعي في دراسة التمثلات الاجتماعية إلى اعتبار شخصية الفرد مجرد جزء من الكل الذي هو المجتمع وبالتالي لا تقيم اعتبارا لتمثل الفرد الذاتي إلا من خلال كونه تعبيرا عن التمثل الكلي للمجتمع، فتكون بذلك وظيفة عالم الاجتماع في دراسة التمثلات الاجتماعية تجاه حدث أو ظاهرة اجتماعية هو الكشف عن طبيعة القانون أو السلطة أو النظام الاجتماعي العام الذي يوجه ذلك التمثل ويحدده، ويعد جوهره الذي يقوم عليه، فالتمثلات الاجتماعية من منطلق هذا المدخل لا يجب أن تصدر عن عالم مادي وضيع يراعي المصالح الفردية في مقابل الجماعة بل على الفرد أن ينطلق في تمثلاته عن العالم ويبني قيمه انطلاقا من المجتمع والأمة والدولة حتى وان كان ذلك يعني التنازل عن بعض المصالح النفعية للفرد في مقابل المصلحة العامة، فالمجتمع ينشئ القوانين ويضع الحدود التي يسير عليها الأفراد ويتحدون كأعضاء وتعمل على بناء الواقع الاجتماعي المشترك بينهم وينطلقون منها في بناء تمثلاتهم عن العالم المحيط بهم ويعد هذا قوام كل تمثل اجتماعي يقول نيقولاي برديائف*: "وظيفة العالم الاجتماعي الموضوعي هو أن ينشئ القانون والنظام والسلطة، هذا هو جوهر أي تمثل اجتماعي"[1].

كما اهتم علماء الاجتماع بدراسة عملية التمثل لأهميتها في معرفة الطريقة التي ينتقل بها الفرد من كائن بيولوجي يتمركز حول ذاته إلى كائن اجتماعي، فالأفراد يولدون وهم لا يعرفون شيء عن ثقافة مجتمعاتهم، وعن طريق عملية التمثل يتم استيعابهم لثقافة مجتمعاتهم، كما أنه عند هجرتهم إلى بلد آخر يجد الأفراد المهاجرون صعوبة في البداية في تقبلهم للأوضاع الثقافية التي يجدونها في تلك البلدان وتدريجيا عن طريق

* نيقولاي الكسندروفتش برديائف: مفكر روسي ولد سنة 1874م في مدينة كييف توفي عام 1948م، يرى أن التمثلات الاجتماعية: هي أشد أنواع العبودية التي تعمل على إخضاع الضمير الفردي إلى سلطان الفكر المطلق الذي يعيق تحرر الفرد وانطلاقه نحو الإبداع والتجديد انطلاقا من تمثله الفردي، إذ أن التمثل الفردي هو الذي يوجد الأفكار فلا يعقل أن يستعبده ما أنتج، كما أن التمثلات الاجتماعية يمكن أن تشجع الأفكار الهدامة للمجتمع مثل القسوة والغدر والكذب وغيرها من الأخلاق المعيبة مثل ما هو الحال في النظام الاشتراكي وما أنتجه من تمثلات جمعية تشجع الجاسوسية والإرهاب والتعذيب.

[1] نيقولاي برديائف، العزلة والمجتمع، تر: فؤاد كامل عبد العزيز، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر، 1982، ص165.

التمثل يتم استيعاب تلك الثقافة الجديدة والتأقلم معها، كما أن الثقافات المختلفة ليست بمعزل عن بعضها وعن طريق الاتصال بين الثقافات يتم انتقال عناصر ثقافية من ثقافة إلى أخرى وبواسطة عملية التمثل يتم استدماج تلك العناصر الجديدة في الثقافة المستقبلة، لذا اهتم علماء الاجتماع بعملية التمثل التي تعد الطريق لبناء التمثلات الاجتماعية داخل المجتمع تجاه الظواهر والأحداث... باعتبارها العملية الأولى التي تنقل خبرات وثقافة المجتمع إلى الأفراد، ويرى **وليم أوجبرن** أن عملية التمثل ليست عملية سلبية إنما هي عملية تبادلية ففي عملية الأندماج لا يأخذ الأفراد فقط من ثقافة مجتمعهم بل يؤثرون هم أيضا في بناء ثقافة مجتمعاتهم[1]، ويسعى المدخل الاجتماعي إلى التعرف على التمثلات الاجتماعية من خلال تأثرها وتأثيرها في البناء الاجتماعي، فهي تشكل أنظمة تفسير تسير علاقتنا مع العالم ومع الآخرين كما توجه وتنظم سلوكياتنا وتعاملاتنا الاجتماعية، وقد سعى إميل دوركايم إلى التمييز بين التمثل الفردي والتمثل الجمعي واعتبر هذا الأخير يحكم التمثل الفردي ويوجهه دائما[2] من منطلق أن الظواهر الاجتماعية داخل أي مجتمع لا توضح لنا رؤية الأفراد الخاصة بل إنها تعكس التمثلات الاجتماعية التي يبنيها المجتمع تجاه القضايا المختلفة التي تهم أفراده، ومن ذلك تكون خارجة عن الأفراد وملزمة لهم فهم لا يوجدون قيمهم ومفاهيمهم عن العالم المحيط بهم إلا من خلال ما يقدمه المجتمع من معتقدات وتجارب وخبرات يكتسبها الأفراد في حياتهم الاجتماعية[3].

3.1.8. المدخل النفسي

بعكس المدخل الاجتماعي الذي يركز الاهتمام على البناء الاجتماعي، يركز المدخل النفسي على الفرد وأسلوب الحياة وما يرتبط به من سلوكيات وممارسات فردية تعبر عن علاقة الفرد بالظاهرة من منطلق فردي ذاتي ومنه دراسة التمثل من منطلق التفسير الفردي للظواهر، وقد اهتمت العديد من المقاربات في علم النفس العام بالتمثلات كمبحث للتعرف على آليات النمو المعرفي عند الإنسان وقد أشار موسكوفيتشي إلى أن جان

[1] أحمد رأفت عبد الجواد، مبادئ علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، د/س، ص97-98.

[2] لشطر ربيعة، المرجع السابق، ص37.

[3] علي بوعلاقة، بلقاسم سلاطنية، علم الاجتماع التربوي ـ مدخل ودراسة قضايا المفاهيم ـ، منشورات جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص96.

بياجيه كان أول من حاول التعرف على الميكانيزمات النفسية والاجتماعية الضرورية لبناء التمثلات قبل أن يشير إليها إميل دوركايم حيث اهتم بياجيه بالتمثل العقلي من خلال دراسته لمراحل النمو المعرفي للطفل، وقد أعاد موسكوفيتشي صياغة مفهوم التمثلات الاجتماعية بشكل مغاير لما أتى به إميل دوركايم الذي ركز على الجانب الاجتماعي مهملا الجوانب النفسية للفرد في بناء التمثلات الاجتماعية واعتمد في ذلك على نظرية التحليل النفسي لـ **سيغموند فرويد** الذي حاول التمييز بين التمثلات الفردية للطفل والتي تعتمد أساسا على متطلبات "**الهو**" كمركز لها وانتقاله عن طريق تعلم قواعد السلوك الاجتماعي بواسطة الوالدين وجماعة الرفاق إلى التعرف على التمثلات الاجتماعية الموجودة ضمن بيئته الاجتماعية مما يساعد على تشكل "**الأنا**" التي تعمل على الموازنة بين التمثلات الفردية والتمثلات الاجتماعية التي يمثلها "**الأنا الأعلى**" بما يتضمنه من تمثلات اجتماعية عن الواقع الاجتماعي والسلوك المرغوب به، فتنشأ بذلك التمثلات الاجتماعية ضمن سيرورة لم يتطرق فرويد إلى التعريف بها وتؤثر في سلوكيات الفرد بشكل شعوري أو لا شعوري، وقد سعى موسكوفيتشي إلى البحث في هذه السيرورة وكيفية تشكل المعارف والأفكار الاجتماعية والطريقة التي تأثر بها في وعي الأفراد داخل المجتمع، أما في علم النفس الجيني نجد جان بياجيه نشر ما بين 1980م-1996م في كتابه "تكوين الرمز عند الطفل، التقليد اللعب والحلم، الصور والتمثلات" أن التمثلات عند الطفل عبارة عن سيرورة تبدأ بعملية التقليد وتنتهي إلى استخدام الصور العقلية وذلك عند بلوغ الطفل سن الثامنة عشر[1]، ويكتسب الطفل القدرة على الترميز وفي هذه المرحلة يستطيع الطفل التمييز بين ذاته والعالم الخارجي كما يبدأ في التجريب والسعي إلى تعديل سلوكياته بما يتلاءم مع بيئته ويتمكن من تكوين صور عقلية عن الأشياء[2]، وقد أكد **فالون** على أن التمثلات تعد سيرورة تربط بين الفرد وبيئته وتوجد بالتقليد وتكتمل مع اللغة كما أكد على الأهمية المركزية للدور العاطفي في النمو المعرفي عند الطفل، أما بياجيه فيرى أن التمثلات تأخذ الأصل في التقليد

[1] جريدر فيروز، دراسة ميدانية حول التصورات الاجتماعية للأساتذة تجاه ظاهرة الفشل المدرسي في التعليم الثانوي، أوقاسي لونيس، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس المدرسي، جامعة منتوري- قسنطينة، 2010، ص29.

[2] علي فالح الهنداوي، المرجع السابق، ص72.

وتكتمل مع اللغة[1]، أما عن التمثلات في علم النفس الاجتماعي فقد كان هناك مسار مجتمعي مهم في تاريخ علم النفس الاجتماعي قبل موسكوفيتشي اهتم بالتمثلات إلا أنه كان مهمشا طيلة عقود القرن العشرون حيث ساد اتجاه اهتم بدراسة العمليات الفردية وتحليلها بطريقة بعيدا عن السياق الاجتماعي حتى جاء إسهام موسكوفيتشي سنة 1961م ليعيد ربط التمثلات ببعدها الاجتماعي من خلال دراسته للتمثلات الاجتماعية حول نظرية التحليل النفسي فوجد أنه لا يوجد تمثل واحد إنما عدة تمثلات تختلف في المحتوى ومستوى البناء والتوجه العام للتحليل النفسي حسب الانتماء الاجتماعي[2].

9. العوامل المؤثرة في التمثلات الاجتماعية

1.9. المجال الفوري

ويقصد به المشكلة والمؤثرة في النظام المحيطي للتمثل والتي تنشأ من خلال الوضعيات المتغيرة للواقع أي الصلات الملموسة التي تنشأ خلال زمن التفاعل حسب ما جاء في بحوث مونيه وكاروغاتي وتؤثر في بناء التمثل الاجتماعي.

2.9. المجال الاجتماعي

يقصد بها العوامل المؤثرة في تشكيل النواة المركزية مثل: ماضي الجماعة، المكانة الاجتماعية التي يحتلها الفرد أو الجماعة المعينة في النظام الاجتماعي، حيث أن دلالة التمثل تكون متداخلة مع دلالات عامة تظهر في صلات رمزية تخص مجال اجتماعي معين[3].

---

[1] جريدر فيروز، المرجع السابق، ص29.

[2] عامر نورة، المرجع السابق، ص37

[3] بوسنة عبد الوافي زهير، التصورات الاجتماعية لظاهرة الانتحار لدى الطالب الجامعي–دراسة ميدانية بجامعة بسكرة–، إ: هاروني موسى، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم النفس الإكلينيكي، جامعة منتوري قسنطينة، 2007، ص31.

10. التمثلات الاجتماعية ووظيفة تبرير التمايز الاجتماعي

تحاول الدراسات السيكولوجية دراسة الإنسان وفهم سلوكاته في تفاعله الاجتماعي والنفسي داخل المجتمع الذي يعيش فيه ومن خلال التمثلات الاجتماعية يحدد إطار هذه العلاقة، فهي تبرر اتجاهاتنا التي نسلكها نحو الجماعات الأخرى، وأن يظهروا كيف أن التمثلات الاجتماعية داخل الجماعة لها وظيفة أساسية وهي تبرير السلوكات المتبناة من طرف الجماعات الأخرى حسب طبيعة العلاقات في تطورها وتغيرها فيما بين أعضاءها، ما يجعل تمثلات الجماعة الأخرى تتغير أيضا، فالتمثلات الاجتماعية لها وظيفة تبرير التمايز الاجتماعي حفاظا على البعد الاجتماعي بين الجماعات، فهي تعكس بذلك القواعد الأساسية الناجمة عن وضعية الفرد وتعطى معنى ودلالة لأفعاله وتسمح إذن بتبرير بعدي لاتخاذ المواقف والسلوك.

ملخص الفصل

في هذا الفصل، استعرضنا دور الأنثى في السلطة من خلال التمثلات الاجتماعية التي تتشكل بناءً على التفاعل بين الذات الاجتماعية والهيمنة الأنثوية. حيث تبين أن الهيمنة الأنثوية قد تتجسد في صور ذهنية ورمزية، مثل الأنثى القوية أو المتسلطة، التي تعكس القيم الثقافية والاجتماعية السائدة. في بعض الثقافات، تُعتبر هذه الصورة تحديًا للنظام الأبوي، مما يعكس الصراع بين أدوار الجنسين التقليدية والتحولات التي تحدث في أدوار الأنثى في المجتمع.

كما تطرقنا إلى كيف أن القيم والمعايير الثقافية تؤثر في كيفية إدراك المجتمع لهذه الهيمنة، فالمجتمعات التي تعتمد على القيم الأبوية قد ترفض الهيمنة الأنثوية، بينما تساهم الاتجاهات الحديثة مثل الحركات النسوية في دعم وتعزيز هذه الهيمنة. إن هذه التمثلات تُعيد بناء دور الأنثى في المجتمع بما يتماشى مع التحولات الثقافية والاجتماعية، مثل التقدم في الحقوق السياسية والاجتماعية للمرأة.

ختامًا، إن الفهم العميق للهيمنة الأنثوية يتطلب النظر في التغيرات الثقافية والاجتماعية التي تساهم في تشكيل هذه التمثلات، وتقديم صورة أوسع للأنثى في السلطة. في الفصل القادم، سنتطرق إلى مدخل أنثروبولوجي للهيمنة الأنثوية، لتوسيع هذا الفهم من خلال تحليل السياقات الثقافية والاجتماعية بشكل أعمق.

الفصل الثالث

مدخل أنثربولوجي للهيمنة الأنثوية

تمهيد

تناولنا في هذا الفصل مفهوم الهيمنة وفقًا لرؤى أبرز المفكرين، حيث استعرضنا مظاهرها وأبعادها ومراحلها المتعددة، لأن الهيمنة ليست مجرد ظاهرة سلبية، بل هي عملية معقدة تتداخل فيها مختلف القوى الاجتماعية والثقافية. كما تطرقنا إلى الهيمنة السوسيوثقافية، فمن خلال هذه الدراسة، سنقوم بتطبيق مفاهيم الهيمنة السوسيوثقافية، التي تناولها العديد من المفكرين مثل بورديو، غرامشي، وفوكو، على الهيمنة الأنثوية لفهم كيفية بناء وتأصيل هذه الديناميكيات في السياقات المختلفة. سنقوم بتحليل كيف تُستخدم التمثلات الثقافية، والتوقعات الاجتماعية المتعلقة بالأنثوية، لتحديد الأدوار الاجتماعية والسياسية للأنثى في المجتمع، ومدى تأثير هذه الأنماط على العلاقات الاجتماعية اليومية.

كما سنسلط الضوء على كيفية إسقاط نظريات بعض المفكرين على موضوع الهيمنة الأنثوية، ليتضح لنا أن هذه الهيمنة تأخذ أشكالًا متعددة وتعكس ديناميكيات مختلفة بين الجنسين. نستعرض كيف تُستخدم استراتيجيات الهيمنة الأنثوية لتحقيق القوة والنفوذ ضمن الأطر الاجتماعية، ونوضح كيف يمكن أن تكون النساء في مواضع قوة رغم التحديات الثقافية والاجتماعية المحيطة بهن.

من خلال هذا المدخل الأنثروبولوجي، سنعتمد على تحليل شامل يعكس التنوع في العلاقات بين الجنسين، ونكشف كيف يمكن للهيمنة الأنثوية أن تتجلى في سياقات متعددة، مما يسهم في إعادة تشكيل مفاهيم القوة والتأثير في المجتمع..

1. التطور التاريخي لمفهوم الهيمنة الأنثوية

الهيمنة الأنثوية هي سلوكيات يمكن تحليلها عبر تاريخ طويل من الأدوار المتغيرة للأنثى في المجتمعات المختلفة، والتي شهدت تطورًا من علاقات تقليدية تعتمد على الهيمنة الذكورية، إلى مفاهيم جديدة تتعلق بالقوة والسلطة النسائية في العصور الحديثة. والهيمنة الأنثوية في المجتمعات العربية تُعد موضوعًا معقدًا ومتعدد الجوانب، ومن خلال المنظور الأنثروبولوجي، نحاول دراسة الأدوار التي لعبتها النساء في المجتمعات بصفة عامة وفي المجتمعات العربية بصفة خاصة من العصور القديمة إلى العصر الحديث، والصراع بين الهيمنة الذكورية والهيمنة الأنثوية خلال هذه الحقب الزمنية.

1.1. العصور القديمة

في معظم المجتمعات القديمة، كانت الهيمنة الذكورية هي السائدة[1]، وتم النظر إلى الأنثى على أنها تابعة للسلطة الذكورية[2]، أما في العصر الجاهلي كانت الأنثى العربية لا تتمتع بأية حقوق أو امتيازات[3] وكانت السلطة الذكورية هي السائدة وكانت الأنثى تعيش قسوة المجتمعات القبلية مثل وأد البنات الذي كانت تفرضه عوامل اجتماعية ثقافية قبلية.

2.1. العصور الوسطى وأوائل العصر الحديث

في العصور الوسطى، في المجتمعات الغربية لعبت الكنيسة والدين المسيحي دورا فعالا في تعزيز الهيمنة الذكورية[4] وعملت على ترسيخ مبادئ خضوع الأنثى للذكر[5] إن استثنينا من ذلك النساء النبيلات أو الملكات

[1] عبيد الله العبيدي، المرأة في الجاهلية والإسلام، ط 1، دار الفكر العربي، 1995، ص 23.

[2] محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984، ص 54.

[3] عبيد الله العبيدي، المرجع نفسه، ص 30، 45.

[4] عباس حسن، المرأة في عصر النبي محمد، 2007، ص 101.

[5] فهمي الطاهر، المرأة في الإسلام: دراسة تحليلية، ط 2، مركز دراسات المرأة، دمشق، 1999، ص 78.

في مثل هذه المجتمعات، وعلى النقيض ففي العصر الإسلامي الأول تغيرت مكانة الأنثى العربية المسلمة بشكل كبير. فالإسلام منحها حقوقًا جديدة، مثل حق الإرث، حق التعليم، وحق الزواج وفق شروطها[1]. إلا أن الهيمنة الذكورية لم تختفِ تمامًا، بل تمت إعادة تشكيلها في إطار شرعي وفق تعاليم الإسلام. أما في عهد الخلافة الأموية والعباسية فقد كانت الأنثى في القصر الملكي تتمتع بنفوذ قوي في بعض الأحيان، لكن معظم النساء كن يعشن تحت سلطة الذكور في المجتمع العام.

3.1. مرحلة الثورات الصناعية والتنوير (القرن 18-19)

في هذه المرحلة في المجتمع الغربي طفت على السطح أفكار حول حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية[2]، وبالرغم من أنه في هذه الفترة بدأت الحركات النسوية في الظهور بقوة، مطالبة بحقوق المرأة، إلا أن الوضع السائد كان يتجسد في الهيمنة الذكورية. وبالمقابل في هذه المرحلة الأنثى العربية كانت تعيش العصر العثماني أين تدهور وضعها وازدادت الهيمنة الذكورية[3] مع تطبيق العادات والتقاليد القبلية والمحلية إلى جانب الشريعة الإسلامية.

4.1. القرن العشرين وبداية الحركات النسوية

في أوائل القرن العشرين، شهد العالم حركة نسوية قوية ركزت على حقوق المرأة[4]، وبدأت الأفكار حول الهيمنة الأنثوية بالظهور كجزء من رد الفعل على الهيمنة الذكورية التقليدية، وركزت على التحرر الجنسي والمساواة الاقتصادية، مع التأكيد على استقلال الأنثى في صنع القرارات داخل وخارج المنزل. كما أنه في هذه المرحلة التاريخية ظهرت حركات النهضة في العالم العربي، فبدأت النساء بالمطالبة بحقوقهن والتحدي ضد الهيمنة الذكورية[5]. في مصر، كانت هدى شعراوي من أوائل النساء اللاتي قدن حركة لتحرير المرأة ورفع مستوى

[1] نوال شفيق، نساء في الخلافة العباسية، ط 1، دار الكتاب العربي، بيروت، 2002، ص 92.

[2] نجلاء الهذلي، المرأة في العهد العثماني: تحليل تاريخي اجتماعي، ط 2، مركز الدراسات الاجتماعية والتاريخية، 2005، ص 115.

[3] ليلى حمدان، المرأة العربية في العهد العثماني، ط 1، دار الفكر العربي، بيروت، 2010، ص 75.

[4] هدى شعراوي، مذكرات هدى شعراوي، ط 2، دار الهلال، القاهرة، 1986، ص 50.

[5] ليلى أحمد، المرأة والحداثة في العالم العربي، ط 1، دار النهضة العربية، بيروت، 1992، ص 120.

وعيها. كما شهدت المجتمعات العربية بداية تحولات كبيرة في مكانة الأنثى، مع دخولها إلى التعليم والعمل[1]، خاصة أنه في هذه الفترة والفترات السابقة لها عملت القيم التقليدية على تعزيز النظام الأبوي الذي يعطي الذكور سلطة أكبر في المجالين الخاص والعام، الأمر الذي أدى إلى مقاومة هذه الهيمنة من خلال الحركات النسوية العربية.

5.1. العصر الحديث

في العقود الأخيرة، انتقلت الهيمنة الأنثوية من مجرد تحدي الهيمنة الذكورية إلى محاولة بناء مجتمع أكثر مساواة[2]. الحركات النسوية في العالم العربي، مثل "اتحاد المرأة العربية" و"نادي الأميرة بسمة"، قادت حملات لتحرير المرأة في كافة المجالات[3]. تركز هذه الحركات على قضايا مثل التمكين الاقتصادي، الحقوق القانونية، ومناهضة العنف ضد الأنثى. فالهيمنة الأنثوية اليوم تتخذ أشكالًا جديدة من خلال الوصول إلى مراكز السلطة في السياسة والاقتصاد والتعليم.

التطور التاريخي للهيمنة الأنثوية يعكس تحولات كبيرة في أدوار الأنثى ومكانتها في المجتمع، من الخضوع للسلطة الذكورية في العصور القديمة والوسطى، إلى الحركة النسوية الحديثة التي تطالب بالمساواة الكاملة بين الجنسين، التي تسعى لخلق ثقافة جديدة في المجتمعات.

[1] هدى شعراوي، المرجع نفسه، 1986، ص 55.

[2] هالة عبد اللطيف، النسوية العربية والتحولات الاجتماعية، ط 1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2019، ص 80.

[3] رجاء ناصر، المرأة العربية والمشاركة السياسية، ط 1، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، 2017، ص 45.

2. الهيمنة

جاء المصطلح بمفهومه العام في المعجم الوسيط كما يلي: "هيمن: سيطر عليه وراقبه. والمهيمن: من أسماء الله تعالى، بمعنى الرقيب والمسيطر على كل شيء"[1]، وحسب كورت لوين (Kurt Lewin) وهو أحد علماء النفس الاجتماعي، فإنّ الهيمنة تتضمن فكرة القوة[2] عنـد الطرف المهيمن، مقابل الخضوع والاستسلام عند المهيمن عليه. وحاولت مختلف العلوم وضع مرادفات أخرى للمصطلح، ففي إحدى موسوعات علم الاجتماع نجد "سيطرة، هيمنة domination أو الامتثال عن طريق القهر، فالأفراد قد يمارسـون القوة بعضهم على بعض الآخر، أي السيطرة، سواء باستخدام القوة الغاشمة، أو على أساس أنّ من تمارس معهم هذه القوة يتخيلونها بوصفها قوة شرعية"[3]، ويتبيّن من خلال التعريفين أن الهيمنة تتحقق إما بطريقة مباشرة "مادية" أو غير مباشرة "معنوية".

أمّا في علم النفس، فنجد مصطلحا آخر هو "السيادة" وهي حالة نفسية أو فيزيولوجية، يكون لها الأسبقية على غيرها من الحالات والخصائص، كما أنّها نزعة إلى التحكم في الآخرين[4]. يتضح لنا من خلال التعريفين أن الهيمنة، فـي علم النفس وعلـم الاجتماع، جاءت مرادفة لمفهومي السيطرة والسيادة، المعبرة عن شعور داخلي متأصل في النفسية البشرية، ويوجه سلوكها دون وعي منها.

ويُرجع المفكرون أصل المصطلح إلى غرامشي Antonio–Gramsci بمفهوم تسلّط دولة، الذي شاع في القرن العشرين، "أي قوة الطبقة الحاكمة في إقناع الطبقات الأخرى أن مصلحتها هي مصالح الجميع، وهي سيطرة أكثر براعة[5]" كونها خفيـة. ويشرح القول أحد المفكرين بأنّ الهيمنة لا تمارس بالسيطرة المادية المباشرة مـن خلال الجهاز العسكري – البوليسي، بل تمارس بالسيطرة الإيديولوجية الممارسة عبر الوسائط المنتشرة في

---

[1] إبراهيم أنيس، عطية صوالحي، المعجم الوسيط، ج 2، إشراف: حسن علي عطية، شوقي أمين، دار المعارف مصر، 1973، ص1005.

[2] Gustave Nicholas Fischer, la psychologie sociale, édition le Sevil, Paris, 1997, p121.

[3] جوردو نماريشان، موسوعة علم الاجتماع المجلد الأول، تر: محمد الجوهري، المجلس الأعلى للثقافة، ط 2، 2007، ص718.

[4] عبد العزيز، معجم علم النفس والتربية، ج 1، إعداد: فؤاد أبو حطب، محمد سيف الدين، تنفيذ: سعد الحرب، المطابع الأميرية، مصر، 1974، ص47.

[5] بيل أشكروفت جاريت، جريفث دراسات ما بعد الكولونالية، تر: أحمد الروبي، أيمن حلمي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط 1، 2010، ص 19.

المجتمع المدني، كالأحزاب السياسية والنقابات والكنائس ووسائل الإعلام وغيرها، لتكتسب من خلال عملية طويلة تستغرق سنوات عديدة[1]. معنى هذا أن "غرامشي وسع مجال استخدام المصطلح بعد أن تبناه من كارل ماركس ليعطي له دلالة مركبة، فبالإضافة إلى مفهومه الأيديولوجي أضاف له بعدا آخر وهو البعد الثقافي[2] المستلهم من "ماكس فيبر". فقد كان ماكس فيبر أول من تناول موضوع هيمنة الأفكار على الأفراد، بالخصوص الدينية، على أساس أن الدين يتدخل في عقلنة المجتمعات والسلوكات الحياتية[3]، فنجد عنده مفهوم الهيمنة مرادفا للسيطرة، وهي القدرة على فرض الطاعة المستندة إلى معتقدات وتمثلات فكرية، تفرض سلوكا معينا على الفرد الذي "يتعين عليه أن يجدّ ويجتهد في أداء رسالته بالعمل الشاق، والاستخدام المنظم للوقت، والزهد الصارم عن متع الدنيا وحاجاتها[4] والتي ستصبح بمثابة أخلاق يلتزم بها، هذه الفكرة الأساسية في وجود قوة داخل الأفكار، تجعل الأفراد المنتمين لنفس الجماعة ينصاعون لها، تعدّ الركيزة الأساسية للدّراسات الثقافية، خاصة فيما يتعلّق بمسألة الجنسين.

[1] كريس هارمان، غرامشي ضد الإصلاحية، تر: مركز الدراسات الاشتراكية، مصر د.ط، د.ت ص 29-30.

[2] ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ط 3، 2002، ص346.

[3] لوران فلوري، ماكس فيبر، تر: محمد مقلد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط 1، 2008، ص64.

[4] جوردون ماريشال، موسوعة علم الاجتماع، ص109.

3. مفهوم الهيمنة عند أبرز المفكرين

1.3. العنف الرمزي لدى بيير بورديو*: أداة خفية لترسيخ الهيمنة الأنثوية

العنف الرمزي يشير إلى التفوق والسيطرة التي يحصل عليها فرد أو مجموعة في المجتمع بفضل موارد وقدرات ومعرفة محددة، يعتقد بورديو أن الهيمنة هي نتيجة لاكتساب الرأسمال، والذي يشمل العديد من العناصر مثل الثقافة والتعليم والمال والنفوذ والعلاقات الاجتماعية.

وفقًا لبورديو، فإن الهيمنة تتيح للأفراد أو الجماعات استخدام مواردهم وقدراتهم لمواجهة الآخرين وتحقيق مكاسب وتفضيلات لصالحهم، وهذه الهيمنة قد تكون مفروضة بشكل صريح من خلال القوانين والسلطات، أو قد تكون ضمنية من خلال التفاهمات الاجتماعية والعادات والممارسات، كما يعتبر بورديو أن الهيمنة تلعب دورًا حاسمًا في تشكيل نظام الطبقات والتفاوتات الاجتماعية في المجتمع، ومع زيادة التفاوتات في توزيع الرأسمال، يزداد التكامل والتفضيل في الهيمنة، حيث يتم تعزيز فرص النجاح والسيطرة لأولئك الذين يمتلكون المزيد من الرأسمال.

بشكل عام، يشدد بورديو على أن هيمنة مؤسسات المجتمع والهيكل الاجتماعي ليست ثابتة، بل إنها تتغير وتتطور باستمرار بناءً على الصراعات والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع.

* ولد بيير بورديو سنة 1930 وتوفي سنة 2002. ولد ببيارن بجنوب فرنسا، درس الفلسفة، ونال شهادة الأستاذية في الفلسفة سنة 1954، دَرَس المنطق وتاريخ العلوم، وتابع حلقة دراسية في التعليم العالي حول الفلسفة عند هيجل. كما درَّس بكلية الآداب في الجزائر، واهتم بالدراسات الانتربولوجية السوسيولوجية، كما تقلّد عدة مناصب إدارية وبيداغوجية منها مدير معهد علم الاجتماع الأوروبي. كما يعد "بورديو" عالم اجتماع فرنسي، وأحد أبرز الأعلام الفكرية في القرن العشرين. يمثل مكانة مميزة في حقل الدراسات الإنسانية، شهد علم الاجتماع على يديه تجديداً فكرياً حقيقياً في المضامين والمصطلحات والدور والأهداف، فقد أحدث في تحليله للظواهر السياسية والاجتماعية والثقافية تغييراً في حقل الدراسات الثقافية، والأبحاث الاجتماعية النقدية، وفي مفهوم علم الاجتماع نفسه. وربما يكون بورديو آخر المفكرين الكبار الذين تركوا بصماتهم الفكرية، وأثروا بشكل عملي على الحركات الاجتماعية والسياسية التي شهدها النصف الثاني من القرن العشرين. كذلك يعتبر بورديو أحد أهم المنظرين الذي تعد أعمالهم أدوات للنضال الفكري والنظري فيما يعرف الآن بحركة العولمة البديلة، فإنه لم يكتف بإنتاجه الفكري، لكنه جسد الأفكار والمبادئ التي روّج لها في أعماله الى ممارسات عملية من خلال مشاركته الشخصية في المظاهرات والحركات الاجتماعية والسياسية مباشرة. ويعبّر بورديو عن مرحلة في الفكر الاجتماعي تتسم بالتفكير النقدي، والاهتمام بفاعلية نماذج الكشف عن المعاني الذاتية للأفكار، وتحليل إعادة الإنتاج الثقافي، وتحليل الممارسات الهادفة، وإعادة الإنتاج في ميدان الرموز وتحليل البنى الاجتماعية. وجسّد أفكاره هاته في مجموعة كتب قيمة نذكر منها "بؤس العالم"، "علل علمية في نظرية الفعل"، "العنف الرمزي"، "التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول".

العنف الرمزي هو أداة خفية تُستخدم لترسيخ الهيمنة الأنثوية من خلال فرض معايير اجتماعية وثقافية تُقبل على أنها طبيعية، تتمثل في السيطرة غير المباشرة التي تُمارس عبر وسائل الإعلام، التعليم، واللغة.

2.3. الهيمنة وفقا لماكس فيبر*: القوى الثقافية للهيمنة الأنثوية

يشير فيبر إلى أن الهيمنة هي سيطرة قوية وشاملة لمجموعة أو فئة من الأفراد على المجتمع أو النظام الاجتماعي، كما يعتقد أن الهيمنة تحدث بواسطة الطبقة الاقتصادية السائدة في المجتمع، بحيث يكون لها القدرة على تحديد القيم والاعتقادات والمعرفة التي تهيمن على الثقافة والسلوك الاجتماعي في المجتمع، وفي سياق الهيمنة، يستخدم فيبر مفهوم القوى الثقافية المسيطرة التي تعمل على تأطير وتوجيه تفكير الناس وتشكل نظرتهم للعالم، وتختلف القوى الثقافية من مجموعة واحدة إلى أخرى، وتشمل وسائل الإعلام والتعليم والدين والفنون والأدب والعادات والتقاليد والقوانين والمؤسسات الاجتماعية.

وتستخدم الهيمنة أيضا العنف والتهديد والتمييز والتحكم الاقتصادي كوسائل للحفاظ على السيطرة والهيمنة على المجتمع. ومن المهم ملاحظة أن مفهوم الهيمنة عند ماكس فيبر ليس محدودًا للطبقة الاقتصادية فقط، بل يشمل أيضا العوامل الثقافية والسياسية والاجتماعية التي تعزز وتدعم هذه الهيمنة.

ويمكن القول أن الأنثى إذا استحوذت على وسائل الإعلام والتعليم والدين والفنون والأدب والقوانين والمؤسسات الاجتماعية ضف إلى ذلك السيطرة الاقتصادية فإنها بذلك تبرز مخالب الهيمنة الأنثوية معتمدة على القوى الاقتصادية التي أصبحت في صفها.

*فيبر ماكس Max،Weber (1864 –1920) عالمٌ الماني في الاجتماع والاقتصاد والسياسة، وأحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث ودراسة الدولة، ساهم في تعريف البيروقراطية، وعمله الأكثر شهرة هو كتاب "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية" حيث أن هذا أهم أعماله المؤسسة في علم الاجتماع الديني وأشار فيه إلى أن الدين هو عامل غير حصري في تطور الثقافة في المجتمعات الغربية والشرقية، وفي عمله الشهير أيضا "السياسة كمهنة" عرف الدولة: بأنها الكيان الذي يحتكر الاستعمال الشرعي للقوة الطبيعية، وأصبح هذا التعريف محوريا في دراسة علم السياسة.

3.3. فكر ميشيل فوكو*: محايثة الهيمنة الأنثوية

الهيمنة هي مفهوم تم تطويره بواسطة فيلسوف فرنسي يُدعى ميشيل فوكو، الذي يُعرف بأنه أحد أعظم الفلاسفة والنقاد الاجتماعيين في القرن العشرين، فهو يعتبر من المبدعين الذين ساهموا في التفكير النقدي وفهم السلطة والاستبداد.

في نظر فوكو، الهيمنة هي طريقة لجعل السلطة والتفوق متجذرين في المجتمع والتي يتم فيها تحقيق ولاية السلطان والتأثير على الاخرين، حيث يربط الهيمنة بالتاريخ والمجتمع والسلطة، مشيراً إلى أنها عبارة عن عملية مستمرة تستخدم لجعل فئة معينة من الناس تسيطر على الآخرين، من خلال استخدام أدوات وميكانيزمات السلطة مثل القوانين والمؤسسات والأنظمة الاجتماعية والثقافية. كما يشير إلى أن هذه الميكانيزمات تستخدم لتشكيل طرق الفكر والأفكار والتمثلات المجتمعية، مما يجعل السلطة والهيمنة غير واضحة ومستمرة، بالإضافة إلى ذلك يرى أن الهيمنة ليست مجرد تواجد للسلطة، بل ترتكز أيضا على المقاومة والردود المتعددة من الأفراد والجماعات المستضعفة، ويعتقد أن الأفراد لديهم القدرة على تحويل الهيمنة والتصدي لها عن طريق الممارسات الثقافية والسياسية والاجتماعية.

* فوكو ميشيل: (1926 – 1984) فيلسوف، وعالم اجتماع واحد من أهم انثربولوجيي فرنسا لتيار ما بعد الحداثة، يعتبر من اهم فلاسفة النصف الاخير من القرن العشرين، تأثر بالبنيويين، ولد ميشيل فوكو في بلدة "Poitiers" وسط فرنسا، لأسر تريفية بسيطة. والده الطبيب الجراح البارز بول فوكو كان يأمل بأن يكبر ابنه ليشاركه مهنته ويرثها بعد. كان تحصيله العلمي في المراحل الأولى مترنحاً ما بين الجيد والمتوسط حتى انتقل إلى كوليدج سانت ستانيسلاس حيث تفوق بامتياز. انضم ميشيل فوكو إلى الحزب الاشتراكي الفرنسي من العام 1950 وحتى 1953، وقد انتسب إلى الحزب عن طريق "لويس ألتوسير"، لكن ما لبث أن تركه بعد أن أثارت قلقه تصرفات ستالين في الاتحاد السوفييتي. حصل فوكو على شهادة الأستاذية عام 1950. ليعمل محاضراً في مدرسته (Eacute;cole Normale) لفترة ما لبث بعدها أن تقلد منصباً في جامعة ليل (University of Lille) ليحاضر في علم النفس ما بين 1953 وعاد فوكو إلى فرنسا عام 1960 ليتابع الدكتوراه ويحصل أيضاً على شهادة في الفلسفة من جامعة كليمونصو فيران (University of Clermont–Ferrand) حيث التقى دانييل ديفر، أنتقل فوكو عام 1966 إلى جامعة تونس. ونشر في عام 1966 كتابه (الكلمات والأشياء) والذي لقي بالرغم من كبره وصعوبته شعبية واسعة. كان كل ذلك إبان اهتمامه البالغ بالبنيوية. وسرعان ما اعتبر فوكو واحداً من مجموعة مفكرين من أمثال جاك لاكان، وكلود ليفي ستراوس ورولاند بارت باعتبارهم الموجة الأحدث من المفكرين الساعين لتقويض النزعة" الوجودية" التي نشرها جان بول سارتر. أثار فوكو بعض الشكوك حول الماركسية، ما أغضب عدداً من النقاد اليسارين، وكان قد سئم من وصفه بأنه بنيوي. في أيار/مايو من عام 1968 . توفي فوكو نتيجة المرض في باريس بتاريخ 26 حزيران/يونيو 1984.

بشكل عام، فهم فوكو للهيمنة يسلط الضوء على العلاقة بين السلطة والمجتمع وكيف يتم تمرير السيطرة والغلبة على الأفراد والجماعات، إذ يركز على العوامل الاجتماعية والثقافية والتاريخية التي تشكل الهيمنة ويشير إلى أن الهيمنة ليست ثابتة وقابلة للتحويل من قبل الأفراد والمجتمعات المستضعفة.

حسب فكر ميشيل فوكو فإن الهيمنة الأنثوية تظهر كمقاومة وردود فعل من الأنثى باعتبارها تنتمي إلى الفئة المستضعفة، فتتصدى للهيمنة الذكورية المتفشية في المجتمع باستخدامها أدوات وميكانيزمات السلطة مثل القوانين والمؤسسات والأنظمة الاجتماعية والثقافية.

وعند إسقاط فكر كل من بورديو وفوكو وفيبر على الجنسين، يتضح أنه كلما زادت موارد الأنثى وقدراتها المعرفية والثقافية والتعليمية والمالية إضافة إلى النفوذ والعلاقات الاجتماعية كلما زادت هيمنتها على الجنس الآخر، فالحركات النسوية عندما وجدت الدعم الكافي انقلبت الموازين ليصبح المستضعف (الأنثى) هو المسيطر والمهيمن والمتحكم.

4. الهيمنة السوسيوثقافية

بين مالك بن نبي أن الثقافة علاقة جدلية تنشأ من خلال التفاعل العملي بين الفرد والمجتمع في جو ثقافي يمتص الفرد عناصره التي تشكل أسلوب حياة المجتمع في أبعاده الثلاث الجمالي، العملي، الفني أو الصناعي وبمظاهره المادية: روائح، أصوات، ألوان، والفكرية: اللغة، القيم والمعايير، العادات والتقاليد، منذ مهده وتظهر من خلالها السمة الإنسانية للأفراد، وهي تعبير عن التزام بين الفرد والمجتمع للحفاظ على استمرار الحياة الاجتماعية، وتوجد إمكانية التعايش والتواصل والتعاون بين المجتمعات المختلفة[1].

يرى فرانز بواز أن الثقافة هي أسلوب خاص ومتميز في الحياة يعبِر عن نفسه من خلال اللسان والمعتقدات والعادات ليؤثر في تشكيل الروح الخاصة للثقافة ويتجسَد من خلال تصرفات الأفراد وسلوكياتهم ليؤكد الرابطة القوية بين الفرد وثقافته[2].

يعرف إدوارد تايلور الثقافة في كتابه الثقافة البدائية أنها: "ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع"[3].

يعرفها **فرانتز فانون** على أنها: "إن الثقافة هي أولا وقبل كل شيء تعبير عن أمة، عن مفضلات هذه الأمة ومحرماتها ونماذجها، هي محصلة التوترات الداخلية والخارجية في المجتمع برمته وفي مختلف طبقات هذا المجتمع"[4].

---

[1] مالك بن نبي، مشكلات الحضارة –مشكلة الثقافة–، تر: عبد الصبور شاهين، ط4، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2002، ص90، 115.

[2] دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير السعيداني، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007، ص 41.

[3] حسين فهيم، قصة الأنثروبولوجيا، فصول في تاريخ علم الإنسان، سلسلة عالم المعرفة رقم 98، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون، الكويت، فبراير 1986، ص 114.

[4] عمار بلحسن، المشروعية والتوترات الثقافية الدولية ... المجتمع والثقافة في الجزائر، في: جيوفري نويل سميث، كينتين هور، غرامشي وقضايا المجتمع المدني، تر: فاضل جتكر، ط1، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، 1991، ص 378.

1.4. العلاقة بين الثقافة والهيمنة الأنثوية

الثقافة في كل المجتمعات سواء كانت غربية أو عربية على مر العصور، تؤدي دورًا محوريًا في صياغة القيم، الأفكار، والتمثلات المتعلقة بالجنسين وترجمتها إلى واقع معاش، مما يجعلها ترسخ الهيمنة الجندرية المبنية على الفوارق الذكورية والأنثوية، من خلال العادات والتقاليد التي تُزرع في الجنسين عبر التنشئة الاجتماعية من خلال التعليم والطقوس الثقافية.

من منظور أنثروبولوجي، هذه الأدوار الجندرية تُعتبر جزءًا من الهيمنة الثقافية التي تفرض معايير محددة حول ما يجب أن يقوم به كل جنس في المجتمع، ففي كثير من الثقافات، يُنظر إلى الذكورية على أنها مرتبطة بالقوة، السلطة والإنتاج، بينما تُربط الأنثوية بالرعاية، العاطفة، والاهتمام بالأسرة[1]. هذه التفرقة الثقافية تجعل الذكور في موقع الهيمنة والنساء في مواقع المهيمن عليه.

إضافة إلى التنشئة الاجتماعية التي تجعل الفوارق الجندرية تبدو طبيعية ومقبولة اجتماعياً، مما يسهم في تعزيز الهيمنة. إضافة إلى التربية ضمن نماذج محددة، فالولد يُربى على القوة والقيادة، بينما تُربى الفتاة على الطاعة والرعاية. هذه التنشئة تُعد أساسًا لثقافة الهيمنة الجندرية لأنها تحدد الأدوار المتوقعة من كل جنس بشكل مُسبق.

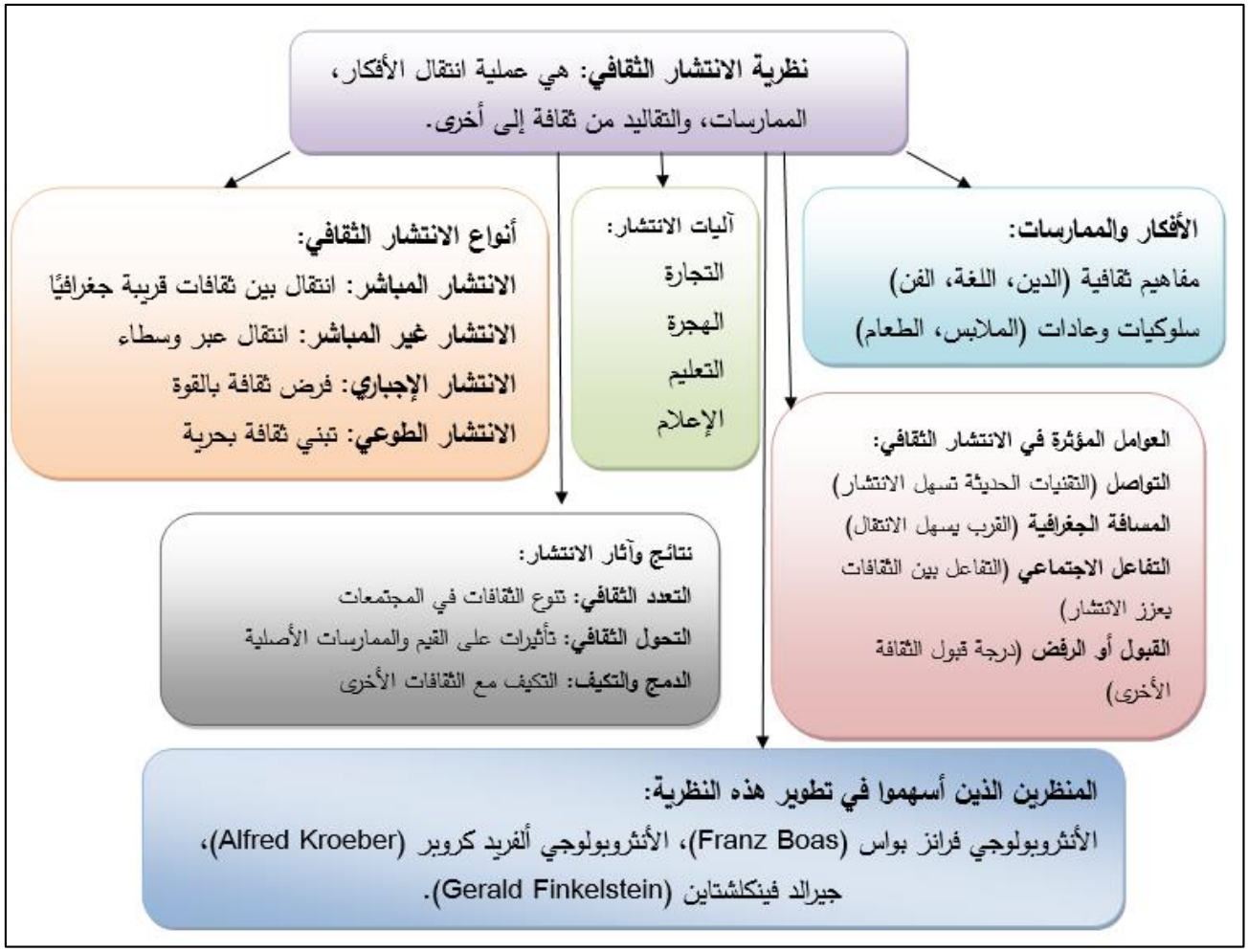
بيير بورديو، عالم الاجتماع والأنثروبولوجيا، أشار إلى أن الهيمنة الجندرية تُمارس من خلال ما يُعرف بـ "العنف الرمزي"، حيث يتم استخدام الثقافة لترسيخ مفاهيم جندرية محددة دون الحاجة إلى القمع المباشر، فيتم تشكيل الهوية الجندرية للأفراد بطريقة تجعلهم يقبلون بالأدوار المفروضة عليهم، ويصبحون مشاركين في الحفاظ على الهيمنة الجندرية دون أن يدركوا ذلك.

[1] Michel Foucault, The History of Sexuality, Volume 1: An Introduction, 1st edition, Vintage, 1976, pp 78_90.

رغم أن الثقافة تُستخدم كأداة للهيمنة الجندرية، إلا أن الأنثروبولوجيا وفي العصر الحالي تظهر أيضًا أن الثقافة يمكن أن تكون مجالًا لمقاومة الأنثى[1] لإعادة صياغة الأدوار الجندرية وتحدي الهيمنة، وعليه يتضح أن الثقافة ليست مجرد مكون جانبي، بل هي أداة رئيسية لتشكيل الأدوار كما يمكن للثقافة أن تكون مجالًا للمقاومة والتحرر الجندري من خلال التمرد على القيم والممارسات التقليدية.

5. النظريات المفسرة للهيمنة الأنثوية

1.5. نظرية الانتشار الثقافي



الشكل رقم 01: مخطط توضيحي لنظرية الانتشار الثقافي (المصدر: من إعداد الطالبة).

[1] Donna J. Haraway, Simians, Cyborgs, and Women : The Reinvention of Nature, 1st edition, Routledge, New York, 1991, pp 149_163.

نظرية الانتشار الثقافي تُشير إلى عملية انتقال العناصر الثقافية من مجتمع أو مجموعة إلى أخرى، سواء عبر التجارة، الغزو، الاستعمار، أو التفاعل الاجتماعي البسيط[1]. تؤكد هذه النظرية أن الثقافة ليست ثابتة أو معزولة، بل هي نتاج تفاعل مستمر بين المجتمعات، إذ يتم انتقال الأفكار، العادات، الأدوات، والتكنولوجيا بين الشعوب على مدى الزمن، مما يؤدي إلى تأثير ثقافي متبادل، ويُعتبر الاتصال بين الحضارات أحد المحركات الرئيسية للتطور الثقافي، حيث يتبنى كل مجتمع العناصر التي تناسبه ويمزجها مع ثقافته[2].

نظرية الانتشار الثقافي تفترض أن الثقافات تتأثر وتنتقل من مجتمع إلى آخر عبر تفاعل الأفراد والتبادل الثقافي. عند إسقاط هذه النظرية على الهيمنة الأنثوية في المجتمع المحلي المحافظ، نلاحظ أن تأثير الثقافات الغربية أو الثقافات العالمية الأكثر انفتاحًا قد يعزز من مطالب النساء بحقوقهن، مما يدفعهن إلى تحدي الأدوار التقليدية والتسلسل الهرمي الاجتماعي القائم على أساس الجنس.

في المجتمعات التقليدية، حيث تكون الأدوار الجندرية محددة بدقة، يواجه تأثير الانتشار الثقافي مقاومة ولكن أيضًا قبولًا جزئيًا، حيث تسعى النساء للتمرد على القيود من خلال استخدام الأدوات الثقافية المستوردة (مثل التعليم، العمل، وسائل الإعلام)، هذا يمكن أن يؤدي إلى ظهور نوع من الهيمنة الأنثوية، حيث تصبح النساء أكثر قدرة على التأثير في قرارات الأسرة والمجتمع.

تتعدد الأمثلة على كيفية تأثير انتشار الثقافات على الهيمنة الأنثوية، ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- تساهم المنظمات غير الحكومية الدولية (WINGOs) في نشر معايير حقوق المرأة من خلال تعزيز الوعي والمشاركة المدنية. فعلى سبيل المثال، ساعدت اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (CEDAW) في تعزيز حقوق المرأة في العديد من الدول النامية، مما أدى إلى تغيير المواقف الفردية تجاه حقوق المرأة.

[1] Chris Drew, The 6 Types Of Cultural Diffusion (AP Human Geography), 2023,

[2] د. يحيى سعد، نظرية الانتشار الثقافي، موقع دراسة للاستشارات والدراسات والترجمة، 2021.

- تقوم وسائل الإعلام بتعزيز نماذج جديدة من الهيمنة الأنثوية من خلال تصوير النساء في أدوار قيادية ومؤثرة، وهذا الانتشار الثقافي يمكن أن يغير التمثلات التقليدية حول دور الأنثى في المجتمع، مما يعزز من قوة النساء ويشجع على تحقيق المساواة.
- في بعض المجتمعات، أدت الحملات النسوية إلى تغييرات اجتماعية كبيرة، مثل حق التصويت للنساء والمشاركة في الحياة السياسية. هذه التغييرات غالبًا ما تتبع انتشار الأفكار النسوية من بلدان أخرى، مما يعكس تأثير الثقافة العالمية على القيم المحلية.
- تظهر دراسات حول تمكين النساء في غرب إفريقيا أن العوامل الثقافية تلعب دورًا هامًا في كيفية استجابة المجتمعات لمفاهيم تمكين النساء فالانتشار الثقافي للأفكار حول تمكين النساء يمكن أن يؤثر على السلوكيات المتعلقة بالخصوبة والتخطيط الأسري، مما يدل على تأثير الثقافة في تشكيل القيم الاجتماعية

هذه الأمثلة توضح كيف يمكن لانتشار الثقافات أن يؤثر بشكل عميق على الهيمنة الأنثوية ويعزز من مكانة النساء في المجتمعات المختلفة، ففي بعض المجتمعات، يمكن القول إن الهيمنة الأنثوية أصبحت مؤثرة بشكل متزايد بفضل انتشار الثقافات النسوية. النساء، من خلال مناصبهن في العمل والمجتمع، بدأن يلعبن دورًا كبيرًا في تشكيل القيم الثقافية السائدة، مع مرور الوقت، تحول مفهوم "الأنثى القوية والمستقلة" إلى قيمة مهيمنة في بعض المجتمعات.

نظرية الانتشار الثقافي تشرح كيف أن مفاهيم مثل الهيمنة الأنثوية والتمكين النسائي انتقلت عبر المجتمعات المختلفة وأثرت بشكل كبير على أدوار النساء في المجتمع. من خلال الإعلام والتعليم والتكنولوجيا، بدأت النساء في العديد من الثقافات تطالب بالمساواة وحقوقهن، مما أدى إلى تغييرات كبيرة في العلاقات الاجتماعية والنظام الاقتصادي والثقافي. مع ذلك، تبقى هذه التغيرات عرضة للصراع بين التقليدي والحديث، حيث تبقى بعض المجتمعات متأثرة بهياكلها التقليدية في محاولة لمواجهة هذا الانتشار الثقافي الجديد.

2.5. توظيف نظرية العنف الرمزي لتحليل ترسيخ الهيمنة الأنثوية

تستند نظرية العنف الرمزي التي طورها بيير بورديو إلى فكرة أن الهيمنة لا تتحقق فقط من خلال القوة الفيزيائية أو المادية، بل من خلال ميكانيزمات أكثر دقة، حيث يتم تكريس السلطة من خلال الثقافة والممارسات اليومية، ويظهر ذلك في كيفية تبني المجتمعات لأدوار الجنسين، حيث يتم قبول الهيمنة الأنثوية كجزء من النظام الاجتماعي، مما يجعلها "طبيعية" و"مقبولة".

بورديو يسلط الضوء على كيف تُشكل الحقائق الاجتماعية نظام الهيمنة، فالهيمنة الأنثوية في بعض المجتمعات يمكن أن تظهر كاستجابة للهيمنة الذكورية، على سبيل المثال، قد تستخدم النساء الهيمنة الأنثوية كوسيلة للمقاومة، ولكنها قد تبقى محصورة في أطر اجتماعية محددة تضع قيودًا على تلك القوة. ويُظهر هذا التحليل كيف يمكن أن تتنافس النساء على الهيمنة في مجالات معينة، مثل العمل أو السياسة، بينما يظل الذكور محتفظين بالسلطة في مجالات أخرى.

كما نستنبط من نظرية بورديو مفهوم الهيمنة المتبادلة، حيث يمكن أن تتواجد هيمنة الإناث والذكور معًا، مما يخلق ديناميكية معقدة، على سبيل المثال، في سياقات معينة، قد تحتل النساء مواقع قيادية ولكن تحت مظلة نظام ذكوري، مما يعني أن الهيمنة الأنثوية لا تلغي الهيمنة الذكورية بل تتفاعل معها.

من منظور بورديو أيضا، يُعتبر الجسد وسيلة لتعزيز الهيمنة، ففي الهيمنة الأنثوية، قد تُستخدم الأشكال الرمزية للجسد الأنثوي لتحدي المعايير الذكورية، ولكن هذه الرمزية يمكن أن يُساء استخدامها أيضًا لتعزيز الصور النمطية، فتجسد النساء في بعض الأحيان قوة غير تقليدية، ولكن في إطار صور مرسومة مسبقًا تعكس قيود المجتمع.

سنؤكد في هذه الدراسة على أهمية السياق الاجتماعي في فهم الديناميكيات بين الهيمنة الذكورية والأنثوية، حيث يُظهر تحليل التغيرات الاجتماعية والثقافية كيف تتبدل مواقع القوة بين الجنسين في مجتمعات معينة، مع التركيز على الكيفية التي تتداخل بها هذه القوى مع العوامل الثقافية والاقتصادية.

من خلال إسقاط نظرية بورديو يتضح أن الهيمنة الأنثوية تُرسخ من خلال قيم ومعايير اجتماعية تُعيد إنتاج نفسها باستمرار، ففي المجتمعات التي تعزز من صورة الأنثى كحامية للأسرة ورمز للعطاء، يتم تعزيز الهيمنة الأنثوية من خلال العنف الرمزي، كما يمكن ملاحظة ذلك في الطريقة التي تُنظر بها إلى الأمهات والزوجات، حيث يُعتبر دورهن في التربية والرعاية عنصرًا أساسيًا في البناء الاجتماعي.

العنف الرمزي يظهر أيضًا من خلال وسائل الإعلام والثقافة الشعبية، التي تعزز من تمثيل الأنثى كقائدة أو متسلطة، على سبيل المثال، يمكن أن تُعزز البرامج التلفزيونية ومواقع التواصل الاجتماعي بكل أنواعها فكرة أن الأنثى يجب أن يكون لديها السلطة في المجال العام، مما يُعيد تشكيل مفهوم الأنوثة.

من خلال تحليل ظواهر مثل الحركات النسائية في الجزائر، يمكن رؤية كيف تستغل النساء العنف الرمزي كأداة لتحقيق الهيمنة، وتستخدم النساء هذه الميكانيزمات لإعادة تشكيل الأدوار الجندرية، مُتحديات الصور التقليدية للهيمنة الذكورية.

يظهر العنف الرمزي أيضًا في كيفية تربية الأجيال على أدوار الجنسين، حيث يتم غرس قيم معينة منذ الصغر، فالأولاد قد يتم تربيتهم على القوة والسلطة، بينما تُشجع الفتيات على الرعاية والاهتمام، لكن في حالة ما إذا اختلت موازين هذه التنشئة على سبيل المثال في أسرة لا يوجد فيها ذكر فتتم تنشئة الإناث على القوة والسيطرة والسيادة، هذه العملية تؤدي إلى إنتاج الهيمنة الأنثوية من خلال الممارسات اليومية، والعكس، فالأسرة التي يتربى فيها الذكر مع مجموعة من الإناث يقلدهن أثناء التنشئة الاجتماعية في كل سلوكياتهن فيفقد هيمنته الذكورية، وبالتالي يصبح كل من الجنسين مُدافعين عن الأدوار المفروضة عليهم، دون إدراك أن هذه الأدوار قد تكون غير عادلة. فنظرية العنف الرمزي لبيير بورديو تكشف كيف تُعيد الثقافات إنتاج الهيمنة من خلال قيم ومعايير اجتماعية، مما يجعل هذه الهيمنة تبدو طبيعية ومقبولة.

3.5. نظرية الضابط الديني للسلوك



الشكل رقم 02: مخطط توضيحي لنظرية الضابط الديني للسلوك (المصدر: من إعداد الطالبة).

نظرية الضابط الديني للسلوك تشير إلى أن الدين، كمجموعة من القيم والمعتقدات الأخلاقية المستمدة من التعاليم الدينية، يلعب دورًا رئيسيًا في ضبط وتوجيه سلوك الأفراد والمجتمعات. هذه النظرية تعتمد على فرضية أن الضابط الديني يُعتبر من بين أهم الضوابط الاجتماعية التي تساهم في الحفاظ على التماسك الاجتماعي والتوازن الأخلاقي.

تُعتبر هذه من النظريات الهامة في علم الاجتماع والدراسات الدينية، لأنها تقدم تفسيرًا حول كيفية تأثير الدين في سلوك الأفراد والمجتمعات، وتُظهر كيف يمكن للقيم الدينية أن تكون أداة فعالة في الحد من التوترات الاجتماعية والجرائم، وتعزز من تماسك المجتمعات.

1.3.5. تدهور الضابط الديني للسلوك

إذا كانت نظرية الضابط الديني للسلوك تقوم على أساس أن داخل كل فرد كابح قوي وأن هذا الضابط هو الذي يتحكم في سلوك الفرد ويمنعه من ارتكاب الخطأ والأفعال المنحرفة، فكلما قوي هذا الكابح ابتعد الإنسان عن الوقوع في الانحراف مهما أحاط به من عوامل ومحفزات دافعة، وكلما ضعف كان مفسرا لوقوع الشخص في الانحراف.

2.3.5. العلاقة بين الأنثروبولوجيا ونظرية الضابط الديني للسلوك

الأنثروبولوجيون مثل ليفي شتراوس وتيرنر وموس اهتموا بدراسة دور الدين في تنظيم السلوك الاجتماعي وتحديد الهويات الثقافية. في سياق تدهور الضوابط الدينية، يمكن فهم كيف يؤدي فقدان الدين أو تقلص تأثيره إلى تفكك المجتمع وفقدان تماسك القيم الاجتماعية والأخلاقية. يمكن القول أن الدين في المجتمعات التقليدية يشكل الأساس الذي يحدد ويضبط العلاقات الاجتماعية، وفقدان هذا الضابط يؤدي إلى اضطرابات قد تكون مشابهة للنتائج التي تناولتها نظرية تدهور الضابط الديني للسلوك.

ولهذا يمكن القول أن المنظرين في الأنثروبولوجيا لم يتناولوا "نظرية تدهور الضابط الديني" بشكل مباشر، لكن هناك العديد منهم تناولوا أفكارًا مشابهة حول كيف أن الدين ينظم سلوك الأفراد في المجتمعات ويؤثر في تماسكها الاجتماعي.

- كان **فيكتور تيرنر** مهتمًا بالأحداث الرمزية والطقوس الدينية كوسيلة لتنظيم الحياة الاجتماعية في المجتمعات. طور مفهوم "الانتقالية" و"الطريق الثالث" الذي يشير إلى الحالات التي يتجاوز فيها الأفراد

الحدود الاجتماعية والرمزية من خلال الطقوس الدينية، مما يؤدي إلى إعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية[1]. أي عندما يفقد المجتمع طقوسه أو يتراجع تأثير الدين، فيتعرض الأفراد لخطر حالة "الانتقال" أو "الضياع"، حيث تصبح الروابط الاجتماعية ضعيفة، مما يساهم في تدهور سلوكيات الأفراد والجماعات في المجتمع. "الطقوس الدينية والرمزية تخلق حالات انتقالية وتهدف إلى إعادة تكوين النظام الاجتماعي، ويؤدي فقدان الطقوس إلى اضطراب في النظام الاجتماعي، حيث تصبح العلاقات الاجتماعية أكثر سيولة"[2]. في السياقات التي ترتبط فيها الهيمنة الأنثوية بالطقوس أو بالرمزية الدينية، قد يؤدي تراجع أو تحول هذه الطقوس إلى تغير في مكانة النساء. في بعض المجتمعات، قد تسهم الطقوس التي تعزز من مكانة الأنثى (مثل الطقوس الخاصة بالزواج أو الإنجاب) في تأكيد هيمنتها. في حال تراجع هذه الطقوس أو تحولات في ممارساتها، قد تجد النساء أنفسهن في حالة "انتقالية (liminality) "حيث تتداخل أدوارهن التقليدية وتظهر أشكال جديدة من الهيمنة، على سبيل المثال، إذا كانت هناك طقوس دينية أو اجتماعية تقليدية تعزز من دور النساء كحافظات للقيم المجتمعية، فإن تدهور أو تغيير هذه الطقوس قد يؤدي إلى إعادة تشكيل دور الأنثى داخل المجتمع، حيث يمكن أن يعزز ظهور الهيمنة الأنثوية في شكل مختلف أو يعزز استقلاليتها.

- على الرغم من أن **ليفي–شتراوس** لم يناقش مباشرة فكرة "تدهور الضابط الديني للسلوك"، إلا أنه اعتقد أن أنماط الحياة الدينية تشكل بنية أساسية ضرورية لتماسك المجتمع. في حال فقدت هذه الأنماط، قد يواجه المجتمع تفككًا أو تدهورًا في التقاليد والأنماط السلوكية الموروثة.

عندما يتراجع تأثير الدين أو القيم التقليدية التي تحدد الأدوار الاجتماعية للأفراد (مثل الطبقات الاجتماعية أو الأدوار الجنسية التقليدية)، قد ينشأ تحول في العلاقات بين الجنسين، وفي بعض المجتمعات قد يؤدي هذا التحول إلى تعزيز الهيمنة الأنثوية في ظل غياب الضوابط التقليدية التي كانت تضع النساء في أدوار

[1] Victor Turner, The Ritual Process : Structure and Anti-structure (New York : Cornell University Press, 1991).

[2] الأسود حافظ، الأنثروبولوجيا الرمزية – دراسة نقدية مقارنة الاتجاهات الحديثة في فهم الثقافة وتأويلها، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2002.

ثانوية. فعلى سبيل المثال، في بعض الثقافات التي كانت تسيطر عليها الأدوار الدينية والتقاليد التي تحد من حرية الأنثى، يمكن أن تساهم العلمنة أو تراجع التأثير الديني في زيادة استقلالية النساء وبالتالي في بعض الحالات، زيادة هيمنتهن الاجتماعية.

- درست **مارغريت ميد** تأثير الدين على دور الجنسين والسلوك الاجتماعي في ثقافات متعددة لأنها كانت مهتمة بالتأثيرات الثقافية على سلوك الأفراد في مجتمعات مختلفة. ركزت على كيفية تشكيل الدين للهوية الثقافية والسلوكية في المجتمعات، إذا تراجعت الضوابط الدينية، قد يؤدي ذلك إلى تحولات في أدوار الأفراد داخل المجتمع، مما قد يزيد من السلوكيات المتناقضة أو المتمردة.

في السياقات التي تتغير فيها الأدوار الاجتماعية بسبب تدهور الضوابط الدينية أو التقليدية، قد تتشكل أدوار جديدة للنساء في المجتمع. ميد ترى أن الأدوار الاجتماعية ليست ثابتة وأن الثقافات تغير هذه الأدوار بناءً على التحولات الاجتماعية والاقتصادية[1].

في حال تراجع الأدوار التقليدية المرتبطة بالنساء في المجتمعات ذات التأثير الديني الكبير، قد تزداد الهيمنة الأنثوية في السياقات الحديثة، حيث تلعب النساء أدوارًا قيادية أو نشطة في المجال العام، مما يؤدي إلى تحول العلاقات بين الجنسين في المجتمع.

- يشير **مارسيل موس**، وهو أحد المؤسسين الرئيسيين للأنثروبولوجيا الاجتماعية، إلى أن الدين مرتبط بشكل وثيق بالقيم الاقتصادية والاجتماعية. كان يهتم بالطقوس والأنظمة الرمزية مثل الهدايا، ويعتقد أن الدين يساهم في تنظيم التبادل الاجتماعي بين الأفراد[2].

[1] ليندا جين شيفرد، أنثوية العلم، العلم من منظور الفلسفة النسوية، تر: يمنى طريف الخولي، سلسلة عالم معرفة، عدد 306، ص 32، 33.

[2] Mauss Marcel, Essai sur le don. Forme et raison de l'échange dans les sociétés archaïques, in Mauss Marcel, Sociologie et anthropologie, Paris, Presses universitaires de France, 1980, p. 143-279.

- موس لم يتعامل مباشرة مع فكرة تدهور الضابط الديني، ولكن فكرته عن كيف يمكن للدين أن ينظم العلاقات الاجتماعية عبر الطقوس يمكن أن ترتبط بما يحدث عند تراجع هذا الدين. في حالة تراجع الدين، قد تحدث اضطرابات في النظام الاجتماعي ويعاني الأفراد من الاضطراب في التفاعلات الاجتماعية.
- في حال تراجع الضوابط الدينية أو العادات الاجتماعية التي كانت تشكل القيم التقليدية في المجتمع، يمكن أن تتأثر أدوار النساء الاجتماعية. موس كان يعتقد أن الدين يمكن أن يكون أداة لتنظيم العلاقات بين الأفراد، وبالتالي في حال غياب هذا النظام، قد تظهر القوى الأنثوية في شكل هيمنة جديدة.

إذا كانت العلاقات الاجتماعية بين الجنسين تعتمد على التبادل الاجتماعي المرتبط بالقيم الدينية أو الثقافية، فإن غياب هذه القيم قد يُسهم في إعادة توزيع السلطة داخل المجتمع، وهذا قد يُفضي إلى ظهور الهيمنة الأنثوية في سياق تحولات اجتماعية، مثل زيادة مشاركة الأنثى في سوق العمل أو السياسة، وبالتالي تعزيز مكانتها في المجتمع.

3.3.5. إسقاط نظرية الضابط الديني للسلوك على الهيمنة الأنثوية

نرى من خلال دراستنا هذه أن حالة تدهور الضابط الديني للسلوك لدى الأنثى هي الأصل في التمرد والرغبة في الهيمنة والتسلط، ذلك أنه في كثير من المجتمعات التقليدية، كانت الأدوار المخصصة للإناث والذكور مبنية إلى حد كبير على أسس دينية، فالدين كان يقدم إطارًا أخلاقيًا وسلوكيات مقننة لكل جنس. هذه الأدوار تشمل ما هو متوقع من الأنثى من حيث اللباس، الوظيفة الاجتماعية، والواجبات العائلية، ففي هذه السياقات، الدين كان يمارس ضابطًا صارمًا على السلوك، وكان للنساء مكانة اجتماعية محددة، ومع مرور الزمن، وتراجع تأثير الدين في بعض المجتمعات نتيجة العلمنة، بدأت هذه الأدوار التقليدية تتغير، أين تراجع الضابط الديني وأدى هذا التراجع إلى فتح المجال أمام الأنثى للمطالبة بالمساواة وتوسيع حقوقها في مختلف المجالات، والأدوار التقليدية التي كانت تُحدد على أساس ديني بدأت تتلاشى، وظهرت مفاهيم جديدة قائمة على حرية الاختيار والمساواة بين الجنسين.

من منظور المجتمعات التي تعتمد بشكل كبير على الدين كمصدر للضوابط الاجتماعية، قد يُنظر إلى هذا التحول على أنه يؤدي إلى نوع من الفوضى الأخلاقية (ما يسميه دوركايم بـ "الأنومي")، حيث تتغير الأدوار الاجتماعية والمعايير الأخلاقية بسرعة كبيرة دون وجود بديل مستقر يحل محل الدين كضابط. أما في المجتمعات الأكثر علمانية، فقد يُنظر إلى هذا التغير على أنه تطور طبيعي نحو تحقيق العدالة والمساواة بين الجنسين.

بينما يعتبر البعض أن الهيمنة الأنثوية هي رد فعل طبيعي لتاريخ طويل من التمييز ضد الأنثى، يعتبر آخرون أن هذا التحول يتجاوز مجرد السعي للمساواة ويدخل في إطار التحدي لسلطة الذكور التي كانت مقننة دينيًا. في هذه الحالة، تدهور الضابط الديني أدى إلى إعادة توزيع القوى في المجتمع.

4.5. نظرية الاغتراب النفسي وعلاقتها بالأزمة الرجولية

ترجع أصول هذه النظرية إلى الكثير من الفلاسفة من أمثال هيجل ونيتشه ودوركايم وحاول بعض علماء النفس صياغتها لتلائم تفسير بعض الحالات النفسية المضطربة ولعل أشهرهم عالم النفس **ملفين سيمن** (Melvin Seaman) الذي حدد الاغتراب في خمسة أبعاد[1] هي:

العجز: ويعني شعور الفرد بأنه غير قادر على أن يغير ويؤثر في المواقف الاجتماعية وتوجيه ميوله ورغباته في خط مستقيم وبذلك ينسحب عن مواجهتها وبالتالي فإنه لا يستطيع أن يقرر مصيره أو التأثير في مجرى الأحداث التي يمر بها أو في صنع القرارات المهمة التي تخص حياته وبالتالي يعجز عن تحقيق ذاته أو أن يتوافق ذاتيا مع ما يريده هو أو أن يتوافق اجتماعيا مع ما يريده الاخرون.

اللامعنى: ويعني توقع الفرد أنه لا جدوى من استخدام قدراته الذاتية في تحقيق ما يريده بمعزل عن الاخرين. ولن يستطيع التنبؤ بدرجة كبيرة بالنتائج المستقبلية للسلوك.

[1] Seeman M., On The Meaning of Alienation, university of California, Los Angeles American Sociological Review, 24, 1959, p 783-791.

اللامعيارية: وهي حالة انهيار المعايير الاجتماعية التي من المفروض ينظم ويوجه سلوكه على ضوئها.

العزلة: وتعني انفصال الفرد عن مجتمعه وافتقاده للصلات الاجتماعية وبالتالي يصبح منبوذا وقد يصبح شاذا بنظر البعض.

الاغتراب عن الذات: وتعني قلة قدرة الفرد على التواصل مع الذات ومع الاخرين، واضطراب الشعور عما يريد منه المجتمع وما يرغب في أن يكون عليه.

إسقاط نظرية الاغتراب النفسي على الأزمة الرجولية يمكن أن يوفر فهمًا أعمق للتحولات الاجتماعية والنفسية التي يعيشها الذكور في العصر الحديث، فالاغتراب النفسي، الذي ينطوي على شعور الفرد بالعزلة أو الانفصال عن ذاته أو مجتمعه أو قيمه، يمكن أن يساعد في تفسير حالة "الأزمة الرجولية" التي يمر بها البعض. دعنا نحلل هذا الإسقاط في عدة جوانب:

الرجولة كانت تقليديًا مرتبطة بقيم مثل القوة الجسدية والاستقلالية وإعالة الأسرة، لكنها تغيرت مع التحولات الاجتماعية والحركات النسوية المطالبة بالمساواة، هذا التغيير أدى إلى شعور العديد من الذكور بالاغتراب عن الأدوار التقليدية، مما عمّق أزمة الهوية الرجولية في المجتمع المعاصر.

مع تراجع المعايير التقليدية، يواجه العديد من الذكور ضغوطًا اجتماعية ونفسية تدفعهم إلى التكيف مع توقعات جديدة. يجد البعض أنفسهم مضطرين للتخلي عن جوانب من هويتهم الرجولية أو إعادة تعريف ذاتهم بما يتماشى مع مفاهيم حديثة للرجولة، مثل الانفتاح في التعبير عن المشاعر أو قبول أدوار غير تقليدية كالاعتماد على الشريك في الإعالة. هذا التحول يخلق شعورًا بالاغتراب عن الذات وصعوبة في التكيف، مما يؤدي إلى أزمة وجودية تُعرف بـ "الأزمة الرجولية"، حيث يصعب التوفيق بين الماضي والتوقعات الجديدة.

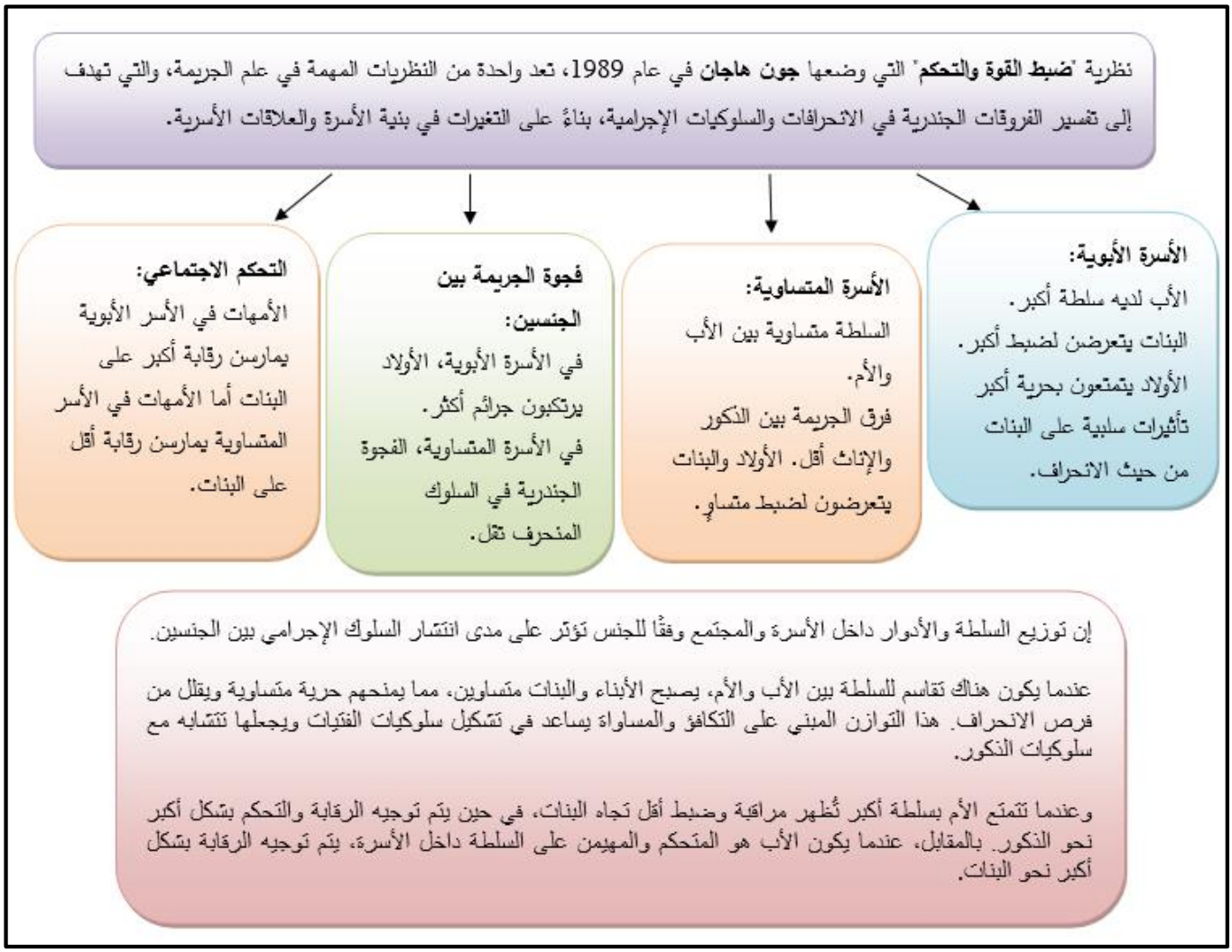
الذكور قد يشعرون أيضًا بالاغتراب عن المجتمع إذا رأوا أن الأدوار التقليدية للرجولة التي كانوا يتبنونها لم تعد تحظى بالتقدير أو القبول. هذا يمكن أن يحدث في سياق ثقافي يروج للمساواة بين الجنسين ويقلل من شأن

السمات التقليدية للرجولة (مثل القوة أو الاستقلالية المفرطة)، وقد يجد الذكور أنفسهم في مواجهة شعور بعدم الانتماء للمجتمع الجديد الذي يغير معاييره بسرعة.

التغيرات الاقتصادية أيضًا تلعب دورًا مهمًا في الأزمة الرجولية، ففي الماضي، كان دور الذكر كمعيل رئيسي للعائلة جزءًا أساسيًا من هويته، ومع تغير الاقتصاد وظهور النساء في القوى العاملة بشكل متزايد، قد يشعر بعض الذكور بأن دورهم التقليدي يتآكل، هذه الأزمة يمكن أن تؤدي إلى مشاعر مثل الإحباط، فقدان الثقة بالنفس، وحتى الاكتئاب.

في سياق آخر، بعض الذكور قد يشعرون بالحاجة للتمسك بأفكار الرجولة التقليدية كوسيلة للرد على هذا الشعور بالاغتراب، بعضهم قد ينخرط في محاولات لإحياء "الرجولة التقليدية"، عبر الانخراط في حركات أو أنشطة تهدف إلى تعزيز الأدوار الرجولية التقليدية في مواجهة ما يرونه كتهديدات من الحركات النسوية أو التغيرات الاجتماعية السريعة.

5.5. نظرية ضبط القوة والتحكم لجون هاجان (Power-Control Theory)



الشكل رقم 03: مخطط توضيحي لنظرية ضبط القوة والتحكم (المصدر: من إعداد الطالبة)

إسقاط نظرية "ضبط القوة" على الهيمنة الأنثوية يفتح المجال لفهم تأثير توزيع السلطة داخل الأسرة عندما تكون النساء هن المهيمنات. في هذه الحالة، يمكن أن يحدث تغيير في الأدوار والسلوكيات المتوقعة بين الجنسين، مشابهًا لما يحدث في الأسر التي تهيمن فيها الذكور، لكن مع اختلاف في الاتجاه.

- عندما تكون الأم أو الأنثى هي المتحكمة في السلطة داخل الأسرة، فإن الرقابة على سلوك الأبناء قد تزداد تجاه الذكور، في حين قد تُمنح الفتيات حرية أكبر مقارنة بالأسر التي تهيمن فيها الذكور. وهذا الوضع قد يساهم في تقليل التفاوت بين الجنسين في السلوكيات المتمردة أو الجانحة، بحيث تصبح الفتيات أكثر قدرة

على التصرف بحرية وتطوير سلوكيات شبيهة بتلك التي يتمتع بها الذكور في الأسر التي تهيمن فيها السلطة الذكورية.

- إذا كانت الفتيات ينشأن في بيئة تتمتع فيها النساء بسلطة قوية، فإن ذلك قد يعزز من سلوكياتهن المستقلة والثابتة، مما يؤدي إلى تكوين سلوكيات مشابهة لسلوكيات الذكور في مجالات مختلفة.
- إذا كانت الهيمنة الأنثوية تمتد إلى المجتمع بشكل عام، فإن هذا قد يؤدي إلى تعديل الأدوار الاجتماعية بحيث تصبح النساء أكثر تأثيرًا في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. في هذا السياق، قد تتحقق مساواة أكبر في توزيع الفرص والحقوق، مما يؤدي إلى تقليل الفجوة بين الجنسين في مختلف المجالات، بما في ذلك السلوكيات التي قد تُعتبر منحرفة أو غير تقليدية.
- إن لتوزيع السلطة والأدوار داخل الأسر ثم في المجتمع العام، حسب الجنس، علاقة في مدى انتشار السلوك الإجرامي عند كلا الجنسين.
- إن تقاسم السلطة بين كل من الأب والأم من شأنه أن يجعل من الأبناء والبنات متساوين وبالتالي يمنحهم هذا حرية متساوية من شأنها أن تقلل من فرص الانحراف عند الفتيات، كما أن هذا الوضع المبني على التكافؤ والمساواة سوف يصقل سلوكيات الفتيات ويجعلها شبيهة بسلوكيات وتصرفات الذكور[1] لأن الأمهات يلعبن دورا أكثر أهمية من الآباء في ضبط الأطفال[2].

طرح "هاجان" وزملاؤه عام 2004م، فكرة أن سلطة النساء في العمل ازدادت، مما أثر على كيفية تعامل الأمهات مع أدوار النوع الاجتماعي داخل الأسرة. في الأسر الأبوية التقليدية، كانت الأمهات يمنحن الأبناء الذكور حرية أكبر، مما يعزز الأدوار التقليدية التي تدعم سيطرة الذكور وتبعية الإناث.

[1] معتوق جمال، المرأة والجريمة (النظريات المفسرة للجرائم النسوية)، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2017، ص 205.
[2] معتوق جمال، المرجع السابق، ص 206.

لكن في أسر يكون فيها الأمهات أكثر تمكينًا (بسبب استقلاليتهن المهنية أو وضعهن في العمل)، تغير هذا النمط. فإن الأمهات المتمكنات استفدن من سيطرتهن في تعزيز وتقديم فرص للبنات من خلال مسارات ذات إنجازات تقليدية والتي أصبحت أكثر توافرا للنساء.[1]

هذا التغيير يشير إلى تحول في ديناميكيات الأسرة بعيدًا عن الأدوار التقليدية نحو توزيع أكثر توازنًا للفرص بين الذكور والإناث.

6.5. توظيف التفاعلية الرمزية في تحليل الهيمنة الأنثوية

تعد التفاعلية الرمزية نظرية اجتماعية تركز على كيفية تشكيل المعاني من خلال التفاعلات اليومية بين الأفراد[2]، يمكن استخدام هذه النظرية لفهم الديناميكيات المعقدة للهيمنة الأنثوية في المجتمع من خلال تحليل كيفية تفاعل الأفراد مع بعضهم ومع الرموز الثقافية المرتبطة بالنساء والرجال. وتعتبر الهوية مسألة مركزية في التفاعلية الرمزية، حيث يتم تشكيل هوية الأفراد من خلال تفاعلاتهم الاجتماعية.

في سياق الهيمنة الأنثوية، يتم استخدام الرموز الثقافية، مثل الأزياء أو السلوكيات، لتشكيل تمثل حول النساء كقويات أو مهيمنات، وهذه الرموز ليست ثابتة، بل تتطور وتتغير حسب السياقات الاجتماعية والثقافية.

في التفاعلات الاجتماعية، يتفاوض الأفراد على معاني معينة، على سبيل المثال، قد تسعى النساء إلى إعادة تفسير أدوارهن التقليدية، مما يؤدي إلى خلق معاني جديدة للهيمنة، وعندما تتفاعل الأنثى مع الذكر في بيئات مثل العمل أو السياسة، يمكن أن يؤدي ذلك إلى إعادة تشكيل القوة والسلطة، حيث يتم إعادة تعريف القيم والمعايير.

تساهم الصور النمطية في تشكيل التفاعلات الرمزية، حيث قد تُنظر النساء كقويات أو مهيمنات في سياقات معينة، فهذه الصور تُستخدم لتوجيه السلوكيات والتفاعلات، مما يخلق بيئة تُعزز الهيمنة الأنثوية، ومن خلال

[1] معتوق جمال، المرجع السابق، ص 207.

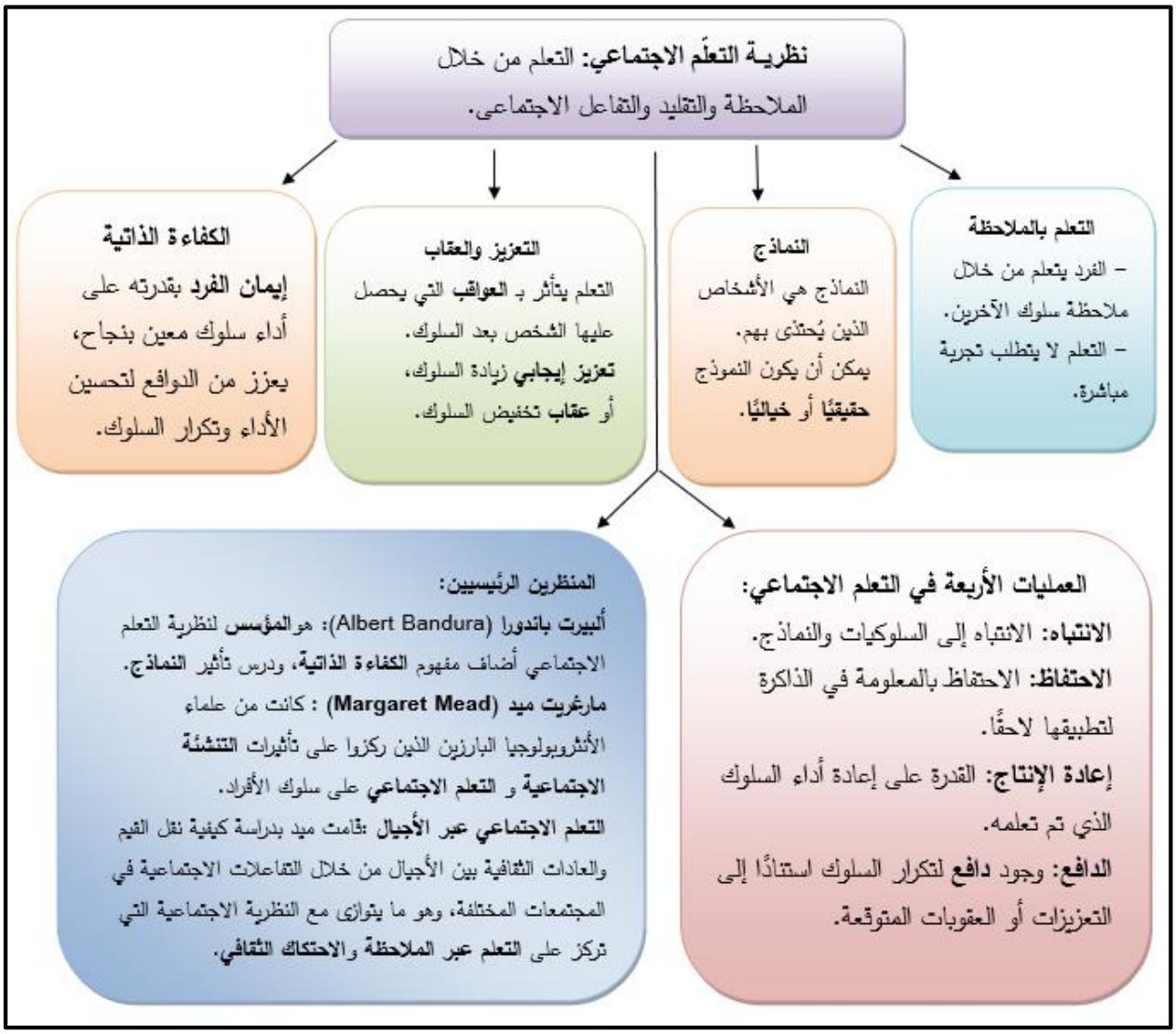
[2] ايان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، تر: محمد حسين غلوم، عالم المعرفة، الكويت، 1999.

تحليل كيفية ظهور هذه الصور في وسائل الإعلام والثقافة الشعبية، يمكننا فهم كيف تُعزز الهيمنة الأنثوية ويُعاد إنتاجها.

تعتبر التفاعلية الرمزية أيضًا وسيلة لفهم كيفية مقاومة الأفراد للهيمنة، فالنساء اللواتي يتحدين الصور النمطية أو يسعين إلى تجاوز الأدوار التقليدية يُظهرن كيف يمكن للتفاعلات الرمزية أن تؤدي إلى التغيير الاجتماعي، ومن خلال هذه المقاومة، يتم إنشاء معاني جديدة حول النساء ودورهن في المجتمع.

التفاعلات بين الجنسين تُظهر كيف يمكن للهيمنة الأنثوية أن تتجلى وتُعاد صياغتها من خلال العلاقات اليومية، ودراسة هذه التفاعلات تساعد في فهم كيف يُمكن أن تتعاون الإناث والذكور في تعزيز أو تحدي الهيمنة، مما يُعزز الفهم الأعمق للديناميات الاجتماعية.

7.5. نظرية التعلم الاجتماعي



الشكل رقم 04: مخطط توضيحي لنظرية التعلم الاجتماعي (المصدر: من إعداد الطالبة).

يعد البرت باندورا مؤسس نظرية التعلم الاجتماعي، والتي ترتكز على الملاحظة والتقليد إذ يعتقد مؤسسها أن تعلم الفرد للعديد من السلوكيات ناشئ عن ملاحظة سلوك الآخرين؛ لذلك اسماها بعضهم بنظرية التعلم بالملاحظة والتقليد، في حين أن آخرين أطلقوا عليها مسمى التعلم بالنمذجة نسبة للنموذج الذي يحتذي به الملاحظ.

إن النماذج التي يلحظها الفرد ويقلدها لا تقتصر على من يخالطهم في حياته، بل تتعدى ذلك إلى الإعلام ووسائله، والذي يحظى بنصيب وافر من النماذج والأنماط السلوكية التي قد لا يتسنى للفرد ملاحظتها بشكل

مباشر في واقعه، فملاحظة نموذج من النماذج أين ما كان مصدره ينتج عنه عدة أمور فهو إما أن يعلم الفرد سلوكيات لديه كانت مقيدة وإما أن ينتج سلوكات جديدة، وإما أن يمنعه من ممارسة سلوكيات خاطئة، بقيود الوسط الذي يعيش فيه، أو يذكره بسلوكيات تعلمها ونسيها جراء قلة استخدامها[1]، وتعد هذه النظرية أقرب النظريات المفسرة لسلوك الهيمنة الأنثوية.

1.7.5. المنظور الأنثربولوجي في نظرية التعلم الاجتماعي

على الرغم من أن نظرية التعلم الاجتماعي ترتبط بشكل أساسي بعلم النفس وعلم الاجتماع، إلا أن لها أيضًا تأثيرات في الأنثروبولوجيا، خصوصًا فيما يتعلق بكيفية انتقال الثقافات والسلوكيات عبر الأجيال وكيف يؤثر السياق الثقافي على تعلم الأفراد. فحينما نرى هذه النظرية بأعين ثقافية نجد أنها تلتقي بالثقافة عند نقطة حساسةً جدا، فهي إما أن تعزز لدى الفرد وتكسبه السلوك المتوافق مع ثقافته ومن ثم تشد من بناء ثقافة مجتمعه، وإما أن تنقضها باستثارته لممارسة سلوكيات لا تتماشى مع ثقافته، إذ بحسب اختيار الفرد للنموذج المحتذى، ونتائج سلوك ذلك النموذج يتم التشييد أو الهدم للثقافة، حيث نجد كلود ليفي ستروس في **الأنثروبولوجيا البنيوية** ركز على البُنى الاجتماعية والرمزية التي تشكل ثقافات المجتمعات، وكيف أن الأفراد **يتعلمون** ويكتسبون معاني عبر التفاعل مع هذه البُنى الثقافية، وأفكاره توافقت مع النظرية الاجتماعية في كيفية تعلم الأفراد أنماط التفاعل الاجتماعي التي تعكس الرموز الثقافية السائدة في مجتمعهم. ومارغريت ميد (Margaret Mead) في **الأنثروبولوجيا الثقافية** ركزت على تأثيرات التنشئة الاجتماعية والتعلم الاجتماعي على سلوك الأفراد، حيث قامت ميد بدراسة كيفية نقل القيم والعادات الثقافية بين الأجيال من خلال التفاعلات الاجتماعية في المجتمعات المختلفة، وهو ما يتوازى مع النظرية الاجتماعية التي تركز على التعلم عبر الملاحظة والاحتكاك الثقافي.

[1] Bandura A., & Walters R.H, Social learning and personality development. Holt Rinehart and Winston : New York.

2.7.5. كيف تلتقي نظرية التعلم الاجتماعي مع الأنثروبولوجيا؟

نظرية التعلم الاجتماعي تتعامل مع كيفية انتقال القيم والأنماط السلوكية بين الأفراد داخل الثقافة من خلال التفاعل الاجتماعي، وهذا يعكس الدور المهم للثقافة في عملية التعلم:

- **التنشئة الاجتماعية:** كما في الأنثروبولوجيا، يدرس الباحثون كيفية تشكيل الهوية الثقافية من خلال الممارسات الاجتماعية مثل الاحتفالات والطقوس.
- **التعلم الثقافي:** نظرية التعلم الاجتماعي تفسر كيف تتعلم المجتمعات ثقافتها من خلال الملاحظة والتقليد من الأفراد الأكبر سنًا أو ذوي الخبرة.
- **التفاعل الاجتماعي:** يعزز علماء الأنثروبولوجيا كيف أن التفاعلات اليومية مع الأفراد داخل المجتمعات تؤدي إلى نقل المعرفة الاجتماعية والفهم الثقافي.

عندما يتعلق الأمر بالهيمنة الأنثوية، يُظهر الأفراد (خاصة النساء) سلوكيات وخصائص معينة من خلال ملاحظتهم وتجاربهم مع النماذج النسائية في حياتهم. على سبيل المثال، عندما ترى الفتيات نماذج نسائية قوية ومؤثرة في المجتمع، قد يتم تحفيزهن لتقليد تلك السلوكيات التي تعزز الهيمنة الأنثوية. قد تتضمن هذه السلوكيات استخدام القوة النفسانية أو العاطفية، أو اتخاذ مواقف قوية تعكس الثقة بالنفس.

تلعب المكافآت والتعزيزات دورًا رئيسيًا، إذا كانت الأنثى تُعزَّز سلوكيًا عندما تُظهر قوة أو استقلالية، سواء من خلال الدعم الاجتماعي أو التقدير من محيطها، فإن ذلك يعزز تلك السلوكيات ويحفزها على الاستمرار. على سبيل المثال، إذا كانت أنثى تُظهر قدرة على اتخاذ القرارات وتوجيه الأمور في حياتها وتلقى استحسانًا من المجتمع، فإن ذلك يعزز من هيمنتها ويُشجع النساء الأخريات على اتباع نفس النهج.

تؤثر النماذج الاجتماعية في تشكيل مفاهيم الهيمنة، فالنساء اللاتي يتمتعن بمكانة مرموقة في المجتمع، سواء كقياديات أو فنانات أو مؤثرات، يُعتبرن نماذج يحتذى بها، فتُعزز هذه الظاهرة فكرة أن الهيمنة الأنثوية ليست مجرد سلوكيات فردية، بل تُعتبر نموذجًا اجتماعيًا يتعلم من خلاله الأفراد كيفية ممارسة القوة والتحكم.

تنتقل المعرفة المتعلقة بالهيمنة الأنثوية من جيل إلى جيل من خلال التعلم الاجتماعي، فالفتيات اللواتي ينشأن في بيئات تُشجع على القوة والاستقلالية، سواء من قبل الأمهات أو المعلمات أو الشخصيات النسائية المؤثرة، يُظهرن قابلية أكبر لاحتضان هذه القيم في حياتهن.

8.5. توظيف نظرية القوة الناعمة في تحليل الهيمنة الأنثوية

طوّر جوزيف ناي مفهوم القوة الناعمة للإشارة إلى القدرة على التأثير في سلوك الآخرين من خلال الجاذبية الثقافية، القيم، والدبلوماسية، بدلاً من الإكراه أو القوة العسكرية[1]. يمكن توظيف هذا المفهوم في تحليل الهيمنة الأنثوية، لفهم كيف يمكن للنساء في بعض السياقات الاجتماعية تحقيق تأثير وهيمنة دون اللجوء إلى القوة المباشرة، وإنما من خلال الوسائل الناعمة مثل الإقناع، الثقافة، والجاذبية الشخصية.

القوة الناعمة تعتمد على القيم الثقافية التي تتبناها الأنثى لتأكيد الهيمنة، فالأنثى قد تستفيد من المعايير الثقافية التي تعطي الأولوية لصفات مثل الجاذبية، الأنوثة، أو الذكاء الاجتماعي، مما يجعلها قادرة على التأثير في تصرفات الآخرين (الذكر تحديداً) دون استخدام أي قوة صريحة. مثلا: في المجتمعات التي تقدر الأدوار التقليدية للأنثى، قد تستغل بعض الإناث هذه القيم لتعزيز سلطتهن في الأسرة أو المجتمع، عبر أداء أدوار الأم أو الزوجة بشكل مثالي، يمكن للأنثى أن تسيطر على القرارات داخل الأسرة من خلال القوة الناعمة.

من خلال التحكم في وسائل التواصل أو الرموز الثقافية، يمكن للأنثى استخدام أدوات القوة الناعمة لتشكيل تمثلات الآخرين عنها، فهذه القدرة على التحكم في السرديات أو الصور النمطية حول الأنوثة تساعد في تحقيق الهيمنة بطرق غير مباشرة. على سبيل المثال: الأنثى في الأدوار الإعلامية أو السياسية قد تستخدم هذه المنصات لنقل رسالة تبرز قوتها من خلال الجاذبية الشخصية، الذكاء، أو القيادة بالحنكة، مما يساعدها على التأثير في الرأي العام أو في سلوكيات من حولها دون اللجوء إلى القوة.

[1] جوزيف س. ناي، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية، تر: د. محمد توفيق البجيرمي، ط1، الرياض، م. ع. س، 2007، ص 24.

العلاقات الشخصية يمكن أن تكون أداة مهمة في القوة الناعمة، والأنثى التي تستفيد من شبكة العلاقات الاجتماعية تستخدم هذه الروابط لتحقيق مصالحها وزيادة نفوذها في المجتمع. ففي العلاقات الزوجية أو المهنية مثلا، قد تستخدم الأنثى مهاراتها الاجتماعية والتواصلية للتأثير على قرارات الذكر، عبر الإقناع، الحوار، أو استغلال العلاقات الحميمة يمكنها تحقيق هيمنة غير مباشرة.

الجمال والأنوثة في بعض السياقات يعتبران أدوات مؤثرة، فالجاذبية الجسدية أو العاطفية يمكن أن تكون أداة للأنثى لتحقيق السيطرة أو التأثير في الآخرين، حيث يتم استخدام "سحر" الأنوثة لجذب الانتباه، التأثير على القرارات، أو تحقيق أهداف معينة. مثلا: في الإعلانات، وسائل الإعلام، وحتى في الحياة اليومية، يمكن للأنثى استغلال هذه الصفات الناعمة للتأثير على سلوك الآخرين، مما يبرز نوعاً من الهيمنة المستندة إلى القوة الناعمة وليس القوة المادية أو السلطة الصريحة.

القوة الرمزية هي جزء أساسي من القوة الناعمة، فالأنثى التي تتحكم في رموز معينة من الثقافة، مثل التقاليد أو الطقوس الدينية أو الاجتماعية، يمكنها التأثير في الآخرين عن طريق هذه الرموز، والسيطرة على هذه الرموز تسمح بتحقيق هيمنة غير محسوسة ولكن فعالة.

من خلال توظيف القوة الناعمة، يمكن للأنثى أن تحقق الهيمنة الأنثوية باستخدام وسائل غير مباشرة مثل القيم الثقافية، الجاذبية، العلاقات الشخصية، والرموز الاجتماعية، وهذا النوع من الهيمنة يبرز القوة الأنثوية الناعمة التي تعتمد على التأثير الثقافي والاجتماعي بدلاً من القوة الجسدية أو الاقتصادية الصريحة.

6. مظاهر الهيمنة الأنثوية

1.6. القوة الناعمة

إن القوة عامل يساهم في العنف، والقوة هي القدرة على فرض إرادة شخص ما على الآخرين، سواء بطريقة شرعية أو غير شرعية، بناء على ما لديه من مصادر جسدية، نفسية ومادية.

عرف ماكس فيبر القوة على أنّها "القدرة على التحكم في سلوك الآخرين"، ويرى ميلز Mills أن الأشخاص الأقوياء هم الذين يفرضون إرادتهم حتى وإن قاومها الآخرون.

كما يعرفها د. أحمد بدوي في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية بأنّها ": كل قدرة يمكنها أن تحدث أثراً[1] وهذا بغض النظر عما إذا كان هذا الأثر إيجابيا أو سلبيا.

من خلال التعاريف السابقة نستنتج أن كل قوة يمكنها أن تحدث تغييرا في الواقع المعاش، وبما أنها هناك قوة ناعمة فستكون لها بصمتها في تغيير المفاهيم الثقافية السائدة فنجد الأنثى اليوم تحاول فرض عقلية جديدة داخل المجتمع المحلي قائمة أساسا على تمثلات وتصورات الفكر الغربي ومقاييسه، ثم محاكمة الذكر والمجتمع ككل من خلالها، فكل ثقافة يراها الذكر أو المجتمع دخيلة ولا تتماشى مع ثقافته التقليدية تتشبث بها الأنثى وتفرضها عليه.

2.6. الصراع بين الجنسين

الصراع شكل من أشكال التفاعل الاجتماعي يشير إلى التعارض أو التناقض في العواطف أو الأفكار والاتجاهات أو الآراء والمصالح بين الجنسين، مما يدفع بكل طرف للأخذ بالإجراءات والتصرفات التي تحقق أهدافه ومصالحه مقابل الطرف المتنازع معه، فالذكر يحاول الحفاظ بكل ما أوتي من قوة على هيمنته المتوارثة عبر ثقافة الأجيال، في حين أن الأنثى تسعى للتخلص من هذه الهيمنة بالقفز على الموروث الثقافي التقليدي الذي يحد من سلطتها، الأمر الذي يولد الصراع والتنافس بين الجنسين في مجال الإنتاج الثقافي الجديد.

[1] أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان ناشرون الثانية، 1978، ص164.

3.6. التمرد الأنثوي

التمرد الأنثوي هو ثقافة لها تأثير في نفس وفكر وسلوك الأنثى وبناء المجتمع العميق، بحيث تتخلى الأنثى تخليا كليا عن ثقافة مجتمعها من حيث فاعليتها ووصولها إلى نقطة اللارجوع، فلا تعيرها أهمية وتعزو فشلها في الحياة إلى التمسك بتلك الثقافة، وتهاجر نفسيا إلى ثقافة أخرى تتلقى منها ميكانيزمات تسيير أمور حياتها، فتصبح غريبة على ثقافة انتمائها وهي تعيش ضمنها، فلا يكون لها انتماء حقيقي إلى أي من الثقافتين، إذ لا تنفصل كليا عن ثقافتها لأنها تعيش ضمنها ولا تتصل بالثقافة المكتسبة كليا، ويؤثر هذا الوضع سلبا على المجتمع ككل فتنعكس فيه الموازين ويعجز عن حل مشكلاته داخل حدوده، ويكون هذا الوضع نتيجة حرمان الأنثى من جو ثقافي سليم داخل مجتمعها منذ البداية، ويضرب مالك بن نبي مثلا على هذا النوع في صورة المولود الذي تموت أمه على حافة الطريق فتأتي غزالا مثلا تأخذه لينشأ في قطعان الغزلأن فلا هو يصبح حيوانا بالكلية لأن الوضع الذي فرض عليه التكيف بتعلم المشي على أربع يضل عاجزا على تعليمه غريزة الحيوان الحقيقي التي يواجه بها مختلف ظروف حياته، كذلك لا يمكن أن نطلق على هكذا إنسان صفة الإنسانية الحقة لأنه فقد أسس التعامل مع الجماعة وانطوى على ذاتيته. فنتيجة حرمان الأنثى من جو ثقافي سليم ونظرتها الدونية حول ذاتها من خلال صورتها النمطية، وبسبب ما عانته من الهيمنة الذكورية جاء تمردها الذي انسلخت فيه من هويتها الثقافية وتقمصت الثقافة الغربية الدخيلة بإيجابياتها وسلبياتها فهي بذلك تخلت عن انتمائها لثقافة أبناء جلدتها كما لم تتقبلها ثقافة الغرب حسب رؤية مالك بن نبي.

4.6. العنف الرمزي

إن العنف الرمزي حسب بيير بورديو هو عنف غير مرئي، لطيف ولين وعذب، يقوم على إلحاق الضرر بالآخرين عبر اللغة والتربية...، إلى جانب ذلك يذهب بيير بورديو في كتابه "إجابات" إلى انه "يمكن ان يحقق العنف الرمزي نتائج أحسن مما يحققه العنف السياسي البوليسي..."، ومنه عندما يتعلق الأمر بالهيمنة الأنثوية على الذكر، يمكن للأنثى أن تستخدم العنف الرمزي بطرق دقيقة وفعّالة لتحقيق سيطرتها، بدلاً من استخدام العنف المادي أو المباشر.

على سبيل المثال، قد تُمارس الأنثى العنف الرمزي من خلال التلاعب بالتمثلات الاجتماعية والأدوار التقليدية، مما يجعل الذكر يشعر بالضغط ليعيش وفقًا لتلك التمثلات، هذا النوع من الهيمنة يكون غير مرئي في الغالب، بهذا المعنى، يمكن أن يكون العنف الرمزي أكثر فعالية من الهيمنة الذكورية، لأنه يعمل من خلال القبول الاجتماعي وليس من خلال القوة المادية المباشرة. فالذكر في هذه الحالة، قد لا يشعر بأنه مجبر على الخضوع، بل يتصور أن تلك الأدوار والتوقعات طبيعية، مما يجعله يقبل الهيمنة دون مقاومة أو تمرد واضح.

5.6. السلطة الأنثوية

يعتبر هذا المصطلح مطلبا من مطالب الحركات النسوية التي تسعى إلى تحقيق المساواة والعدالة بين الجنسين، كما يشير إلى تفوق أو نجاح الأنثى في مجالات التمثيل السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي. وتعني السلطة الأنثوية أن يكون للنساء القدرة على اتخاذ القرار والمشاركة في صنع الثقافات وتأثيرها في هذه المجالات.

تحظى السلطة الأنثوية بالاهتمام والدعم في العديد من الدول، حيث يعتبر تمثيل الأنثى في المناصب السياسية والقيادية مؤشرًا هامًا لتحقيق التقدم والتطور في المجتمع. وقد تم تغيير القوانين والسياسات في العديد من البلدان لتمكين الأنثى من المشاركة بشكل أكبر في صنع القرار.

7. أبعاد الهيمنة الأنثوية

الهيمنة الأنثوية هي مفهوم يشير إلى قدرة الأنثى في العصر الراهن على التأثير والتحكم في الأدوار الاجتماعية والثقافية والسياسية، وإن كانت غالبًا ما ترتبط الهيمنة بالصراعات بين الذكور والإناث، فهي تجاوزت هذا المفهوم ولم تعد مجرد تحد للهيمنة الذكورية بل تخطت ذلك إلى إعادة تشكيل المعايير والقيم، فلم تعد بذلك رد فعل على الهيمنة الذكورية، إذ لعبت الثقافة دورًا محوريًا في تشكيل المفاهيم المتعلقة بالهيمنة الأنثوية.

من خلال الفنون، الأدب، ووسائل الإعلام تستطيع النساء نقل رسائل تتعلق بالتحرر والتمكين فالحركات النسوية، على سبيل المثال، غالبًا ما تستخدم هذه الوسائل لتحدي الأنماط التقليدية، بناء على جملة من الاستراتيجيات تتمثل في الأبعاد التالية:

1.7. البعد الثقافي

الثقافة هي العنصر الأساسي الذي يحدد أدوار الجنسين في المجتمع، فالبعد الثقافي للهيمنة الأنثوية يشير إلى التأثيرات العميقة للقيم والمعايير الثقافية التي تدعم وتعزز دور الأنثى في المجتمع وتمكنها من ممارسة الهيمنة بطرق غير مباشرة. في هذا السياق، الهيمنة الأنثوية لا تتعلق فقط بالقوة المادية أو السلطة السياسية، بل تشمل القدرة على إعادة تشكيل الأدوار التقليدية للجنسين من خلال أدوات ثقافية ورمزية.

2.7. البعد الاجتماعي

يستند إلى كيفية تأثير العلاقات الاجتماعية والتفاعلات بين الجنسين على تمكين الانثى في مختلف المجتمعات، فالأنثى التي يتم تعليمها خاصة في المجالين القانوني والاقتصادي يتم تعزيز الهيمنة الانثوية لديها، إذ تتمكن من الاستفادة من هاذين المجالين مما يمنحها هيمنة في الحياة الخاصة حتى وإن كانت الهيمنة العامة لاتزال ذكورية.

3.7. البعد السياسي

بعد بروز حركات التحرر النسوية التي ناضلت من أجل مساهمة الأنثى في الحياة السياسية وتقلد مناصب عليا في المؤسسات الحكومية أصبحت الهيمنة الأنثوية واضحة من خلال التأثير في القرارات التي تُصنع في هذه المجالات .

هذه الأبعاد مجتمعة تساهم في تشكيل نظام اجتماعي جديد قد يتيح للأنثى بعض القوة داخل مجالات معينة فتنقلب الصورة النمطية للهيمنة الذكورية لترجح الكفة للهيمنة الأنثوية.

8. المراحل الانتقالية للهيمنة الأنثوية

1.8. مرحلة التهيؤ للهيمنة والتسلط

في البداية ينتج عن سعي المجتمع لحرمان الأنثى من حقها في المعرفة والنقد والتجديد وتوظيف معرفتها في إنجاز الإطار الثقافي السليم المبني على خصوصية المجتمع، فتقصى الأنثى من ثقافة المجتمع غير مدركة الجوانب الظاهرة والباطنة لثقافتها وتفقد الانتماء للإطار الثقافي ولنظام التواصل داخل المجتمع، فتضجر وتسخط على الأوضاع التي تعيشها وتفكر جدية في الانسلاخ من هذا الواقع الذي تراه مريرا فتتمرد إما تدريجيا أو كليا عن الالتزام بأي محددات يضعها المجتمع أيا كانت منطلقاتها، لأنها بالضرورة لا تصب في مصلحتها وتجتهد في التحرر الكلي من أي إطار مرجعي للمعرفة، فكلتا الحالتين تهيئ الأنثى للتمرد وحدوث الهيمنة الأنثوية.

2.8. مرحلة رفض الهيمنة الذكورية والنفور من الثقافة التقليدية

نتيجة الهيمنة الذكورية في الحياة الثقافية بالمجتمع تتحول قوانين الثقافة التقليدية إلى قوة متصارعة مع الأنثى ومعادية لها، وبالمقابل تسعى الأنثى للسيطرة عليها والتخلص من آثارها، ونتيجة ما تشعر به من صراع يفرضه واقع الثقافة، الذي لم تعد تلتزم بمحدداته تنمو لديها بذرة التمرد فتحاول القفز فوق ثقافة القوانين التقليدية للمجتمع بغية الوصول إلى الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها.

3.8. مرحلة التكيف مع الهيمنة الجديدة

في هذه المرحلة تبدأ الأنثى بانسحاب سلبي تدريجي من الواقع الثقافي بمجتمعها فتظهر غير مبالية لكل ما في المجتمع من معايير وتبدأ في التأقلم مع التمرد على عادات وتقاليد المجتمع ككل، ويظهر نمطان للهيمنة:

1.3.8. نمط المسايرة للقيم والمعايير السائدة في المجتمع

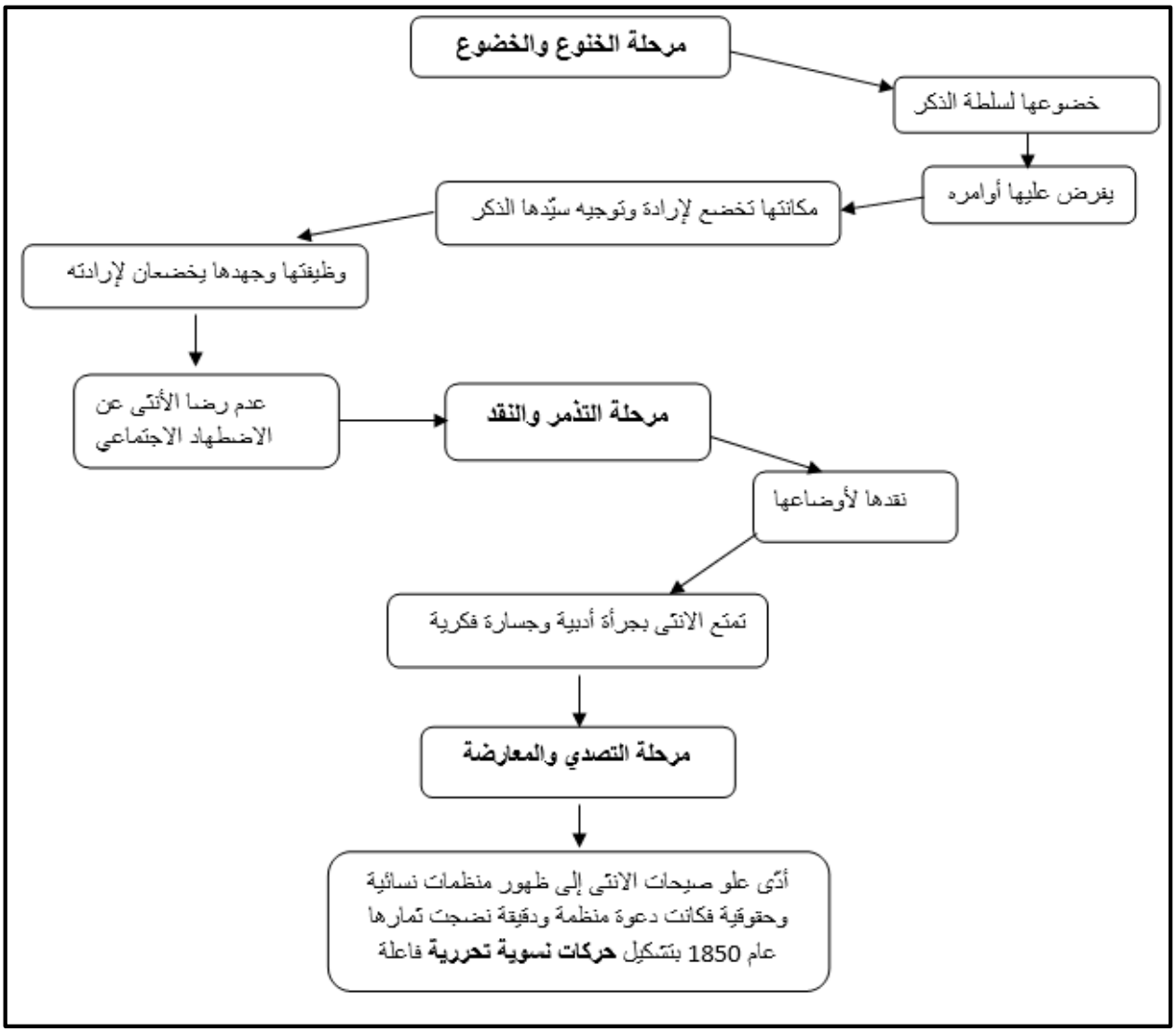
نمط مسايرة الأنثى للمعايير والقيم السائدة في المجتمع يتشكل عبر تبني سلوكيات وتمثلات تتوافق مع التوقعات الاجتماعية التي يتم فرضها على الأنثى، سواء من خلال الثقافة أو التربية أو الأعراف المجتمعية. هذا النمط يمكن أن يتجسد في عدة جوانب كالتأقلم مع الأدوار التقليدية حيث تقوم الأنثى بتكييف تصرفاتها بما يتناسب مع التوقعات التي تعتبرها "طبيعية" أو "مقبولة" في إطار المجتمع. الامتثال للمعايير الأخلاقية والدينية حيث تقوم الأنثى بمراعاة اللباس، والسلوك العام، والتفاعل مع الآخرين وفقًا لما تمليه تلك القيم، حيث يعتبر الامتثال لها مؤشرًا على حسن السلوك والاستقامة. ومن خلال تلك المسايرة قد تدخل الأنثى في عزلة نفسية وانطوائية يمكن أن تجعلها عرضة للأمراض النفسية المتعددة كممارسة العنف والتمرد والتسلط على ما تراه سببا في تعاستها.

2.3.8. نمط المغايرة للقيم والمعايير السائدة في المجتمع

في هذه الحالة تتبنى الأنثى معايير مضادة للمجتمع يمكن أن تكون في شكل تطرف في اتجاه معين للمعايير السائدة ينتج عنه العديد من السلوكيات غير السوية من حيث الوسائل والأهداف التي تختارها وتكون مضادة لاستقرار المجتمع، أو تلجأ الأنثى إلى ثقافة أخرى تتيح لها التعرف على جوانبها أي تكون واضحة المعالم ومنسجمة بين إطارها الواقعي وبعدها الفكري فتفضل الانتماء لها من حيث الوسائل والأهداف على الانتماء إلى ثقافة تشوش ذهنها بتناقضاتها، فالفرد بطبعه ينفر من الغموض ويفضل الانسجام والوضوح.

في المقابلة رقم 10 تبين لنا المبحوثة كيف عاشت مرحلة من العزلة والانطوائية جراء الظروف التي مرت بها، ثم بعد ذلك تمردت على ثقافتها وعلى العادات والتقاليد ولم تعد تسايرها.

9. الحركات النسوية التحررية



الشكل رقم 05: أوضاع مرحلية للواقع الاجتماعي للأنثى.[1]

إن هذه المراحل التى مرت بها الأنثى في تاريخها تعتبر مراحل تدريجية سلكتها، إذ أنها خضعت للهيمنة الذكورية وفرض الأوامر والنواهي عليها، هذا الاضطهاد الذكوري جعلها تنتقد أوضاعها وتتجرد من خجلها كي تتمتع بالجرأة والجسارة الفكرية، وتسعى بكل ما لديها من أجل الحصول على حريتها وإثبات ذاتها، ساعدها في ذلك المنظمات النسوية أو الحركات التحررية النسوية، فما هي هذه الحركات التحررية النسوية؟

[1] أ. د. معن خليل العمر، علم اجتماع الجندر، سيدني، أستراليا، 2014، ص 230 ،231.

إن الحركات النسوية التي تؤدي فيها الأنثى دورا محوريا تحارب أشكالا معينة من السيطرة والهيمنة وترمي إلى إحلال هيمنة أنثوية مكان هيمنة ذكورية، وأصبحت تنتج هيمنة جديدة وتدافع عن نفسها ضد مجتمع ذكوري، ووصلت إلى مرحلة من التحرر إذ أصبحت تتصرف وفقا لما يناسب مميزاتها الشخصية والاجتماعية والثقافية. خاصة أن هذه الحركات النسوية التي قفزت على القيم الدينية والثقافية الخاصة بمجتمعاتها وعملت على"نقل القيم الدينية والاجتماعية الخاصة، المتعلقة بالهوية الغربية واستنساخها بخيرها وشرها لبذرها في الأرض العربية والمحلية.

1.9. إجــراءات دوليـــة

من المعلوم ان الحكومات الدولية المختلفة جعلت العالم مثل قرية صغيرة ازدحم في سمائها كلام كثير عن حقوق الإنسان وحقه في حكم رشيد وعقد اجتماعي قوامه احترام الحاكم للناس والعمل لخدمتهم. وقد نالت الأنثى اهتماماً كبيراً خلال العقود الماضية من ذلك كله، إذ عقدت مؤتمرات دولية كما صدرت إعلانات واتفاقيات دولية مهمة. ومن هذه المؤتمرات:

- مؤتمر مكسيكو سيتي عام 1975، حيث أنه أكد على المساواة، التنمية، العلم.
- مؤتمر كوبنهاجن عام 1980، أكد على متابعة أهداف مؤتمر مكسيكو.
- مؤتمر نيروبي عام 1985، وحدد 8 مجالات استراتيجية للنهوض بالمرأة في مجالات: تقاسم السلطة، آليات النهوض بالمرأة، الالتزام بحقوق المرأة، الفقر، المشاركة الاقتصادية، التعليم، الخدمات الصحية والعمالة، العنف ضد المرأة، آثار النزاعات على المرأة.
- مؤتمر بكين عام 1995، راجع المؤتمر استراتيجيات نيروبي وأورد 12 مجالاً حاسماً بعضها تكرر وورد في مؤتمرات سابقة كالفقر والتعليم وآثار النزاعات المسلحة، فضلا عن مجالات مهمة أخرى مثل التصوير النمطي للمرأة في وسائل الإعلام وعدم المساواة في السلطة ومواقع صنع القرار والوصول إلى الموارد، وكان مؤتمر بكين مكونا 185 دولة.

- مؤتمر بكين+20 عام 2015، في نيويورك مؤتمر تقييم التقدم الذي أُحرز بعد 20 سنة من مؤتمر بكين، حيث جددت الدول التزامها بمواصلة العمل على تحقيق المساواة بين الجنسين.
- وانطلاقاً من أهمية دور المرأة في عالمنا المعاصر، اعتبرت الامم المتحدة عام 1975 عاماً دولياً للمرأة، وعقدت بعده عدة مؤتمرات واتفاقيات دولية للمرأة منها الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة عام 1979، حيث اعتبرت التمييز ضد المرأة كونها أنثى جريمة مخلة بالكرامة الإنسانية[1].

2.9. تأثير الحركات النسوية على الأنثى في الوطن العربي

ومن خلال أفكار هذه الحركات النسوية يتضح أنها بداية كانت تناضل من أجل تثقيف الأنثى التي وأدها الجهل وتبحث لها عن مكانة وسط مجتمع ثقافته ذكورية، أي أن مسارها في البداية كان منطقيا وسليما وسلسا، ثم وتحت تأثير إفساد أخلاقي وثقافي واجتماعي من الغرب تم دس سم الثقافات الغربية المنحلة في عسل التفتح والتحرر فوصلنا إلى ما نحن عليه اليوم من هيمنة وتسلط وانحلال خلقي. فابتداء من ستينيات القرن الماضي تقريبا، ظهرت موجة تعليم وتثقيف الأنثى في كل المجتمعات العربية فشرعت الأنثى العربية في دخول المدارس والجامعات، ثم تطور وضعها وأصبحت تخرج إلى العمل، وتشترك في التجمعات الحزبية والنقابية والثقافية، وأصبحت تعلن مطالبها بصراحة ووضوح، وقد ساعد كل هذا على تغيير تمثلات الأنثى النمطية، من أجل استرجاع حقوقها المسلوبة وكرامتها المهدورة في نظرها، من مرحلة الاستسلام إلى مرحلة التحدي، أين تحررت وتجرأت وتحولت إلى المواجهة وتحدي كل الممنوعات واختراق طابوهات المجتمع المحافظ، وفي مقدمتها مسألة الجنس وسلطة الأب وفضح مستور المجتمع المنغلق من المخازي، وكشف ما تتعرض له الأنثى من استغلال في العمل والبيت على حد زعمهم. لجأت الحركات النسوية إلى محاربة الهيمنة الذكورية بالتغيير والتأثير داخل البناء الاجتماعي بارتكازها على زرع جملة من المفاهيم التسلطية، اعتقادا وإيمانا من أنها مضامين إيجابية تتلاءم مع مبادئ حقوق المرأة. وهنا نكون أمام خلط بين التحرر والتمادي في الحرية.

[1] اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة صندوق الأمم المتحدة الانمائي للمرأة، المكتب الاقليمي لغرب آسيا، 2000، ص4.

ملخص الفصل

في الختام، يمكن القول إن مفهوم الهيمنة يمثل موضوعًا معقدًا ومتعدد الأبعاد، حيث تناوله العديد من المفكرين من زوايا مختلفة. من خلال دراستنا لمظاهر الهيمنة الأنثوية، يظهر أن هذه الهيمنة ليست مجرد سلطة قسرية، بل تتجذر في بنى ثقافية واجتماعية تسهم في تشكيل أدوار الأنثى ومكانتها في المجتمع. الأبعاد السوسيوثقافية للهيمنة تظهر في العلاقة الوطيدة بين الثقافة والهيمنة، حيث تساهم القيم والأعراف السائدة في تعزيز أو كبح هيمنة الأنثى. وبإسقاط النظريات الأنثروبولوجية على هذا الموضوع، نجد أن الهيمنة الأنثوية لا تُفهم بمعزل عن السياقات الثقافية والرمزية التي تسهم في إنتاجها وإعادة إنتاجها. بذلك، يتضح أن الهيمنة، سواء كانت ذكورية أو أنثوية، تتشكل عبر عمليات معقدة من التفاعل بين الثقافة والسلطة والمعايير الاجتماعية، مما يعمق فهمنا لميكانيزمات السلطة والهيمنة في المجتمعات.

في الفصل التالي، سنناقش موضوع التحول الأنثوي ودراسة الآليات والميكانيزمات التي اعتمدتها الأنثى من أجل تحقيق هيمنتها في مختلف المجالات. سنستعرض كيف تمكنت الأنثى من تجاوز الصورة النمطية التقليدية التي كانت تُفرض عليها، حيث كانت تُعتبر الطرف المُسيطر عليه أو الخاضع للهيمنة في المجتمع. كما سنتناول التحول الذي طرأ على دور الأنثى، سواء على المستوى الاجتماعي أو الثقافي أو الاقتصادي، مع التركيز على الوسائل التي استخدمتها لإعادة تشكيل موقعها. سنسلط الضوء على العوامل التي ساعدتها على فرض وجودها، بدءًا من التغيرات الفكرية والاجتماعية وحتى التقدم في التعليم والعمل، مما أدى إلى تغيير موازين القوة التي لطالما كانت في صالح الذكر.

الفصل الرابع

استراتيجيات التحول الأنثوي

وميكانيزمات تجاوز السلطة

الذكورية

تمهيد

يتناول هذا الفصل استراتيجيات التحول الأنثوي وميكانيزمات تجاوز السلطة الذكورية، من خلال دراسة كيفية تكيف الأنثى مع التحولات الاجتماعية والثقافية التي ساعدت في إعادة تشكيل أدوارها داخل المجتمع. في ظل الصراع المستمر بين أدوار الجنسين التقليدية والتغيرات المعاصرة، بدأنا نشهد تحولًا عميقًا في كيفية إدراك الأنثى لذاتها وتفاعلها مع الأطر الاجتماعية المهيمنة. وقد تبنت الأنثى مجموعة من الاستراتيجيات التي ساعدتها على تخطي القيود التي فرضتها السلطة الذكورية، بدءًا من التمرد على الأعراف الاجتماعية وصولاً إلى إعادة بناء هويتها الثقافية والاجتماعية.

في هذا الفصل، نركز على دراسة هذه الاستراتيجيات من خلال تحليل العوامل المساهمة في التحول الأنثوي، مثل الوعي بالحقوق، التأثيرات الثقافية، والتمثلات الاجتماعية التي تُسهم في تمكين المرأة وتغيير واقعها. كما نناقش الميكانيزمات التي استخدمتها الأنثى لتجاوز السلطة الذكورية، مثل تشكل القوى النسائية، والتحولات في المواقف الاجتماعية تجاه مفهوم السلطة والهيمنة. إن هدف هذا الفصل هو إلقاء الضوء على كيفية تحول الأنثى من مجرد عنصر مفعول به في المجتمع إلى عنصر فاعل، يمكنه أن يغير من معادلات السلطة ويعيد تشكيل هويته في سياق ثقافي جديد.

1. قراءة تاريخية للمجتمع التبسي

1.1. "تيفاست" دراسة انثربولوجية

أسس اللوبيون قديما مدينة تيفست (تبسة) على السفح الشمالي لجبل الدكان أحد فروع جبال الأوراس، وحسب ستيفان قزال (Stéphane Gsell) "تعتبر مدينة تبسة من بين أقدم مدن شمال إفريقيا، ومن المرجح أنها كانت سوقا كبيرة تطورت إلى مدينة"[1].

يرجع اسمها الذي أطلقه عليها سكانها الأصليون تيفاست –حسب الترجمة اللوبية القديمة: "بأنها تعني اللبؤة– أنثى الأسد"، وهي من الحيوانات التي حفلت بها بيئتهم الطبيعية وسكنت قمم جبال الأوراس العالية.

لازالت الروايات الشفوية في المنطقة تتناقل أسطورة قديمة تروي قصة الطفل الذي مات والداه وتُرك وحيدا في جبل سيدي محمد الشريف قرب مقبرة تاغدا، أين أرضعته لبؤة سوداء وعاش معها ردحا من الزمن ولما بلغ سن الفتوة قرر النزول إلى موضع المدينة الحالي، الذي كان خاليا من السكان وبنى بيته هناك ثم بدأ الناس يتوافدون حوله ويبنون بيوتهم وأطلقوا على مدينتهم اسم تيفاست تيمنا باللبؤة السوداء التي ربت الفتى[2]. ولازالت صورة اللبؤة أو «اللبة» بالتعبير المحلي منحوتة في المخيال الاجتماعي، ولا يزال سكان المنطقة إلى اليوم يطلقون اسم «لبة» على كل أنثى تتوفر فيها صفات الشجاعة والجمال والود والعفاف.

ولازالت الثقافة الشعبية تحفل برمزية اللبة من خلال الأغاني الشعبية كمطلع أغنية «أنا الصيد ولد اللبة» أو من خلال الألعاب الشعبية كلعبة الصيد واللبة التي يرددها الأولاد: «أنا الصيد ناكولهم وترد عليهم البنات أنا اللبة نحميهم». وإلى حد اليوم لا يزال تمثال اللبؤة السوداء كرمز تاريخي في المنطقة يتوسط مركز مدينة تبسة قبالة السور الروماني.

---

[1] Gesell (S.), Histoire ancienne de l'Afrique du nord, T. 1, éd. Hachette, Paris, 1970, p 60.

[2] https://www.djelfa.info/vb/showthread.php?t=906909



الصورة رقم 01: صورة فوتوغرافية لتمثال اللبؤة وسط مدينة تبسة.

إذا رجعنا إلى المصدر اللغوي لهذه التسمية، تغرينا العديد من المعاني إلى تتبع أصل تسمية "تيفاست"، والتي يتضح فيها أن الاسم ابن بيئته اللغوية ويدل على ذلك التاء في بداية الاسم ونهايته وهي صيغة المؤنث في اللغة اللوبية الامازيغية.

ليس من قبل المصادفة، أن تكون تسمية مدينة "تيفاست" أنثوية، وربما يرجع ذلك إلى المكانة العالية التي احتلتها الأنثى في المجتمعات القديمة، حيث كانت موضع رغبة واحترام ورهبة. تعكس هذه المكانة التماثيل التي ابتدعها الإنسان، والتي جسدت صورة الأنثى التي ترمز إلى الطبيعة والخصوبة والقوة الإلهية التي تتضمنها الأنثى الأم. كانت هذه التماثيل تعبيرا عن الديانات الزراعية التي تمحورت حول آلهة واحدة أطلقوا عليها "الأم الكبرى" أو "سيدة الطبيعة"، حيث قدس الإنسان الأنثى مثل الأرض.

لم يكن المجتمع اللوبي الذي تشكل منذ الألف الثانية قبل الميلاد في صورة المجتمع القبلي في منأى عن تقديس الأنثى حيث ابتدع المخيال اللوبي تمثال في هيئة أنثى لها رأس لبؤة وهي صورة الآلهة الأم المحلية "تانيت" التي رأى فيها اللوبيون رمزا للقوى الكامنة في ظاهرة الإخصاب والإنتاج[1]. لقد أُعتبرت "تانيت" بالنسبة إلى اللوبيين آلهة الأمومة والطفولة، وسيدة القمر، رمز الخصب والسلام والرخاء. تظهر في

[1] مها عيساوي، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ المغرب القديم بعنوان المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، 2010، ص225.

بعض النصب وهي تحمل طفلا، أو تتضرع إلى السماء محاطة بحمامة الطب Caducèe أو نخلة أو رمانة[1]، وتظهرها نصب أخرى بجسد لبؤة وهو شكل استمر إلى الفترة الرومانية.



الصورة رقم 02: تانيت برأس لبؤة.[2]

2.1. البعد الثقافي للمجتمع التبسي

تتسم ثقافة المجتمع التبسي بقوة العلاقات الاجتماعية في صورها من التعاون وسيادة التضامن والتماسك التي تمثل متانة نسيجه الاجتماعي والثقافي، على الرغم من تباين خارطته الاجتماعية. إلا أن الأسرة التبسية تحمل سمات الأسرة العربية، شديدة التمسك بالتقاليد الموروثة، فهي أسرة نمطية عن الأجداد. إلا أن تأثير العديد من العوامل، رسم عليها صورة من التنوع الثقافي. ويعد علماء الاجتماع أن المجتمع الأكثر تنوعا هو الأكثر تقدماً، فالتنوع مصدر ثقافي وحضاري واقتصادي واتصالي. وبالرجوع إلى المجتمع التبسي نجد

[1] العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، الجزائر العاصمة، ص216.
[2] https://tadwine.wordpress.com/page/3/

أنه يواجه العديد من التحديات، من بينها أن الأنثى التبسية لا تختلف عن مثيلاتها من نساء العالم إذ بدأت هي الأخرى تثور ضد الواقع الذي عاشته. وما أن حلّت نهاية هذا القرن حتى كان للأنثى الحق في التعليم والحصول على عمل مأجور والالتحاق بالأعمال المهنية والتصويت في الانتخابات، لتبرز لديها ظاهرة الهيمنة الأنثوية التى نحن بصدد دراستها، فنجد مظاهرها في تفاصيل الحياة اليومية، مثل الأزياء بأشكالها وألوانها، وتسريحات الشعر الجديدة، وطريقة استخدام الهاتف النقال في الشارع.

3.1. الأنثى التبسية في الإرث الثقافي القديم

الأنثى التبسية كانت قديما تتميز بمكوثها بالبيت فلا تغادره إلا نادرا لزيارة أهلها، أو للذهاب إلى الطبيب، أو الحمام، وكانت جلّ النساء يرتدين "السفساري أو الملاية"، ويطلق على "السفساري" في بعض المناطق "حايك مرمة"، هذا الزي التقليدي المعروف في مجتمعنا المحلي يغطي محاسن الجسد ويسترها، وهو قطعة من القماش الأبيض المميز بمقاس معين تلبسه الأنثى التبسية عند الخروج من بيتها للزيارات الاجتماعية والمناسبات الأسرية وغيرها، إذ أن لكل أنثى سفساري من الحرير خاص بها، حيث كان السفساري، قديما، يعتبر بمثابة الحجاب الخاص بالأنثى التبسية تلبسه لتستر جسدها أو مفاتنها، بحكم العادات والتقاليد التبسية التي تُلزم الأنثى بارتداءه بشكل دائم و مستمر (وقت كان النيف والحرمة).

ولكن أصبحنا اليوم نرى الأنثى التبسية نفسها تتجرد من السفساري لكي تستبدله بألبسة أخرى، مثل ما يعرف اليوم (بالجلباب) أو (الحجاب العصري)، أو تخرج (متبرجة بكامل زينتها وأناقتها)، هذا ما يبينه التغيير السوسيوثقافي للمجتمع التبسي المحلي، ولذلك نستطيع القول أن السفساري الذي ارتبط في يوم ما بالأنثى التبسية قد أصبح في حكم المنتهي، خاصة خلال هذه السنوات الأخيرة إذ أننا لم نعد نراه إلا في الصور القديمة أو في بعض الاحتفالات الشعبية على مستوى المناطق للتذكير بالعادات والتقاليد الموروثة عن جداتنا وأمهاتنا، كذلك الحال مع الأنثى التبسية التى مازالت تحافظ عليه كموروث ومتمسكة به ليس

لأنه ستر وغطاء لمحاسن الجسد، بل لاحظنا، أن العروس يوم ذهابها إلى الحمام ترتدي السفساري حتى تعرف من بين صديقاتها اللواتي يذهبن معها إلى الحمام.

أما "الملاية" فهي لباس مميز للأنثى في الشرق الجزائري، كما كن يتخذن معها "عجارا" طويلا يستر الوجه وظلت لوقت قريب جزءا مهما من الحياة اليومية والمعاشة في حياتهن، أما في الوقت الحالي، فقد تعرضت لتهديد بالزوال نظراً لعزوف الأنثى الجديدة عن ارتدائها نهائيا، خاصة في ظل الأنفتاح على اللباس الحديث، بالرغم من أنها كانت تورث من الأم لبناتها ولحفيداتها، إلا أنها لم تستطيع الصمود تجاه رياح التغيير لأن الأنثى لا تلبسها إطلاقا بل تعتبرها مبعثا للشؤم، لأن اللون الأسود يرمز إلى الحداد.

أما بالنسبة إلى أعمالها اليومية، فقد كانت الأنثى التبسية تقوم بالأعمال داخل المنزل من تنظيف، غسيل، طبخ، أضف إلى ذلك أنها كانت تتقن الحرف اليدوية كحرفة النسيج" بالسداية" وهي حرفة تقليدية بسيطة إلا أن لها الكثير من المدلولات الرمزية، حيث يجتمع النسوة قريبات و جارات ويتعاونَّ خلف المنسج ويقمن بالعمل بجد طوال النهار، ولا ينهضن إلا للصلاة، أما الطعام وقهوة العصر فتحضرها لهن من تقوم بالطبخ، يقضين النهار وراء المنسج وهن يتسامرن الحديث والحكايات، أو يغنين أغانيهن المحلية، إذ لا تمر إلا أيام قليلة وينهين عملهن لتظهر تلك الزربية المنسوجة بأحلى شكل.

ومن بين ما تجود به أيديهن كذلك "الحنبل" وهو نوع من المنسوجات اليدوية، مصنوع من صوف بألوان مختلفة يستخدم كغطاء في الأيام الباردة، في حين أن الزربية نوع من المفروشات، أما "البوشليق" أو ما يعرف في بعض المناطق "بالفراشية"، فهو نوع من أنواع الأفرشة التي كانت تصنع باستخدام الملابس البالية التى لم تعد صالحة للارتداء أو ما يعرف بالدارجة المحلية بـ "الشلاليق" لذلك يسمى هذا الفراش بوشليق لكثرة استعمال هذا النوع من الملابس البالية والملونة فيه، وهناك من تصنعه بواسطة أكياس بلاستيكية ليبدو شكله عند اكتماله شبيها بالحصير. كما أنهن برعن في حياكة القشابية والبرنوس وكلاهما لباس تقليدي يرتديه الذكر في أيام الشتاء الباردة.

أما بالنسبة للأواني، نجد أن الأنثى التبسية كانت تجيد هذه الحرفة اليدوية، حيث تروي لنا إحدى العجائز بالتفصيل كيف يتم صنع الأواني الطينية فتقول: يتم تجهيز الطين وإعداده من قبل الأنثى التبسية، وقبل البدء في العمل بالطين، والذي سواءً أُخذ من الطبيعة مستخرجا من الآبار أو كان عبارة عن بقايا من استخدام سابق، وجب أولا الاهتمام بمرحلة تجهيزه وإعداده بإتباع الخطوات التالية:

يوضع الطين في وعاء شبه عميق ويدق بهاون مدق حتى يتفتت بشكل جيد، ثم تسكب كمية من الماء العادي عليه حتى تغطي سطحه، ويترك ليتخمر في الماء لمدة لا تقل عن يوم كامل حتى يتم التأكد من ذوبان جميع جزئياته، ثم يحرك هذا المزيج جيدا ويصفى ويفرد على لوح من خشب أو حديد مغطى بقماش أو نوع خاص من البلاستيك ثم يتم تثبيته جيداً حتى لا يتحرك أثناء العمل عليه. ثم تبدأ بعدها عملية العجن، إذ يتم عجنه بضغط كتلة الطين براحتي الكفين، ويتم تجميع الطين المضغوط من على اللوح بأطراف الأصابع بخفة لتفادي غرس هذه الأخيرة في الطين، لأن حدوث ذلك أثناء عملية العجن يزيد من تكون الجيوب الهوائية داخل الطين والتي تتسبب في عيوب أثناء تشكيل الآنية، وفي تحطمها بعد حرقها مباشرة، لهذا على الأنثى أن تقوم بهذه العملية الحساسة بإتقان وانتباه، ثم بعد ذلك ترمي الأنثى عجين الطين على اللوح وتسمى هذه المرحلة ضرب الطينة، وتسهم كل من عمليتي العجن والضرب في تماسك الطينة وتحسين قابليتها للتشكيل. وتستمر الأنثى على هذا المنوال بين العجن والضرب حتى تصبح طينة طرية ومتماسكة قابلة للتشكيل في الوقت نفسه. ويفترض اجتناب الإفراط في العجن والضرب لأن ذلك سيتسبب في تشقق الطينة وتضررها، وعندها يتحتم ترطيبها برشاش الماء لتعود إلى ليونتها.

أما طريقة التشكيل فتكون كالتالي: بعد عجن الطينة جيداً بالطريقة الموضحة سابقا، تؤخذ كتلة من الطين ويتم تشكيلها على شكل كرة. يتم وضع الكرة في أحد الكفين بينما يتم الضغط بإبهام اليد الأخرى وسط الكرة للتأكد من أن جميع جدران الأنية لها نفس السماكة من خلال الإحساس بين الأصابع وكف اليد، مع عدم الإكثار من الرش بالماء لأن كثرة الماء تزيد من ليونة الطينة. بعد هذه المراحل من تشكيل الطينة

يبقى أمامنا الحرق لنحصل على الآنية، الطاجين أو برمة الفخار، أما لون الفخار فيعتمد على درجة الحرق وتوزيع الحرارة على الإناء، وتشتد صلابة الأواني بزيادة شدة الحرق. وبعد ذلك تزين الأنثى الأواني التي صنعتها، بمادة تدعى "المغرة" وهي مادة صبغية تعطي لونا أحمر أرجوانيا جميلا لهذه الأواني.

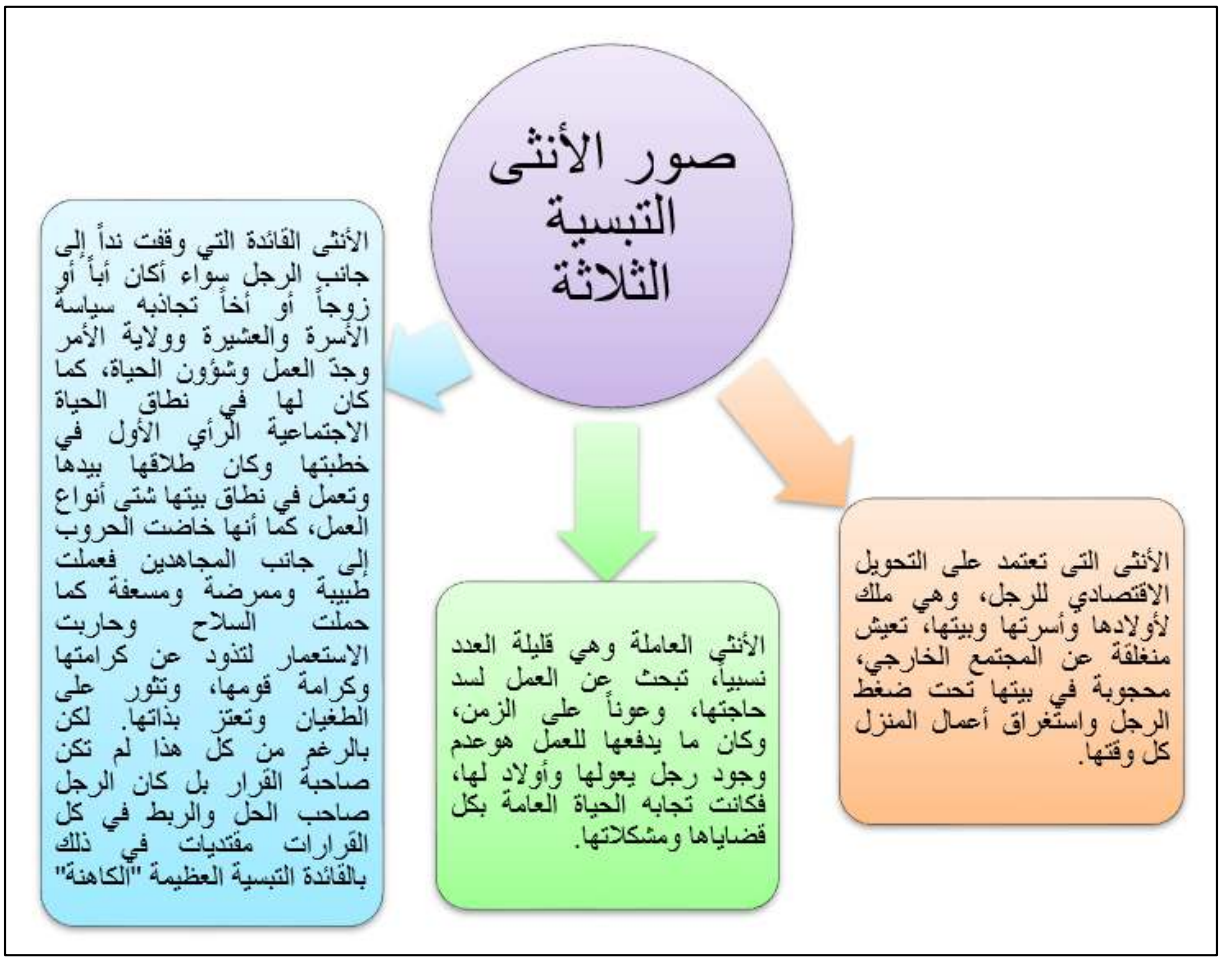
كما يعتبر دور الأنثى رئيسا في عملية التنشئة، وأهم من دور الذكر خاصة في مراحل الطفولة، حيث يكون الابن أكثر التصاقا وتعلقا بأمه، وتكون الأم أقدر من الأب على معايشة الطفل وتلبية احتياجاته بحب وحنان فطري غرسه الله سبحانه وتعالى في قلبها. حيث أن الأنثى التبسية كانت تغرس القيم والمبادئ الإسلامية في نفوس أبنائها كما ترسخ في قلوبهم العقائد الدينية، لأنها كانت تقضي معظم وقتها مع الأبناء، أما اليوم فنجد الأنثى إما عاملة طوال اليوم فهي لا تلتقي بالأبناء إلا في الليل مثلها مثل الأب أو أنها تتابع برامج تلفزيونية ولا تعير الأبناء اهتماما، أوتتحدث طوال الوقت مع صديقاتها على الهاتف، هذا ما يفسر سوء التنشئة الاجتماعية خاصة بعد ظهور الوسائل التكنولوجية الحديثة.

من خلال كل هذه المعلومات المقدمة لنا من طرف المخبرين المحليين، نستطيع القول أن الأنثى التبسية استطاعت عبر تاريخها الطويل العمل في منزلها وإبراز هوية واضحة للحرف التي كانت تمارسها قديما، حيث كانت النسوة يقمن بأعمال المنزل بالإضافة لأعمال يدوية أخرى ذات جدوى اقتصادية وفنية، ولذلك فحاجات الحياة وأهمية العمل جعلت الأنثى تبدع في الحرف اليدوية التي كان لها الأثر الفعال في الحياة الاقتصادية للمجتمع، إلى جانب إعطاء نكهة جمالية كانت تطغى على هذه الأعمال التى تبرز ذوق الأنثى ورقتها وأنوثتها ورهافة حسها وقوة صبرها إضافة إلى أنها كانت تبين أنها عضو فعال في المجتمع وفي نشاطه الفكري والاقتصادي. حيث نجد أن الأنثى في تلك الفترة تقدر وتفتخر بدورها كربة بيت وتفرح بمساهمتها الفعالة في سبيل تحقيق الراحة والهدوء لأسرتها داخل جدران المنزل، الذي تعتبره هدفا ساميا في حد ذاته وتشعر بالرضي والسعادة عندما تقوم بهذا الدور بجدارة.

إلا أن التطور الصناعي جعل الأنثى التبسية اليوم تستغني كليا عن هذه الحرف اليدوية المنزلية بل وتستخف بعمل الأنثى كربة بيت، وتعطي الأعمال المنزلية مكانة أدنى، وتفضل أن تدخل معترك العمل خارج المنزل إلى جانب الذكر والتخصص بمجموعة من النشاطات الاقتصادية وفق شهاداتها العلمية.

الأنثى التبسية ولزمن ليس ببعيد كانت تعيش تحت سلطة الذكر معتمدة عليه فكرياً ومادياً، فالذكر يعمل لتأمين متطلبات الأسرة بينما هي تقوم بتربية الأطفال وتنشئتهم، وعلى الرغم من استبداده وظلمه إلا أنه كان يقدّر عملها في تربية الأطفال، لهذا تمتعت الأنثى بمكانة مرموقة كونها تملك الأمومة، وقد حُدّدت مكانتها بما تقدّمه في المنزل تأثيثاً وترتيباً؛ إضافة إلى إنجاب الأطفال باعتباره من الأعمال الملتصقة بطبيعتها الفيزيولوجية وتكوينها.

ومنه نرصد ثلاث صور للأنثى التبسية أثناء الحقبة الاستعمارية والعقدين الأولين للاستقلال:



الشكل رقم 06: الصور الثلاثة للأنثى التبسية (المصدر: من إعداد الطالبة)

4.1. القائدة التبسية قديما "الكاهنة"

تتحدث المصادر التاريخية العربية بإسهاب عن قيادة امرأة كانت تتزعم قبيلتها والتي حاربت وقومها الجيوش العربية في جبال الأوراس بمنطقة تبسة، هذه المرأة التي سميت بالكاهنة "استطاعت أن تجمع تكتل القبائل الزناتية التي واجهت العرب وتكبّد العرب خسائر فادحة وأجبرتهم على إقامة اتفاقية صلح لكن البربر بقيادة الكاهنة، نقضوا الاتفاقية وقتلوا الصحابي الجليل عقبة بن نافع وثلاث مئة من صحبه الكرام، ليعاود المسلمون محاولة فتح تبسة بعد أن أعدوا العدة ونظموا الصفوف بقيادة حسان بن النعمان الغساني سنة 78هـ/698م الذي تمكن من قتل الكاهنة سنة 81هـ/701 م وأرسل رأسها إلى السلطان.

إلا أن شخصية الكاهنة تيهيا أو ديهيا (ملكة البربر) أسالت حبر المؤرخين العرب حول زعامتها، هذه الأنثى غير المسلمة الأمازيغية، الزعيمة القائدة أو الحاكمة، التي حاربت وقومها الجيوش العربية، عدها الخطاب التاريخي كما ترى **ناجية الورتيمي** "شخصية نسائية شاذة –نادرة ليس لها نظير–"، حيث ركز المؤرخون على عامل الأمومة وإنجاب الذكور لتزعّم قومها، واعتبرت "أمًّا" مفيدة للمسلمين بفضل أولادها الذكور الأبطال الذين أسلموا بنصيحة منها، فكانوا عونا للإسلام والمسلمين.

لازالت الذاكرة الشعبية إلى حد اليوم تحتفي بالكاهنة وتقدمها في صورة الأنثى الحكيمة والمدبرة والمنقذة لقبيلتها، وما زالت إلى الأن صومعة الكاهنة كما يسميها سكان المنطقة قائمة بهضبة تازبنت، وهي عبارة عن برج معسكر بني بحجارة ضخمة، اتخذتها الكاهنة كمقر لجيشها قرب مدينة تبسة. كما يتواجد بجنوب تبسة وادي يتجه صوب واحة نقرين يطلق عليه وادي الكاهنة[1]، ويقع بئر الكاهنة في منطقة بئر العاتر وهي نفس البئر التي أمرت الكاهنة بسكب العطر فيها فسميت بئر العطر، لتحرف مع مرور الزمن إلى بئر العاتر، أين خاضت الكاهنة آخر معركة وهزم جيشها وقتلت سنة 81هـ / 701م ".

[1] ناجية الوريمي، زعامة المرأة في الإسلام المبكر بين الخطاب العالم والخطاب الشعبي، د/ط، دار الجنوب، تونس، 2016، ص85.





الصورة رقم 03: تمثال للملكة ديهيا الكاهنة الصورة رقم 04: خريطة تازبنت

2. استـراتيجيـات التحـول الأنثـوي

نعني بالاستراتيجيات الخطط طويلة المدى التى تهدف إلى تحقيق أهداف معينة في سياق معين، وعادةً ما تكون الاستراتيجيات مرتبطة بالتخطيط والتنظيم وتحديد الأهداف الكبرى، وتستند إلى رؤى بعيدة المدى، تتميز بالمرونة في التنفيذ وقد تتكيف مع التغيرات والظروف المختلفة. ومنه سننطلق من "التغيرات الثقافية التي تظهر في التعديل الذي يطرأ على الأفكار والاتجاهات وأساليب الحياة، والتي تعني في مدلولها العميق تعديل الإطار الإيديولوجي وتوسيع عملية التفاعل الفكري لدى الإنسان كجزء منتمي وملتحم بجماعات الواقع الذي يجد نفسه واحدا في كل من بنائها المادي والفكري والروحي".

وهي استراتيجيات تمس على كل جوانب الثقافة عن طريق الإضافة أو الحذف أو تعديل السمات والمركبات الثقافية، وتحدث نتيجة عوامل عدة مثل "الاتصال بين الثقافات، أو التحديات والاختراعات والعناصر الجديدة التي تدخل الثقافة".

في التحليل الأنثروبولوجي للشخصية الأنثوية التبسية، يمكن النظر إلى التحولات التي طرأت على الذات الأنثوية باعتبارها نتاجًا لتفاعل اجتماعي–ثقافي عميق، وأن الهيمنة الأنثوية التي ظهرت في العصر الحالي لا تُفهم فقط كنتيجة لإرادة فردية أو شخصية، بل هي مظهر من مظاهر التمثلات الثقافية التي تعيد الأنثى من خلالها تشكيل هويتها في المجتمع. عبر الأدوار الجديدة، تتجاوز الأنثى التبسية التمثلات الدونية التقليدية التي كانت تفرض عليها سابقًا، مدفوعة بوعي متجدد بذاتها وقدرتها على إعادة تعريف مكانتها. هذا التحول في التمثلات يعكس تفاعل الأنثى مع ثقافتها، مما يمكّنها من التعبير عن القوة والمقاومة تجاه هيمنة الذكر التقليدية، محدثة بذلك تحولًا في ديناميكيات القوة داخل المجتمع التبسي المحافظ.

ومنه سنقوم بإجراءالعديد من المقابلات مع مجموعة مبحوثين من أجل تقصي ومعرفة حجم التغيير الذي طرأ على الأنثى التبسية وأدي بها إلى ممارسة السيطرة والتسلط.

1.2. استراتيجية التعليم والمشاركة في العمل

تحققت للأنثى فرص أكبر للوصول إلى التعليم والتدريب، وهو ما جعلها قادرة على دخول مجالات العمل المختلفة. هذا التحرر من القيود الاجتماعية القديمة سمح لها بتطوير هويتها بشكل مستقل.

1.1.2. تطور المستوى التعليمي للأنثى

إن الأنثى بوصولها إلى مستوى تعليمي عالي يجعل منها أنثى قوية واثقة من نفسها غير خاضعة للذكر أو تابعة له، كما أنها تدريجيا تصل إلى درجة التسلط وإتخاذ دور القائد وتعمل جاهدة على إلغاء شخصية الذكر مما يجعل هذا الأخير يفقد الثقة في قدراته ويصاب بالإحباط والدونية كما يتخلى شيئا فشيئا عن دوره، والذي يزيد الأمر تعقيدا أن الأنثى التي تمارس السيطرة على الذكر تمارسها بطريقة سلسة وهادئة

لدرجة لا يمكن للذكر معها أن ينتفض أو يرفض فيقع تحت سيطرة الأنثى برغبته، خاصة أن الأنثى المتعلمة تحسن التعامل ولديها ذكاء يجعلها تصل إلى مبتغاها القيادي بطريقة سلسة وبسيطة، كما أن حاجة الذكر المادية للأنثى ومساعدته على توفير الأمان الإقتصادي للأسرة يجعله يخضع لها وينساق في تيارها السلطوي، ويتخلى عن دور االقيادة. ولكن تبقى طبيعة الذكر الذي يفضل ممارسة دوره الذكوري كامنة داخله وتسبب له نوعا من عدم الرضا والإحباط والغضب الداخلي وهذا ما نستطيع أن نطلق عليه هيمنة رمزية.

المقابلة رقم 01:

يقول "ف" 39 سنة سائق سيارة أجرة إن المرأة يمكن أن تمارس عنفا رمزيا ضد زوجها أو أخيها أو حتى والدها بسبب مستواها التعليمي العالي، فأنا متزوج من دكتورة جامعية، تعاملني أحيانا كأنني طالب من طلابها كونها ترى نفسها ملمة بكل صغيرة وكبيرة وواعية لكل متغيرات الحياة فهي تتحكم في مصاريف المنزل، وفي إتخاذ القرارات، لدرجة أنها لا تقبل الحوار ولا تستمع لرأيي أو تحترم قراراتي، تحاول دائما إثبات نضوجها الفكري وأنها وصلت لدرجة من العلم يمكن أن تتحكم بها في حياة الأخرين، يقول المبحوث أنه ليس الوحيد الذي تمارس عليه زوجته العنف، بل تمارسه أيضا على أسرتها كوالدها وأخيها، فهي تلعب دوما دور القائد أو المتسلط ،حتى ولو حاولت إظهار غير ذلك من خلال معاملتها التى تبدو في ظاهرها لطيفة لكنها لا تخلو من التسلط، يقول المبحوث هي لا تتعامل بغضب أو ترفع صوتها ولكن بطريقة ذكية تجعلني أنصاع لأوامرها دون أن أرفض ولكن بعد ذلك أتذمر وأشعر أنني تابع لها كما أن لها دور كبير في التوازن المادي داخل الأسرة كون راتبها الشهري ضعف مدخولي. إضافة إلى ذلك فهي تمتلك سيارة ما يجعلها تعتمد على نفسها في قضاء حاجياتها، وهذا ما يجعلني أشعر أنها لا تحتاجني، وأنني لست مهما في حياتها، ووجودي من عدمه سواء، فأنا لا أعدو كوني أب لأبنائها فقط.

المستوى التعليمي لكلا الزوجين يعتبر عنصر في نجاح الزواج في حالة التوافق أما في حالة التباين الكبير في المستوى التعليمي للزوجين فإنه غالبا يؤثر على الحياة الزوجية ويؤدي إلى صعوبة في استمرار الزواج، فتوافق المستوى التعليمي والثقافي والبيئي يساعد على تقليل المشاحنات بين الزوجين بينما التباعد في المستوى التعليمي والثقافي والبيئي يكون سببا في نشأة الخلافات بين الزوجين ويؤدي في النهاية إلى فشل العلاقة الزوجية. فالزوج الذي تكون زوجته أعظم منه جاهاً أو أكثر منه مالا فإنها تستغل مكانتها الاجتماعية أو مالها في إذلال زوجها والترفع عليه فيشعر الزوج أمامها بضعفه ويقنع معها بما تفرضه عليه ولهذا لم يُرَغِّب النبي – صلى الله عليه وسلم – في الزواج بذات المال والجمال والحسب وأمر بالزواج من ذات الدين حتى تقوم بحقوقه وواجباتها، وتعرف قدر نفسها وقدر زوجها، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تُنْكَحُ المرأة لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ."

إن القوامة مسألة خطيرة أوكلها الله للذكر نظراً لما يتميز به من قوة وشجاعة ورباطة جأش وتحمّل للمشاق والمصاعب مما يجعله الأقدر على تحمل القوامة وإدارة الأسرة والسير بها إلى بر الأمان فلا يجوز له بعد هذا أن يهين نفسه ويهدر حقه ويتسامح في قوامته ويضعف أمام الأنثى وإغراءاتها فإن هذا ليس من الرجولة في شيء، وما جعل الله القوامة للأنثى على الذكر وإنما جعل القوامة للذكر على الأنثى فإذا انعكس الأمر وفسد القوام فسدت الأسرة والمجتمع وضاعت القيادة، لأن الذكر أصبح مطيعاً لا مطاعاً وتابعاً لا متبوعاً، وقد أخبر نبينا – صلى الله عليه وسلم – أن من علامات الساعة أن تلد الأمة ربتها أي يقود الأمور من ليس أهلاً لها.

2.1.2. الأنثى تنافس الذكر في سوق العمل

يرى مجموعة من المبحوثين تتراوح أعمارهم بين 20 و38 سنة، منهم من يعمل في وظائف بسيطة ومنهم من لا يعمل، أن الأنثى إقتحمت جميع مجالات العمل وأصبحت تزاحمه في كل شيء حتى أصبحت فرصه وحظوظه في إيجاد عمل أقل من فرصها.

المقابلة رقم 02:

"ط" شاب يبلغ من العمر 24 سنة بائع في محل ملابس صرح أن الأنثى تتحصل بسهولة على العمل بالرغم من أن الذكر له أيضا إحتياجات وأولويات كونه أحق بهذا العمل على حسب تعبيره، حيث يعطي أمثلة عن مدى حاجته للعمل تتمثل في دفع المهر وتوفير منزل وتأمين المصروف في حين أن الأنثى معفية من هذه الإلتزامات، وبالرغم من أعباء الذكر فالأنثى تعمل والذكر يبقى عاطلا عن العمل.

المقابلة رقم 03:

وكما أشار "م" 38 سنة يعمل كحارس ليلي في مدرسة أن الأنثى لاتملك الكفاءة ولكنها تجد عملا بإستخدامها معاييرها الأنثوية، وأن المؤسسات الخاصة لا توظف الذكور ولكنها توظف الإناث، والأنثى ترضى بكل الشروط حتى على حساب بقائها ساعات إضافية بعد أوقات العمل النظامي.

المقابلة رقم 04:

يحكي "ص" 23 سنة كان يعمل لدى محضر قضائي أن صاحب العمل أوقفه عن العمل وترك الفتاة التي كانت تعمل معه، لعدم قدرته على دفع أجرتهما معا، يقول: أنا أعمل أكثر منها ويمكنني التنقل لتبليغ الدعاوى في حين لا يمكنها ذلك، ولكن صاحب العمل قال أنها مسكينة "وليّة"، أنت تستطيع إيجاد عمل في جهة أخرى لكن "هي والفت هنا"، يضيف هذا الشاب أنه غاضب جدا ولا يريد البحث عن أي عمل خليناها للنساء، نحنا لينا ربي.

يتبين أن الأنثى أصبحت بخروجها للعمل تنافس الذكور في فرص الحصول على عمل بالرغم من أن الذكر في نظرهم هو الأحق بالعمل كونه يتحمل مسؤوليات كثيرة على عكس الأنثى، لكن عند فوزها بالوظيفة

فإن الذكر يشعر بوجود عنف رمزي يمارس ضده من طرف الأنثى بالتواطؤ مع المؤسسات التي توفر مناصب عمل.

المقابلة رقم 05:

يقول "ه" 28 سنة طبيب صيدلي: المرأة جزء من المجتمع والعمل أصبح ضرورة ملحة، لكن خروجها للعمل يشكل منافسة قوية للرجل ويقلص فرصه في الظفر بوظيفة في مجتمع تنعدم فيه الوظائف أصلا.

بالرغم من المستوى العلمي الذي وصل إليه المبحوث إلا أنه تجاهل أن الأنثى هي نصف الاقتصاد وقوة مؤثرة في النهوض به وأنها قادرة على قيادة فاعلة للأعمال ما يجعلها تشكل جزءا مهما من اقتصاد أي مجتمع، فنظرة المبحوث كانت محصورة في كون خروج الأنثى للعمل لا تعدو كونها منافسة للذكر، وحرمانه من الحصول على وظيفة كون حظوظ الأنثى في الحصول على وظيفة أفضل من حظوظ الذكر، حيث ألغى المبحوث مستوى الأنثى العلمي وكفائتها وإمكانية إستحقاقها للوظيفة.

يشير كل من البائع في محل الملابس، الحارس الليلي والصيدلي إلى تغييرات جذرية في سوق العمل حيث أصبحت الأنثى، وفقًا لتمثلاتهم، تحصل على فرص العمل بسهولة أكثر من الذكر. هذه التغييرات تتعارض مع الأدوار التقليدية التي كان يُتوقع فيها من الذكور أن يكونوا المعيلين الأساسيين لأسرهم، حيث يتطلب منهم ذلك تأمين المهر والمنزل والمصروف. والعديد من الذكور الذين يعبرون عن هذه الآراء قد يواجهون أزمة رجولية نابعة من شعورهم بفقدان الدور التقليدي كمعيلين. هذا الشعور بالتهديد يعزز الاغتراب النفسي، حيث يجدون أنفسهم في وضع لا يتوافق مع توقعاتهم الذاتية والمجتمعية عن أدوارهم.

الحارس الليلي والشاب الذي طُرد من وظيفته يشيران إلى أن الأنثى تجد وظائف بسهولة، في حين يتم استبعاد الذكور، بغض النظر عن كفاءاتهم، أي أن هناك تصورا بأن المؤسسات الخاصة، تفضل توظيف الإناث لأنهن "يرضين بأي شروط" أو لأنهن "يستعملن معاييرهن الأنثوية" للحصول على الوظائف.

تشير شهادة الشاب الغاضب الذي لا يريد البحث عن عمل آخر إلى استجابة نفسية سلبية لهذه التحولات، فقوله "خليناها للنساء" يعبر عن نوع من الاستسلام نتيجة غزو الأنثى لسوق العمل، مما يؤدي إلى شعور بالإحباط وفقدان الثقة بالنفس.

من خلال هذه المقابلات، يمكن ملاحظة نوعين من النقد الصريح والضمني لدور العمل النسوي في المجتمع، فبالرغم من أن الطبيب الصيدلي يعترف بأن عمل الأنثى أصبح ضرورة اجتماعية واقتصادية، إلا أنه يشير أيضًا إلى أن خروج الأنثى للعمل قد يؤدي إلى تقليص فرص الذكور، مما يزيد من حدة المنافسة في مجتمع يعاني أصلاً من نقص في الوظائف.

2.2. استراتيجية الوعي بالحقوق

تطور الوعي بحقوق الأنثى والمساواة القانونية أدى إلى زيادة مطالبات الأنثى بالعدالة الاجتماعية، وإلى ظهور حركات نسوية تدافع عن حقوق المرأة في مختلف المجالات.

1.2.2. دلالات في تـأويل تمثـلات الإدراك الأنثــوي

المقابلة رقم 06:

تقول الشرطية "ح" أن وعيها وإدراكها للواقع جعلها تملك ثقة عالية في نفسها وفي قوتها الشخصية، تقول لا أقبل أي انتقاد يوجه إليّ، ولا أقدم تنازلات مهما يكن الأمر، لست بحاجة إلى أي رجل، عندي اكتفاء ذاتي والحس العالي بأهمية الذات وثقافتي غربية حتى أنني لم أجد أي بأس في خلع الحجاب عند التحاقي بمديرية الأمن للحصول على وظيفة شرطية ...

الشخصية الأنثوية التبسية حاولت تجاوز النظرة الدونية حيث استطاعت الأنثى أن تتجاوز النظرة السلبية والدونية التى كان ينظر لها بها، فالذات الأنثوية لم تعد تلك الذات الخاضعة والمهيمن عليها كما تقول المبحوثة "**أنها لا تقبل أي انتقادات ولا تقدم أي تنازلات**" فهي متحررة ومستقلة عن الآخر، وهو في نظرها

لا يستطيع أن يتسلط عليها، هنا نستطيع ربط فكرة تمثلات الهيمنة وفكرة الذات، إذ أنه يمكن لنا إيجاد الجذور العميقة للذات بما فيها الذات الدقيقة التي تشمل الهوية والشخصية الأنثوية ومن ثم نستطيع أن نتخيل أن الإحساس بالذات الذي يرافقه إحساس بالقوة والوعي سيتشكل أو من شأنه أن يعطي تمثلات وتصورات جديدة للأنثى، ومنه ستكون هذه التعبيرات النظرية أو التشكيلات التى يشكلها الوعي الناجم عن فعاليات بيولوجية ديناميكية في الدماغ نصطلح هنا على تسميتها فعاليات ذهنية أو تمثلات تعبر عن نفسها في الواقع الاجتماعي، فهي تمثل عن قوة هذه المبحوثة وشجاعتها خاصة وأن مكانتها الاجتماعية أيضا جعلتها تثق في نفسها ولا تخضع للذكر كائنا من كان، كما غيرت نظرتها لثقافة مجتمعها **(حتى أنني لم أجد أي بأس في خلع الحجاب عند التحاقي بمديرية الأمن)**، لأن كل عضو في مجتمع ما، هو حامل لثقافة مجتمعه، وفي مخيلته توجد صورة مصغرة ومكررة لتلك الثقافة فهي إذن تشكل تمثلاته للواقع، تتكون تلك الصورة المكررة تدريجيا وتندمج في ذات الشخص من خلال تنشئته الاجتماعية وتتلائم مع جهازه العصبي، إذ تشكل لأفراد ذلك المجتمع الأطر العقلية العامة وفي الوقت نفسه تشكل له في لا وعيه تمثلاته أو ما يظن أنها تمثلاته عن الواقع. انطلاقا من ذلك فإننا نفهم أن هناك علاقة تطابق ثلاثي بين ثقافة الفرد وإدراك وعيه وتمثلاته للواقع بحيث يسمح لنا هذا التطابق أن نستنتج أطراف المعادلة الثلاث من بعضها البعض، ولنصل إلى أعلى مراحل التحقق منها فإننا سنذهب إلى تفكيكها إلى مجموعة من المقابلات مع مبحوثين من الجنسين لمعرفة تمثلاتهم حول وعي الأنثى وإدراكها للواقع وتجاوزها للنظرة الدونية التى كانت لصيقة بها.

3.2. استراتيجية الاستقلال والنفوذ المالي

أصبحت الأنثى أقل اعتمادًا على الذكر خاصة في الجانب المادي، وبالتالي أكثر قدرة على اتخاذ القرارات المتعلقة بحياتها الخاصة والمهنية.

الاستقلالية والنفوذ المالي هما جزءان أساسيان في نمو الأفراد، ولا يمكن للفرد أن يكون حراً ما لم يتمتع بهما معًا. وفي الواقع، إن حصول الأنثى على النفوذ المالي هو ما ساعدها على التسلط والسيطرة وممارسة العنف ضد الذكر، ذلك أن المجتمع يمثل المجال والفضاء الذي يسمح بإظهار الفرد لقدراته عبر منحه نفوذًا ماليًا أكبر للقيام بذلك. فالتربية، باعتبارها تعبيرًا عن إرادة مجتمعية وفعل اجتماعي، يفترض أن توضح غاياتها ورؤيتها لشكل الاستقلالية والنفوذ المالي اللذين تنشدهما، قصد احترام أصالة الأنثى وتاريخها الشخصي وطموحاتها العميقة. لكن ممارسة الأنثى لم تنهج في غالب الأحيان أساليب عتيقة تقوم على الامتثال والخضوع والأنشطة الذاتية، بل تجاوزت الحرية المطلقة إلى استقلالية مالية تامة، وهي غير مطلوبة وغير محبذة عند الذكر، كما لا يثمنها المحيط الاجتماعي والثقافي أيضًا.

إن الاستقلالية المالية لن يكون لها أي مفعول أو معنى إن لم تنطلق وتهدف في الوقت نفسه إلى الوعي بالمحددات الذاتية وخصوصيتها، كونها الأساس التي تُبنى عليها هوية الأنثى والقاعدة التي يُنطلق منها للتفاعل والتفاوض والفعل في المحيط. لذا، يقتضي أن تكون هذه الاستقلالية والنفوذ المالي مقيدين بالضوابط الاجتماعية والشرعية.

المقابلة رقم 07:

بعد الخلع، قررت المبحوثة "ش" أن تغير حياتها بالكامل. مكثت في بيت أهلها فترة قصيرة لكنها تمردت عليهم أيضًا، وامتنعت عن الحديث معهم، أصبحت تأكل خارج المنزل وتعتبره مجرد مكان للنوم.

بعد انتهاء إجراءات الطلاق، استأجرت شقة قريبة من مكان عملها وصارت تعيش بمفردها. تقول: "لم أعد أخشى أحدًا. لقد جربت الضرب ووجدته بسيطًا، الآن أي مشكلة أواجهها أحلها بالضرب والعنف، والله غير الضرب يحل المشاكل." تسعى الآن لجمع المال لشراء شقة خاصة بها لتحقيق استقلاليتها المالية التامة. تعتبر نفسها مسؤولة عن قراراتها ولا تأخذ بعين الاعتبار أي رأي آخر. وتؤكد أنها وجدت في العمل والاستقلال المالي سبيلًا للخروج من القمع والقيود التي عاشتها مع أسرتها وزوجها.

4.2. استراتيجية التحرر والاستقلالية

تعد الاستقلالية من السمات الرئيسة في شخصية الفرد لأنها تشكل مجموعة من الصفات الخلاقة كالشجاعة والأقدام والجراءة والصبر والمجازفة، إذ أن الاستقلالية تعد قيمة اجتماعية عليا يشجع عليها المجتمع ويحاولون تنميتها وقد لاقى مفهوم الاستقلالية اهتمام العلوم الاجتماعية واهتمام السياسيين لأنها تمثل قوة الفكر في مواجهة الأفكار المضادة والتبعية وأن يكتسب الفرد الاستقلالية والاعتماد على النفس أمر هام جداً في تطوير نموه. كذلك الحرية من الأشياء الجميلة التي يريد كلا الجنسين نيلها، ففي الوقت الذي يرى الذكر أنه يملك كامل حريته واستقلاليته الذاتية نجدالأنثى أيضا لا تحبذ تقييد حريتها وتبحث عن الاستقلالية الذاتية، لكن منح الحرية، لكلا الجنسين، من غير ضوابط يُعتبر نوعا من التمرد خاصة بالنسبة للأنثى، فهل الحرية المطلقة من دون حدود لها تبعات سلبية؟

المقابلة رقم 08:

المبحوثة "آ" 41 سنة أستاذة تعليم متوسط تقول: أسوء شيء في زواجي هو عدم إمتلاكي لمنزل مستقل عن عائلة زوجي، إذ كنا نسكن في منزل العائلة وتلد المشاحنات من العدم إضافة إلى أن زوجي الموظف لا يبذل أي مجهود في البحث عن عمل إضافي لتحسين وضعنا الاجتماعي على الأقل نقوم بكراء منزل مستقل لأمارس فيه حريتي من حيث الملبس والتنقل في أرجائه والطبخ كما أشتهي، كما أنه لا يبالي بما أعانيه من ضغط وتوتر وضيق، الأمر الذي حتم علي أن أستأجر سكنا من مالي ولازال زوجي لا يبالي بالوضع ولا يتحمل معي عبء الكراء، مما جعلني أدخل معه في مشاحنات لا تنتهي وأحيانا أهينه وأنعته بأقبح عبارات الشتم والسب، وأفكر في بعض الأحيان في طرده من السكن المؤجر وهذا راجع لقلة حيلتي لأن راتبي متوسط، أما زوجي فيصرف راتبه على حاجيات المنزل الضرورية وغير الضرورية ولا يفكر أبدا في الإدخار.

في هذه المقابلة، تعبر الأنثى (أستاذة التعليم المتوسط) عن شعورها بعدم الرضا تجاه حياتها الزوجية نتيجة لعدة عوامل تتعلق بالوضع الاجتماعي والمادي، وأحد الأبعاد الأساسية للهيمنة الأنثوية التي تظهر هنا هو استقلال الأنثى المادي، إذ قامت باستئجار سكن من مالها الخاص، هذا التصرف يعكس تحولاً كبيرًا في ميكانيزمات السلطة داخل الزواج، حيث كانت التقاليد المحلية تجعل الذكر مسؤولاً عن تأمين المنزل والمصاريف، لكن هذه الأنثى اختارت أن تكون المبادِرة في توفير مكان للسكن بسبب تراخي زوجها في القيام بهذه المهمة. استقلالها المالي يمنحها سلطة إضافية داخل العلاقة.

تستخدم الأنثى في هذه المقابلة النقد والشتائم، هذا السلوك يعكس نوعًا من العنف الرمزي وفقًا لمفهوم بيير بورديو، حيث تقوم الأنثى باستخدام القوة اللغوية والرمزية للسيطرة على الذكر وإظهار تفوقها، الشتائم المستمرة والنقد اللاذع يمثلان شكلًا من الهيمنة الأنثوية التي تتجاوز السيطرة المادية وتصل إلى التحكم النفسي والعاطفي داخل العلاقة.

في هذه المقابلة تظهر الأنثى وهي تبحث عن الحرية والاستقلال من حيث الملبس والتنقل داخل المنزل رغبة في الحرية الشخصية داخل المساحة الخاصة، كما تشير إلى أن زوجها ينفق راتبه على حاجيات ضرورية وغير ضرورية، هذا الأمر يُنظر إليه من قِبلها على أنه تصرف غير مسؤول ويعزز من ضعف الذكر، ما يمنحها الفرصة لممارسة المزيد من الضغط والهيمنة عليه المتمثلة في العنف الرمزي. وتفكيرها في طرد زوجها من المنزل المؤجر يمثل نوعًا من التهديد الذي تستخدمه كأداة للهيمنة.

نستطلع آراء الجنسين بهذا الشأن من خلال تمثلات المبحوثين للحرية المطلقة.

1.4.2. الحرية المطلقة حق مسترجع في تمثلات الأنثى

المقابلة رقم 09:

المبحوثة "ش" تقول أنها لم تكن تعي تماماً عواقب الحرية الخالية من كل الضوابط وتأثيرها السلبي على الفتيات، وهذا ما جنيته أنا من هذا النوع من الحرية التي منحتها لابتني أين أصبحت تقضي معظم وقتها في الملاهي الليلية ودور الدعارة وأصحاب السوء إضافة إلى السكر والخمور، وأما المنزل العائلي فنادرا ما تعود إليه، وندمي أنني منحتها هذه الحرية ولم أسمح لأخوالها أو أعمامها بالتدخل في تربيتها وأنا الآن ضائعة فالحرية المفرطة أوصلتها إلى الانحلال والحرية المحدودة تخلق روح العناد والتمرد.

من خلال رأي المبحوثة نستنتج أن الهيمنة على الأنثى لم تكن هيمنة ذكورية فقط بل نجد في حالات كثيرة هيمنة الأنثى على الأنثى، فأوصلت لنا شهرة فكرة مفادها لو أنها كانت أم مهيمنة على ابنتها كأمها وجدتها لما ضاعت ابنتها وانحرفت عن طريق الصواب. فشهرة تخلت عن إعادة إنتاج الهيمنة الذكورية لكنها لا تزال أسيرة التمثلات الموروثة التي تحاول إعادة الأنثى إلى نقطة البداية وتسلبها كل ما تحقق لها من استقلال فردي، فالتحرر يتيح فضاء واسعا لكل إمكانيات الفعل الإيجابي المتعدد والمتنوع ويبقى الخيار الانحلالي فضلا عن كونه خيارا فرديا مجرد خيار هامشي واستثنائي وعابر قد تقع فيه من كانت تنشئتها من البداية تنشئة فاسدة.

المقابلة رقم 10:

تجد المبحوثة "ل" أنه من الخطأ أن يقيد الزوج حرية الزوجة بحجة ممارسة الرجولة عليها والشدة لضبطها وعدم تمردها، فإن ذلك يؤول إلى نتائج عكسية وستكون النتيجة واحدة وهي التمرد كونها تسعى لنيل حريتها لذلك لابد من الوسطية وكما يقال «خير الامور أوسطها»، والاعتدال في الحرية الممنوحة هي الأفضل للأنثى، وأنه حسب رأيها لا يوجد أي تعارض في أن تحافظ الأنثى على بعض العادات والتقاليد التي لا تتعارض مع قناعاتها وأن تأخذ من الحضارة ما لا يتعارض مع مبادئها وقيمها ودينها.

تفكير المبحوثة من وجهة نظرنا تفكير صائب جدا ومنطقي، فالاعتدال والوسطية أساس توازن كل المجتمعات ثم إن نظرتها نظرة واعية جدا، فهي حسب ما صرحت ضد الحرية المطلقة الممنوحة للأنثى كما أنها ضد الهيمنة الذكورية المطلقة. وتوجد الكثير من المؤشرات الاجتماعية الداعمة لهذه النظرة فهي مستمدة من معطيات واقعية تمتد على اتساع فضاء الجغرافيا الإنسانية وبعمق التاريخ الإنساني المكتوب، فحسب هذه المبحوثة فإن الأنثى لا تتحدى كل الأدوار التقليدية التي تفرضها العادات مثل مهام معينة كالتربية والأعمال المنزلية فهي تبقى لصيقة بطبيعة الأنثى حتى وإن سعت في المقابل للحصول على استقلال اقتصادي واجتماعي أو حتى سياسي، وتظهر الأنثى كفرد مستقل يمتلك القدرة على اتخاذ القرارات والتحكم في حياته بصورة إيجابية لا تتناقض مع قيمه ومبادئه التقليدية.

المقابلة رقم 11:

وفي حديث مع مبحوثة اتخذت قرار التمرد على أخيها مؤخرًا، وهي أمّ عازبة أيضا، قالت: "رغم كل شي، كلمة أم عازبة صعيبة ياسر، بصح مع صعوبتها نحس روحي اليوم خير من قبل كي كنت مع دارنا. ماننكرش أنها كاينة برشا مشاكل لخاطر أنا أم عازبة، والناس الكل عندها قناعة إنو الأم العازبة إنسانة متمردة، وأنا عمري ماتخيلت إني كي نكبر رح نعيش الوضع هذا بصح الله غالب الظروف لي حتمت عليا، صراحة راني كلما نخمم فالموضوع هذا ساعات نقلق، بصح مبعد نرجع ونقول حياتي هكا خير من كون جيت مازلت في دارنا راه خويا مسيطر عليا وراني قاعدة بين ربعة حيوط لا نخرج لا مصروفي في جيبي لا نشوف رحمة ربي، ضرك راني نتصرف كيما نحب: نعيط، نشتم، نسب، نضرب، وتضحك وتواصل "تحولت لإنسانة همجية بكل المقاييس ويقولوا عليا كلوشارة".

توضح المبحوثة أن تمردها نابع من رغبة عميقة في التحرر من سيطرة الذكور، وخاصة من سلطة أخيها الذي فرض عليها قيودًا صارمة خلال نشأتها. هنا يظهر جانب التمرد كآلية للدفاع عن الذات واستعادة الحرية الشخصية. في كثير من المجتمعات التقليدية، يُفرض على الأنثى نمط حياة معين تسيطر فيه القيم

الذكورية، ويُنظر إلى التمرد على هذه القيم كنوع من الانحراف، ولكن من وجهة نظر المبحوثة، التمرد هنا هو أداة لاستعادة الحرية.

تشعر المبحوثة بأن استقلاليتها المادية كونها أمًا عازبة تمنحها حرية أكبر مقارنة بما كانت عليه في بيت أهلها. فالاستقلالية المالية تعتبر عاملاً حاسمًا في هذا السياق لأنها تعطيها القدرة على التحكم في حياتها بعيدًا عن الضغوط الذكورية.

تشير المبحوثة إلى الصراعات الداخلية التي تعيشها كأم عازبة، حيث تجد نفسها مجبرة على التعايش مع تمثلات المجتمع السلبية حول هذه الفئة. فكرة أن الأم العازبة تعتبر "متمردة" تعكس وصمة اجتماعية يتم الحاقها دائما بالأمهات العازبات، وتؤدي إلى تضاعف الضغوط النفسية عليهن. هذه الضغوط تجعل من الصعب عليهن إيجاد توازن بين التحرر الشخصي والاندماج في مجتمع يرى في تصرفاتهن خروجًا عن المعايير التقليدية. كما تشير إلى أنها تحولت إلى شخص "همجي" وتصف نفسها بـ "كلوشارة"، في إشارة إلى أن التوتر الناتج عن الضغط الاجتماعي والعائلي دفعها إلى استخدام أساليب تعبير عدوانية. وهذا يعكس حالة من الإحباط المكبوت الذي لم تتمكن من التعبير عنه بشكل صحيح في فترة ما قبل استقلالها. هنا يمكن اعتبار أن تحررها من السلطة الذكورية لم يخفف من الضغط الداخلي، بل أثر على نمط تعبيرها العاطفي.

2.4.2. حرية الأنثى المطلقة تمرد بالنسبة لتمثلات الذكر

المقابلة رقم 12:

المبحوث "ج" يعيب تصرف بعض الآباء الذين يعرفهم جيدا، يقول: كاين أباء يعطوا لبناتهم حرية مطلقة وين تخرج وقت ما تحب وترجع وقت ما تحب حتى في نص الليل ماعندهمش مشكل، وتلبس على هواها بحجة الحرية وأنهم يوثقوا في بناتهم المتربيات أحسن تربية، وأنا هذا نشوف فيه أكبر غلطة يوقعوا فيها الآباء، لأنو خاصة الطفلة في وقتنا هذا لازمها الرقابة والمتابعة الدائمة، وشوف، خاصة كي

تكون صغيرة وماتميزش قادر يجرفها التيار، وتجر عواقب وخيمة تهدم الأسرة الكل، خاصة إذا كانت فضيحة أخلاقية.

في هذه المقابلة، يتبين أن "ج" له موقف متوازن عن الحرية فيرى أن الأنثى خاصة الصغيرة في مرحلة المراهقة لا يمكن إعطاؤها حرية مطلقة بناء على الثقة دون الأخذ بعين الاعتبار العواقب الاجتماعية التي قد تواجهها، إضافة إلى الثقافات الجديدة التي قد تؤثر عليها، وهذا ما يوضح الصراع الدائم بين القيم التقليدية وحداثة الحرية الفردية. فالمبحوث في هذه المقابلة تظهر عليه نزعة الهيمنة الذكورية، إذ يرى أن الأنثى تحتاج دائما إلى توجيه ورقابة لتحقيق "حرية ضمن ضوابط". من جهة أخرى، الفتاة التي تُمنح حرية مطلقة من طرف والديها يراها تهدد بناء النظام الاجتماعي وهو ما يعكس الرغبة في الحفاظ على النظام الأبوي التقليدي. كما يُستنتج من خلال كلامه أن الحرية الأنثوية تعكس طبيعة الهيمنة الأنثوية التي يعاد تشكيلها بشكل غير مباشر، ولكن يجب الحفاظ على دور الذكر في وضع حدود غير تقليدية لتلك الحرية.

3. ميكـــانيـــزمات التحـــول الأنثـــوي

هي آليات أو وسائل أو إجراءات محددة ضمن إطار استراتيجيات معينة اتبعتها الأنثى لتحقيق أهدافها المتمثلة عامة في الاستقلالية وتحقيق الذات في ظل حرية تامة رافضة للهيمنة الذكورية.

1.3. ميكانيزم تجـاوز الأنثـى للنظـرة الدونيـة ... لا لمقـولة "دونيـة الأنثـى"

المقابلة رقم 13:

تقول الأستاذة المحامية "ع" نحن اليوم نعيش تحديا حقيقيا في كيفية ترسيخ الضوابط السليمة للتعامل الفعال والأكثر انسجاما للأنثى دون تمييز أو إقصاء وتفعيل الحوار كلغة ناجحة في التفاهم والتأقلم داخل البيت. أما تلك النظرة الدونية للأنثى، التي رسخها الاستعمار في ذهنيات المجتمع الجزائري خلال الحقبة الاستعمارية، يجب أن تكون قد تلاشت نهائيا بفعل التعليم وتطور النمط الاجتماعي والحداثة الفكرية والثقافية التي شكلت ملامح مجتمع أصبح أكثر وعيا وإدراكا للقيمة والمكانة اللتين تحظى بهما الأنثى.

من خلال كلام المبحوثة يتبن لنا أن الأنثى التي عانت من الاستعمار تعرضت إلى عملية محاولة مسح للهوية الثقافية من قبل المستعمر حيث هدف الاستعمار إلى غرس فكرة دونية الأنثى الجزائرية من خلال إيجاد أنماط معينة وألفاظ سخرية نعت بها الأنثى والذكر الجزائريين، فالاستعمار الفرنسي بالجزائر عمل على طمس كل ما له علاقة بالتراث الوطني وكانت الشخصية الجزائرية تصور على أنها ذليلة وتابعة، وتظهر الأنثى في صورة الخادمة والذكر في صورة الراعي المسكين ونعت بالكلب الوسخ، كل هذا من أجل تلقين الفرد الجزائري سواء الأنثى أو الذكر كيف يحتقر نفسه وثقافته وينفصل عنها[1]. لكن الأنثى بفعل استقلاليتها وعلو مستواها التعليمي والفكري تجاوزت هذه النظرة ساعية إلى فرض فكرة المساواة بينها وبين

[1] محمد السويدي، المرجع السابق، ص38.

الذكر، مطالبة بكل حقوقها، غير أن استقلاليتها وثقتها بنفسها لايمنع وجود صراع داخلي بينها وبين نفسها، طرفه الأول التمرد على الثقافة التقليدية وطرفه الثاني تبني ثقافات جديدة، فماهي ماهية هذا الصراع النفسي الأنثوي؟

2.3. الصراع النفسي الأنثوي

المقابلة رقم 14:

تقول آسيا اليوم لم أعد أقبل أن يتحكم أي أحد في تصرفاتي أو أن يأمرني أو يحط من قيمتي خاصة عندما تحررت من قيود تبعية العادات والتقاليد، لأن أسباب الصراع الذاتي التى كنت أعاني منها في السابق هي الضغوط الخارجية التى كنت أتعرض لها فأي محاولة من الأشخاص بالتحكم في تصرفاتي والسيطرة على أفكاري تسبب لي صراع نفسي لذلك أثور وأصبح شرسة لأبعد حد فأصبح الجميع يخافني.

تتحدى الأنثى صراعها مع نفسها داخل الإطار الثقافي للمجتمع حول المفاهيم والأفكار والتمثلات التي توجه فكرها والعمل داخل المجتمع نتيجة التناقض في المنطلقات الفكرية أو تمثلاتها للواقع الجديد، إذ ينتمي الأول إلى ثقافة تقليدية ترى أنها تستمد شرعيتها من ثقافة المجتمع في بعدها التاريخي والثانية وضعية ترى أنها تستمد شرعيتها من ثقافة حداثية عصرية يتجه نحوها المجتمع، فهذا يعد من منظور أنثربولوجي، "مقاومة رمزية" ضد السلطة الذكورية، حيث تعيد الأنثى تشكيل هويتها في ضوء القيم الجديدة، مما يعزز مكانتها الاجتماعية ويعيد توزيع أدوار السلطة داخل الأسرة والمجتمع، مما يؤدي إلى الازدواجية والغموض في تحديدها الهوية داخل الإطار الثقافي المرجعي الرسمي وغير الرسمي المؤطر للحياة الثقافية.

في حالة المقاومة من القوى التقليدية، تصبح الأنثى أكثر شراسة في دفاعها عن حريتها المكتسبة **(وأصبح شرسة لأبعد حد فأصبح الجميع يخافني)**. التحدي يكمن في توازنها بين الحفاظ على هويتها الاجتماعية واستقلاليتها الناشئة، شراستها تتجلى في محاولاتها لتجاوز العوائق النفسية والاجتماعية التي تواجهها.

تحاول الأنثى اليوم تجاوز صراعاتها النفسية وذلك بتقدير ذاتها وثقتها في نفسها ووسعت من وعيها وإدراكها فما المقصود بتقدير الذات الأنثوية وماهي تمثلات الذكر لهذه الشخصية الأنثوية؟

3.3. تقدير الذات الأنثوية

في الأنثروبولوجيا، تقدير الذات الأنثوية يرتبط بفهم الأنثى لنفسها في السياقات الاجتماعية والثقافية التي تعيش فيها فالأنثروبولوجيا تدرس كيف تُشكل القيم والتقاليد والتوقعات المجتمعية تمثلات الأنثى لذاتها، خاصة في المجتمعات التي تفرض أدوارًا تقليدية عليها. تقدير الذات الأنثوية قد يتأثر بالعوامل الثقافية والاقتصادية والتعليمية، حيث تقوم الأنثى بإعادة تشكيل هويتها واكتساب القوة من خلال مقاومة التقاليد أو تبني أدوار جديدة. هذا يعكس أيضًا كيفية تحول تمثلات الأنثى داخل المجتمع وتقديرها لذاتها في مواجهة التحديات.

المقابلة رقم 15:

يقول المبحوث "ص" الأنثى اليوم ذات شخصية قوية، معادتش تخاف من الراجل بل بالعكس في الكثير من المواقف تتصرف بكل شجاعة، وفي بعض الأحيان تتصرف بعنف مع الراجل وولت قادرة على شقاها فعلا وليس كلاما.

من خلال كلام المبحوث نستنتج أن نظرة الذكر للأنثى أيضا اختلفت، فالذكر لم يعد يتمثل الأنثى ضعيفة وناقصة ولا ترقى لمستواه، بل أصبح يرى فيها الندية، بل وفي أحيان كثيرة تكون الأنثى أقوى من الذكر، يقول الدكتور سمير أبو زيد: "إذا كان لكل إنسان أو لكل ثقافة نظرة إلى العالم فإن السمة الأساسية التي تميز هذه النظرة هي أن تكون متسقة مع ذاتها ومع العالم الواقعي والنظرة التي لا تتسم بالاتساق تسقط

من تلقاء نفسها، يتركها الفرد والمجتمع والثقافة التي تعتنقها"[1]، واليوم نرى أن الأنثى تحررت من تلك النظرة الدونية وتجاوزتها وهذا ما قاله المبحوث في عبارته "ولت قادرة على شقاها فعلا وليس كلاما".

4.3. ميكانيزمات الهيمنة الأنثوية في التمظهرات

1.4.3. رمزيـة تشبه الأنثـى بالذكـر

تختلف رمزية هذه التشبه باختلاف الثقافات والميول والأهداف. فمنهن من ترى أن هذا التشبه يزيدهن إثارة ويُشعرهن بالقوة والجاذبية، أو يضفي عليهن صفات روحية. فيكون هذا من بين أهم دوافع سيطرة الأنثى وسطوتها، وكما ذكرنا وحسب اعتقادها أن مثل هذه السلوكات قد تضعها موضع القوة والتجبر فهي تقوم بها حتى يشعر الآخرون بالخوف منها، وهذه المظاهر تؤدي مع مرور الوقت إلى هيمنة الأنثى وتسا



ملاحظة الصورة: صورة فوتوغرافية مأخوذة بآلة تصوير.

خلفية الصورة: الصورة مأخوذة في قاعة حلاقة وهذا ماتبينه الخلفية وما يوحي به الديكور.

العلامات الأيقونية المرئية: وجه أنثى، شعر طويل أصفر، مشبك شعر برتقالي، 3 أنواع من الأقراط، مع جزء من الشعر مقصوص قصة تشبه قصة الذكور.

تحليل الصورة: تبين لنا الصورة وجه أنثى وما يبين ذلك هي الأقراط الموضوعة على أذنها، الشعر طويل ومصبوغ بالصبغة الصفراء مشبك الشعر المتواجد على الشعر إلا أننا في الجانب فوق الأذن اليسري نلاحظ قصة في الشعر تشبه تماما قصات الشعر بالنسبة للذكور.

التركيب: تبين الصورة واقع مختلف للأنثى اليوم خلافا عن السابق حيث كانت الأنثى تحافظ على طول الشعر ونعومته الذي يعتبر من أهم مصادر أنوثتها وسر جمالها.

1 2010، ص 20.

الصورة رقم 05: صورة فوتوغرافية لأنثى تتشبه بالذكر

2.4.3. الأنثى المسترجلة

انتشرت خلال السنوات الاخيرة، ظاهرة تستحق الوقوف والحديث عنها وهي ظاهرة الأنثى المسترجلة، ترجع لفظة مسترجلة في اللغة إلى كلمة الرجل، يقول ابن منظور: «الرجل: معروف الذكر من نوع الإنسان خلاف المرأة... وترجلت المرأة: صارت كالرجل ويقال امرأَة رجلة إذا تشبهت بالرجال في الرأي والمعرفة.

أما في الاصطلاح فيراد به: المتشبهة بالرجال زيا، وهيئة، ومشية، ورفع صوت ونحوها لا رأيا وعلما. والتعريف الإجرائي للأنثى المسترجلة هو كل أنثى تتشبه الذكر سواء في اللباس والهيئة أو فيهما مع السلوك، بحيث يظهر تشبهها الذكر من الوهلة الأولى.

الأنثى تتشبه بالذكور في جميع تصرفاتها وحركاتها، وحتى في لباسها، وهذا يخالف الفطرة التي خُلقنا عليها، فالأنثى وجدت لتكون مربية الاجيال، والام والزوجة الصالحة، وهي المخلوقة اللطيفة التي تمتاز بحيائها، ونعومتها، ورقتها وانخفاض صوتها. وهي نصف المجتمع الذي لا يمكن الاستغناء عن دورها الرئيسي فيه، ولا يوجد بديل لها وباختلالها يختل توازن المجتمع باكمله، وهذه هي نظرة المجتمع السوي للأنثى سواء من خلال ثقافته التقليدية أو ثقافته المكتسبة التي لا يكون فيها غلو في تمييع دور الأنثى.

المقابلة رقم 16: (حلقة نقاش في حفلة زفاف)

حضرت حفل زفاف إحدى صديقاتي في صالة فخمة وشد انتباهي من بين كل الحضور منسقة الموسيقى التي ظننتها للوهلة الأولى رجلا، فقيل لي إنها أنثى مسترجلة وكانت كلمة على كل أفواه

الحاضرات اللواتي استغربن كثيرا مظهرها، فاغتنمت فرصة إجراء محادثة مع المدعوات فتحدثت إلى مدعوة كانت قد أعادت وضع خمارها على رأسها بمجرد دخول منسقة الموسيقى فسألتها عن سبب ذلك فقالت ألم تري الرجل الذي بيننا فلما أخبرتها أنها أنثى قالت تتمسخري بيا هاو راجل هذا؟ فأخبرتها أنها أنثى ليست ككل النساء بل أنثى مسترجلة فراحت تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم وقالت هؤلاء الذين قال فيهم الله عز وجل في سورة النساء على لسان إبليس الآية "**ولآمرنهم فليغيرن خلق الله**" فتغيير فطرة الله التي فطر عليها خلقه لا تكون إلا من وسوسة الشيطان فهذه من وجهة نظري شيطان وليست أنثى مسترجلة وكون عرفت رايحين يجيبوا وحدة كيما هاذي مانجيش خلاص.

فعقبت مدعوة أخرى قائلة مثل هذه الظواهر تعود إلى البيئة التي نشأن فيها فإذا كانت البيئة التي تعيش فيها صالحة ستكون صالحة، وإن كانت بيئة تنعدم فيها التربية الصالحة سوف تسودها الفوضى والانحراف، فذلك يؤدي إلى ظهور إنسانة سيئة الخلق، ويظهر الانحراف في شخصيتها، وهذا للأسف ما بدأنا نلحظه بوجود مثل هذا النوع في مجتمعنا التبسي الذي لا يتقبل هذه الفكرة، لأنها تخالف ديننا ومعتقداتنا والأخلاق التي تربينا عليها، ولا تتماشى مع طبيعة الأنثى في مجتمعنا وهي الأنثى الملتزمة أخلاقيا.

اقتربت من مدعوة أخرى وسألتها عن رأيها في منسقة الموسيقى المسترجلة فتكلمت بحماسة وإعجاب هاذو هوما النساء صح فحلة وخدامة وماهيش تدير فالعيب ولا الحرام ولعل راهي تخدم على عيلة على أبناء قصر أو آباء طاعنين في السن ويبقى مظهرها الخارجي وهي حرة في حياتها الشخصية واحد ما يفرض عليها وش تلبس ووش ماتلبسش صح أنا مانقدرش نلبس كيفها بصح هذا الصنف يعجبني.

في حين أن مدعوة أخرى كان لها رأي محايد إذ أنها تقول أنو كل واحد حر في حياتو وواحد مايقدر يعرف ظروف الناس يعني هي حرة تلبس وش تحب وتخدم وتتصرف كيما تحب وعلاش راكم تعسوا فالناس.

أما المدعوة الخامسة فقد كانت طالبة جامعية تمثلت وجهة نظرها في الآتي، أننا أصبحنا نشاهد الأنثى المسترجلة أينما ذهبنا في الشارع، في العمل، في الجامعات، فنراها تتصرف وتلبس كالرجال دون وعي أو إدراك لما تفعله ودون تفكير في أضرار ما تقوم به فتقلد غيرها وإن كان الامر منافيا لطبيعتها الإنسانية وإلى الاخلاق والعرف الذي تعودنا عليه، فللأسف أحيانا عندما أراها لا أميّز بينها وبين الرجال، فتتحدث وتصرخ بصوت مرتفع دون مراعاة للآداب العامة، وإلى أنها أنثى في الأصل.

تقول مدعوة أخرى إن طبيعة مجتمعنا التبسي يفضل الذكر على الأنثى دائما، فنادراً ما نسمع بأن أبا أو أمًّا يتمنيان أن يكون مولودهما أنثى. وهذا الشيء أدى إلى ظهور مثل هذه الحالات في مجتمعنا وبعض من الآباء الذين لا يرزقون بمولود ذكر يقومون بجعل إحدى بناتهم تلعب في الأسرة دور الابن ومع مرور الزمن نلاحظ أن جميع تصرفاتها أصبحت ذكورية وبدأت تنسى بأنها أنثى. ضف إلى ذلك كلام الأب المستمر بأنه لم يرزق بذكر ولكن ابنته فلانة بمثابة ذكر، ينمي الشعور الذكوري لديها وتبدأ مع مرور الوقت ترفض حتى بأن تناديها باسمها فتجعل لها اسما ذكرا فتتحول تلقائيا جميع تصرفاتها إلى تصرفات ذكورية.

وعند وقت مأدبة العشاء تحينت الفرصة وجلست مع منسقة الأغاني على إنفراد فبادرتها قائلة مازحة ظننتك رجلا دخل إلى قاعة النساء فأجابت مقهقهة نعم كل من يراني يظن أنني رجل فحاولت الاستفسار عن سبب ذلك فردت قائلة لعدة أسباب أسرية واجتماعية فالتشدد المفرط لوالدي الذي كان متسلطا وعنيفا وكذلك أمي كانت متشددة في معاملتها لي وكانت تمنعني من كل شيء، مرة تقول أن ذلك خوفا علي ومرات تقول أنها لا تثق بي فتشديد الخناق من والدي جعلني أحاول أن أظهر بمظهر الرجال بكل شيء في كلامي وحركاتي وعملي وغير ذلك من الأمور الخاصة بالرجال إلى أن أصبحت أرى نفسي رجلا وأضافت مازحة قد اضطر إلى اختيار إحدى البنات زوجة لي.

المقابلة رقم 17:

ولغرابة الظاهرة وتفشيها في المجتمع أردت أن أتقصى عنها من منظور الدين فسألت إمام مسجد عائشة أم المؤمنين وكان هذا جوابه: كثيرا ما نرى صورا عجيبة من الأبناء والبنات الناشئين والناشئات في بيوتنا كمسلمين ونتعجب كيف حدث هذا المنتج، كيف جاء هذا الكائن الذي يسير على قدمين، ولماذا هذه أخلاقه، ولماذا هذه البنت أخلاقها هكذا، التي تعد من أسوء المنتجات، ماهذه العيوب الكثيرة الموجودة في هذا الكائن؟ هذا نتاج الولد أو البنت عندما يكون أحدهما ابن المذكرة من النساء والمؤنث من الرجال، قالت العرب قديما: إستأسد الحمل لما استنوق الجمل وليس هذا بمعنى أننا نريد أن نفضل صنفا على صنف ليس الذكر مفضلا على الأنثى ولا الأنثى مفضلة على الذكر فالذكر فضل بمقام مهامه في الدنيا والأنثى فضلت بمقام مهامها في الدنيا الفرق بين المقام والمهام المقام واحد التكاليف واحدة والأوامر واحدة والنواهي واحدة ولكن المهام كل واحد له مهام خلق لها.

يضيف الإمام: الأنوثة سر من أسرار الله لكن هذه النوعية نسيت أنوثتها فماذا صنعت؟ لبست مسوح الذكورة وليست مسوح الرجولة، وأضاف: في بريطانيا في أواخر السبعينيات من القرن الماضي وضعوا للأبقار وهي حيوانات مجترة اللحوم في العلف فلما أكلتها أصيبت بمرض سمي بجنون البقر فهذه المسترجلة مصابة بجنون الذكورة وهذه مصيبة لوجود أبناء وبنات يراقبون في المنزل، ففي هذه الحالة الدنيا تنقلب رأسا على عقب فالولد في هذه الحالة بين مصيرين إما أن يُقمع مع أي أنثى يتقدم لها وتصير نسخة من أمه والكارثة الكبرى أن يصبح منتقما من أي أنثى يرتبط بها لأنها تمثل أمه وينتج هذا الولد أسرة مليئة بالكوارث والعاهات فالبنت ترى أباها مسيطرا سيطرة قوية جبروت مطلق لا يسمع للأم يقمع رأيها لا مكانة لها قد يسخر منها ويقلل من قيمتها فالبنت تكون أحد شقين فإما أن تمحى أنوثتها تماما وإما أن تستأسد لتنتقم لضعف أمها فنحن لا نريد أن يكون لدينا جيل كله أمراض وعاهات نفسية فيه متلازمة الفشل أنا أقول نحن نريد أن ننشئ أجيال متوازنة نفسيا جيل متصالح مع نفسه.

في مقابلة منسقة الأغاني، تظهر الأنثى المسترجلة كنتيجة لتنشئة صارمة ومتشددة من قِبل والديها، اللذان فرضا عليها قيودا صارمة بحجة الخوف أو عدم الثقة. الأمر الذي أدى بها في نهاية المطاف إلى التخلي عن هويتها وتبني سلوكيات "ذكورية."

أنثروبولوجيا، يمكن تفسير هذا السلوك كردة فعل للهيمنة الأبوية داخل المجتمعات التقليدية. فنرى في هذه المقابلة أن تبني السلوك الذكوري نتيجة حتمية للتأقلم مع الهيمنة الذكورية والقمع المتواصل. فالأنثى هنا قامت بإعادة صياغة دورها الاجتماعي بطريقة تتحدى بها السلطة الأبوية، ويكون ذلك من خلال تقليد أدوار الذكور.

آراء المبحوثات تجاه استرجال الأنثى تراوحت بين الرفض المطلق والتبرير لأسباب مثل تأثير التربية أو السياق الثقافي، ما يوضح الصراع بين المعايير الثقافية التقليدية التي تتبنى الهيمنة الذكورية وبين محاولة الأنثى التخلص من هذه الهيمنة، حتى وإن كان على حساب الانسلاخ من هويتها كما هذه المنسقة التي راحت تقلد أدوار الذكور حتى تتخلص من هيمنة ذكورية فرضتها عليها تقاليد المجتمع وعاداته.

بعض النساء يلجأن إلى الاسترجال لشعور داخلي بعدم الثقة بمن حولهن، ومن اجل سد النقص الذي يعشنه في حياتهن، وبسبب فقدان الاحساس بالامان الذي تحتاجه كل أنثى.

الأنثى المسترجلة تتنكر لواقعها الأنثوي وخصائصه، وتعمل على تقليد الذكر وذلك من خلال الهروب من واقعها لواقع تراه أفضل وفق منظورها للعالم الذكوري الذي يستحوذ على المكانة الأفضل حسب قناعاتها، ومن الأسباب الاجتماعية المؤدية إلى ذلك أولها هي التنشئة الاجتماعية، فعلى سبيل المثال إذا نشأت الفتاة في بيت فيه شجار، أو تفضيل الذكور على الإناث هذان العاملان يساهمان بصورة جدية إلى اتباع أساليب غير سليمة رغبة في تقمص شخصية ذكورية.

ونخلص من خلال حلقة النقاش إلى أن الأنثى المسترجلة هي فئة موجودة وواقع معاش في المجتمع في الأصل أنتجته الهيمنة الذكورية، والأنثى من حيث تشعر أو لا تشعر ومن حيث انطلاقها من نقطة الدفاع عن وجودها واسترجاع مكانتها في المجتمع أوجدت لنفسها ثقافة مخالفة لثقافة مجتمعها ولموروثها الثقافي ففي السابق كانت تساهم في إنتاج الهيمنة الذكورية وبعد تمردها على هذه الهيمنة الذكورية سواء هيمنة الأب أو الأخ أو الزوج أصبحت هي المهيمنة وذلك نراه راجعا بالدرجة الأولى إلى غياب الثقافة الدينية والوعي الديني الذي يحدد لكل فرد في المجتمع مكانته ومهامه فالمسترجلة رأت أنه لا مكان في المجتمع إلا لقائد أو مقود ففضلت أن تكون القائد وبذلك استرجلت وهيمنت على كل من حولها وهذه ظاهرة اجتماعية وإن كانت موجودة ولها أنصارها ومحبيها والمروجين لها فإن الغالبية العظمى تمقتها لما فيها من سلبيات ومخاطر تهدد بناء المجتمع في المستقبل القريب.

3.4.3. ميكانيزم التغيير في سلوكيات الأنثى

لا ترتبط الهيمنة الأنثوية من حيث نتائجها وآثارها بالإطار النفسي والشخصي للأفراد كفاعلين داخل المجتمع، وإنما تشمل نتائجها المستوى الفردي والاجتماعي معا، أما المستوى الفردي فيظهر في صورتين رئيسيتين، ترتبط الأولى بالأنسحاب السلبي والتقوقع والعزلة الاجتماعية والثانية ترتبط بالتمرد وإتباع الأنثى لثقافة مضادة للمجتمع[1]، يقول مالك بن نبي:" فإن أشكالا جديدة من السلوك بدأنا نراها في الجزائر مثلا، وهي ليست من عاداتنا، وهي موجودة في سائر بلاد العروبة والإسلام، فمن تلك الأشكال مثلا: تلك الأوضاع المثيرة التي تتخذها الفتاة لتلفت الأنظار إليها، وتخفق لها القلوب، وذاك الشاب ذو الشعر الطويل الذي يتحاشى النطق بالراء فينطقها غينا"[2].

[1] مالك بن نبي، مشكلات الحضارة –مشكلة الثقافة–، المرجع السابق، ص 94.

[2] مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 156.

المقابلة رقم 18:

إمرأة في الستينيات تتحدث باستغراب كبير: يا لطيف الوقت لي وصلنالو جيل لا رباية لا حشمة، كنت فايتة قدام الليسي شفت بعيني لي ياكلها الدود والتراب ثلاثة بنات ما بين 16 و17 سنة، يجروا وراء شاب ويرمولو فالهدرة وحدة قالتلو ما أبهى عينيك ووحدة قالت كون يجي يخطبني نقبل والأخيرة تجرأت وطلبت رقم تلفونو وهو ضحك وراح وخلاهم.

من خلال هذه المقابلة يُستشف أنه فعلا هناك تغيرات رهيبة في السلوكيات الاجتماعية للفتيات في مجتمع يعتبر مازال محافظا على بعض التقاليد أين يفترض من الفتاة أن تكون ملتزمة بمعايير أخلاقية لا يجب أن تحيد عنها خاصة إذا تعلق الأمر بالاحتشام والحياء، فالخطبة من المتعارف عليه أن الذكر من يُقدم عليها، لكن عندما تتجرأ فتاة على اتخاذ خطوة منافية لتقاليد المجتمع، مثل خطبة شاب "وفي الشارع" حتى وإن كانت من باب المعاكسة والمزاح، فإن ذلك يعكس تغييرات في الميكانيزمات الجنسية. فالمتعارف عليه أن الذكر هو من يعاكس الفتاة، فتوسيع الفتاة لنطاق حريتها الشخصية ضمن بنية الهيمنة الاجتماعية الذكورية السائدة يشير إلى تحول في قيم المجتمع وإن كان بطيئا فإنه يعبر عن هيمنة أنثوية بدأت تنشط وتتفاعل مع القيم السائدة. كما أن هذه الخطوة تعد نتيجة حتمية لانتشار أفكار دعاة المساواة بين الجنسين كما يؤكد تغيير سلوكيات الأفراد داخل المجتمعات التقليدية وإن كانت بصور فردية فإن هذه الثقافة بدأت تجد طريقها للانتشار داخل مجتمع تقليدي.

4.4.3. ميكانيزم غرس سلطة جديدة

إذا كانت القيم الاجتماعية هي التي تعبر بالدرجة الأولى عن حاجات الفرد ورغباته، فإن هذه القيم يكتسبها الفرد منذ صغره عن طريق عملية هامة ضرورية هي التنشئة الاجتماعية، هذه الأخيرة هي التي تقوم بعملية دمج الفرد في الإطار الثقافي العام عن طريق تعليمه نماذج سلوكية معينة في المجتمع الذي ينتمي إليه وبفضلها تكتمل شخصية الفرد لما تدخله عليه من أفكار ومعتقدات... الخ.

المقابلة رقم 19:

من خلال حديثنا مع المبحوثة "ف": تقول أنا امرأة متزوجة ولي ولدان وبنت أساوي بين أبنائي ولا أفرق إطلاقا بين الذكر والأنثى بل بالعكس في بعض الأحيان أفضل البنت عن أولادي الذكور، لأنني أشعر أن ابنتي محتاجة إلي أكثر من إخوتها الذكور، لا أفرق بينهم حتى في الحيز المكاني فنحن نجتمع جميعا حول مائدة طعام واحدة، كما نشاهد البرامج التلفزيونية معا، يساعدني أبنائي الذكور في البيت مثلما تساعدني ابنتي أكيد طبعا... تبتسم وتقول "علاش جبتهم أكيد باش يعاونوني" ولأنني عاملة أطلب من أولادي الذكور مساعدتي في كل أشغال البيت وفي بعض الأحيان أعاقبهم إن لم يقوموا بالأعمال التى طلبتها منهم، الأعمال التى يساعدونني فيها هي وضع الطعام فوق المائدة، ترتيب غرفهم، تنظيف البيت معي نهاية الأسبوع، وفي بعض الأحيان تنظيف الأواني، وغسل الملابس لأن كل فرد ملزم بغسل ملابسه وحده، وتقول هذا قانون ملزم أفرضه على أسرتي باستثناء الزوج، لكن إن استدعى الأمر فهو أيضا سيكون ملزما، وتقول المبحوثة لا أُلزم ابنتي إطلاقا بأن تقوم بأعمال البيت وحدها.

عقبتُ على كلامها قائلة: قديما كانت هذه الأعمال تقوم بها الأنثى في غياب الأم بمعنى أن الأخت هي التى تقوم بهذه الواجبات تجاه إخوتها الذكور، تقاطعني المبحوثة بشدة قائلة: لا هذاك زمن السيطرة وأنا لا أرضى إطلاقا هذا الوضع لابنتي، هذا السلوك يعقد من شخصية ابنتي، لذلك لا أرغمها على خدمة إخوتها الذكور وكل واحد يخدم روحو، وزيد لازم أنعلم أولادي ذكر أو أنثى على تحمل المسؤولية، كل فرد يتحمل مسؤوليته وأعماله الخاصة.

هذه الحالة تبين أن هذه الأم تريد أن تطبع الأسرة بسمات جديدة غير السمات التى كانت تطبع النظام الأبوي حيث نجد في السابق أن علاقة الأم بالأبناء يكون فيها تحيز للذكر على حساب الأنثى حتى وإن كانت ناقمة على تقاليد المجتمع في مرحلة من عمرها فإنها وعند ممارسة الأمومة تتبنى تلك السلوكيات التي كانت مذممة لديها ومخزنة في عقلها اللاواعي وتعيد إنتاجها في أسرتها المصغرة، إذ تحاول الأم

التقليدية غرس القيم الأبوية في الابن الذكر وذلك بترسيخ فكرة الرجولة، السلطة، القوة... مما يؤثر على شخصيته فيتشبع هذه القيم ويمارسها على الجنس الآخر بدءا بأخته، أمه وزوجته... هذه الفكرة التي أكدها أغلب الباحثين العرب في هذا المجال التي مفادها أن الزوجة الأم داخل الأسرة، تعيد إنتاج القيم التقليدية الأبوية فالأنثى رغم مناداتها بالحرية والمساواة مع الذكر إلا أنها تعمل على زرع بذور استمرار هذا النظام بشكل غير واعي.

لكن التنشئة الاجتماعية التى تقوم بها هذه الأم في هذا النموذج مغايرة تماما للوظيفة التربوبة التقليدية. يقول بيار بورديو"قوة الفعل التربوي الذي يشبه التنويم، كون الذات في هذه المرحلة في حالة استكانة فذهن الطفل كالورقة البيضاء، ذو إرادة مشلولة، تليها مرحلة ملئ الفراغ، ولنجاح العملية يشترط حزم المنوم أثناء إصداره للأوامر في المرحلة الأخيرة" والفعل التربوي في هذه الحالة خاصة من خلال تقسيم العمل، فيه نوع من السيطرة على الذكر وتساهل الأم مع الأنثى التي تريد تحريرها من عادات وتقاليد المجتمع التي تنص على خدمة الذكر مهما كانت صفته، وهذا نوع من التحرر من الهيمنة الذكورية، التي تنشأ عليها الأنثى في الصغر وستتحول إلى هابتوس*، ويترجم هذا المصطلح في العربية بلفظ التطبُّع أو السجيّة الذي يحمل فيما معناه "مجموعة من الاستعدادات الموجّهة للسلوك" أو هو "التأويل لوضعية ما" غير متكونة صدفة، "بل نتاج تاريخي لممارسات فردية التي تصبح مشتركة في نفس الجماعة". وبمعنى آخر يتحدد عمل الهابتوس باعتباره نسق الاستعدادات الدائمة والقابلة للنقل التي يكتسبها الفاعل الاجتماعي من خلال وجوده في حقل اجتماعي بالعالم الاجتماعي حيث يعيش. أي أن الطفل يكتسب بشكل غير واع، مجموعة من الاستعدادات من خلال انغماسه في محيطه الاجتماعي تمكّنه من أن يُكيِّف عمله مع ضرورات المعيش اليومي، وتصبح عادات ذهنية وسلوكية معينة يُطبِّقها على كل المشكلات التي يواجهها في وسطه.

* الهابتوس من أهم مصطلحات بيار بورديو إضافة الى الفاعل الاجتماعي، والحقل أو الفضاء الاجتماعي.

ويختلف الهابتوس باختلاف الحقول التي يكون الفاعل الاجتماعي طرفا فيها وباختلاف الموقع الذي يحتله في مجاله الخاص. ولأن اقتحام هذه الأم الأنثى لسوق العمل جعلها تتخلى عن جزء من وظيفتها الاجتماعية، مما دفعها للاستعانة بأبنائها الذكور في كل الأعمال المنزلية، الذي كما سبق وقلنا يصبح العمل داخل المنزل من طباع هؤلاء الأبناء الذي كان في وقت سابق عمل يخص فقط الأنثى وهنا ومع مرور الوقت تتغير معادلة الهيمنة الذكورية، خاصة وأن المبحوثة أضافت بأنها لا تفصل بين نوعي الجنس في المكان ففي السابق كانت الأنثى لا تجتمع مع الأب والإخوة الذكور على المائدة لأن الأم تسعى إلى تلقين ابنتها قيم وعادات أسرية، وتعويدها على الاحتشام أمام جنس الذكر مهما كان سنه بداية بأخيها ووالدها إلى غاية زوجها في المستقبل .لأنه حسب العادات والتقاليد الحشمة والحياء أساس على فعل كل جميل، وتمنع الوقوع في كل فعل قبيح. لكن مع التنشئة الجديدة وحسب هذه المبحوثة تختلف الموازين والمعايير تماما فنجد أنه فعلا قد اكتسحت الثقافة الجديدة مكان الثقافة التقليدية أين ترى الأم أن مشاركة الأنثى إخوتها الذكور المكان والعمل لا يتنافى مع الأخلاق والحشمة والحياء فهي فرد من العائلة وأن الثقافة التي تحرمها مشاركة إخوتها الذكور هي ثقافة تسلطية بائسة عفي عليها الزمن وعلى المجتمع أن يسعى لهجرها وأن ينشئ أبناءه على ثقافة أكثر تفتحا لا تفرق بين الجنسين.

5.4.3. قمع الأنثى للأنثى كآلية للسيطرة

المقابلة رقم 20:

"س" عاملة في مديرية الضمان الاجتماعي تقدم بها السن حتى تجاوزت ال 50 ثم تزوجت من أرمل له ابنة، في حقيقة الأمر مثقفة وتعمل أستاذة مربية أجيال وهي المسيطر الرئيسي في بيت والدها فهي صاحبة القرار وصاحبة الأمر والنهي، ووصل بها الأمر إلى أن تنهى زوجة والدها عن الخروج، وتحدد لها الأطباق التي تقوم بطهيها، وإن لم يعجبها الأكل فزوجة أبيها ملزمة بطهي طعام آخر تحدده الابنة، ثم أخبرتنا أن

والدة الابنة ومنذ صغرها سلمت لها زمام الأمور الذي جعلها تهيمن على كل صغيرة وكبيرة وتعتبر زوجة والدها لا تعدو عن كونها خادمة وعليها أن تأخذ رأيها في كل صغيرة وكبيرة وإلا فهي مهددة بالطلاق والطرد من البيت وأضافت المبحوثة أن زوجها لا يجرؤ أن يناقش ابنته مجرد مناقشة في التجاوزات التي تقوم بها مع زوجة أبيها.

ابنة الزوج تظهر مهيمنة في الأسرة، فهي صاحبة القرار دون منازع، وهذا يعكس وجود تفاوت في السلطة بين أفرادها، يرجع ذلك إلى أن الابنة تحملت مسؤولية الأسرة منذ زمن بعيد أي منذ أن كانت والدتها مريضة وبعد وفاتها الأمر الذي جعلها لا تتقبل من يقاسمها هذه السلطة في المنزل أي زوجة والدها الجديدة التي راحت تفرض عليها نوعا من القمع فكانت تعاملها معاملة قاسية وكأنها خادمة وليست سيدة في بيت زوجها تتخذ القرارات التي تخص حياتها الخاصة.

ابنة الزوج، كونها أنثى مثقفة وذات مكانة مهنية كأستاذة، تستخدم هذه المكانة لتعزيز سلطتها داخل الأسرة. وهذا نوع من السلطة الأنثوية المتزايدة التي قد لا تكون معترف بها بشكل رسمي في المجتمعات التقليدية، والجدير بالذكر أن الأب في هذه الأسرة يتجنب مناقشة ابنته حول تجاوزاتها، مما يدل على ضعف السلطة الأبوية في هذه الحالة مما يعزز من الهيمنة الأنثوية داخل الأسرة وهذا يؤكد التحول في الأدوار التقليدية حيث تكون السلطة الأبوية مفقودة أو ضعيفة.

المقابلة تظهر نمطا اجتماعيا مخالفا للأنماط الاجتماعية التقليدية أين تكون زوجة الأب هي من تمارس قمعا اجتماعيا على أبناء الزوج وتعاملهم بعدائية وتهميش بالرغم من أنها دخيلة على الأسرة فتهدد استقرار العلاقة بين الأب وأبنائه، لكن في هذه المقابلة نجد زوجة الأب في موقف ضعيف أمام الابنة التي غرست فيها بذرة المسؤولية ومع مرور الزمن تحولت إلى هيمنة داخل الأسرة، أين ينعكس هنا الصراع بين الأجيال. هذا الصراع يعكس تفاوت التوقعات بين زوجة الأب التي من المفترض أن تنال قدرا كبيرا من الاحترام، وبين ابنة الزوج التي تشعر بأنه يحق له السيطرة واتخاذ القرارات نيابة عن الآخرين في الأسرة.

وهنا يمكن القول أن أساليب التنشئة الأسرية الخاطئة التي تقوم على أساس ترك الحبل على الغارب في التربية من شأنها أن توجد أجيال منسحبة من الموروث الثقافي الاجتماعي ولها فاعلية معكوسة، فالأسر التي تربي أبنائها على التصرف على هواها وتترك لهم الخيار في كل ما تعلق بحياتهم الخاصة، ستجعل منهم أفرادا متسلطين مهيمنين على من يعيش معهم في حلقة اجتماعية صغيرة.

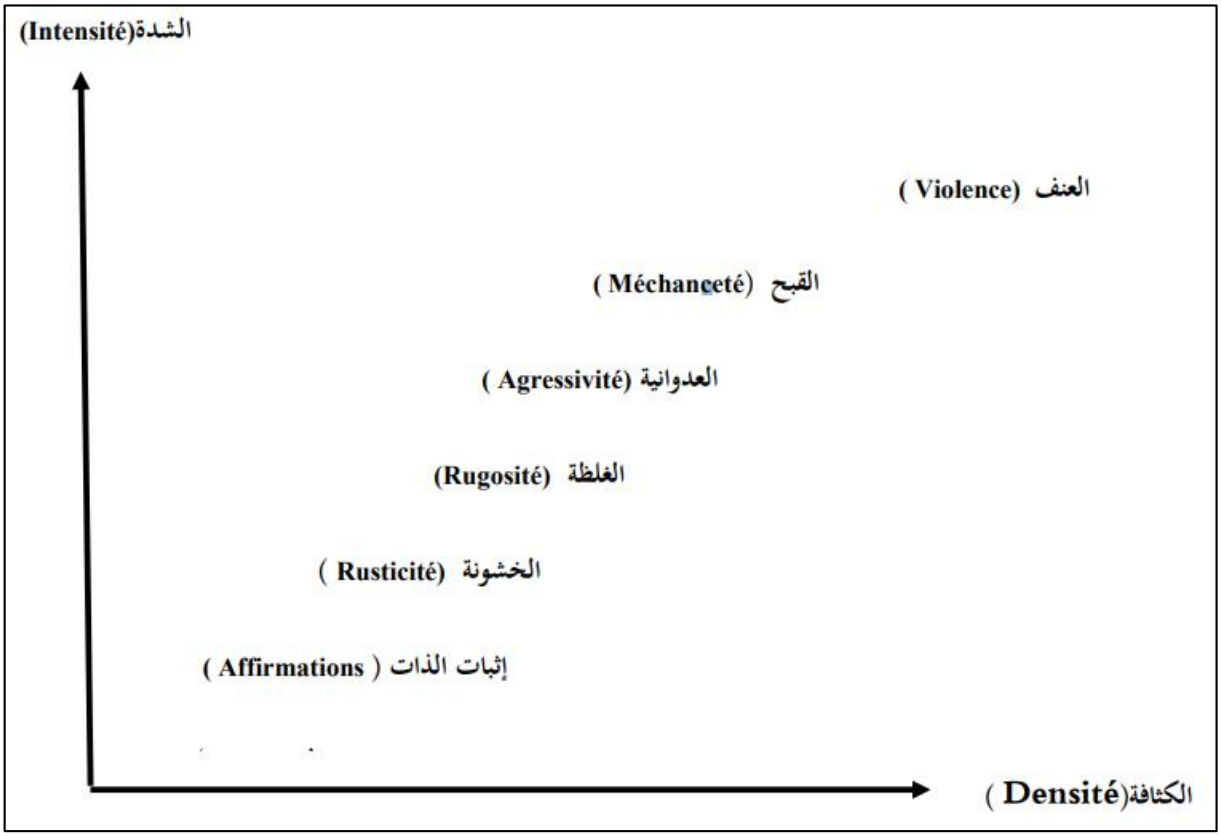
6.4.3. العنـف الأنثـوي

تعد الدوافع النفسية والنفسية الاجتماعية من أهم موجهات السلوك الإنساني ومحدداته حيث يسعى الفرد داخل المجتمع إلى تحقيق إشباع للعديد من الحاجات النفسية والاجتماعية كالحاجة إلى الأمن وتقدير الذات والانتماء وكذلك الحاجة إلى تحقيق الذات، ويرى العديد من علماء النفس أن عجز الفرد عن الوصول إلى إشباع حاجاته ودوافعه يؤدي به إلى عدم الوصول إلى مستوى مناسب من التوافق مع نفسه ومع الآخرين، كما أنه يدفع الفرد بشكل أو آخر إلى تبني بعض الأنماط السلوكية السيئة وغير المتكيفة والإصابة بالعديد من الأمراض النفسية والاجتماعية مثل التمرد والإدمان على المخدرات والعنف والتطرف وغيرها، كما أن الصراع بين الدوافع والرغبات المتعارضة والإحباط وما يرتبط بهما من الشعور بخيبة الأمل والفشل والعجز التام وتحقير الذات والحرمان وكذلك الخبرات الصادمة التي تعيق دافع تحقيق الذات عند الفرد تؤدي إلى مجموعة من الإحباطات الأخرى[1]. فعندما تعيش الأنثى وسط مجتمع تسيطر عليه الهيمنة الذكورية والقمع المستمر وتجد نفسها محاصرة في هذه الثقافة التقليدية فتضطر للبحث عن مخرج فلا تجد غير ممارسة العنف بديلا ووسيلة للتحرر والتعبير عن استقلاليتها، هذا العنف قد يكون مصدره التراكمات والإحباطات الناتجة عن الهيمنة الذكورية من منظورها الشخصي والاجتماعي، فتعيد بذلك تشكيل دور الأنثى في المجتمعات التقليدية المحافظة التي كان يغلب عليها الخضوع والهيمنة الذكورية، فعندما تتغير المعايير

[1] حورية هدهود، الاغتراب النفسي وعلاقته بالتوافق النفسي الاجتماعي لدى المراهق الجانح، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، تخصص علم النفس، فرع علم النفس الجنائي، جامعة المسيلة، 2012م، ص55-56.

الاجتماعية وتكون هناك فرص للتحرر تستخدم الأنثى العنف لتأكيد هويتها وقيمتها الذاتية، فهذا العنف الذي يعكس تحررا داخليا من القيود الاجتماعية، كطريقة للتعبير عن رفض القمع وإعادة توازن القوى بين الجنسين.

بين بن صافي حبيب أن العنف سلوك يصل إليه الفرد بالتدرج من خلال إحباط دافع تحقيق الذات حيث ينتقل من مرحلة إلى أخرى فكلما زاد الإحباط في شدته تظهر مرحلة من مراحل السلوك العنيف إلى أن تصل إلى العنف ويوضح ذلك من خلال المخطط التالي:[1]



الشكل رقم 07: الاتجـاه نحـو العنـف

[1] بن صافي حبيب، العنف وعلاقته بالفرد والمجتمع، مجلة الحوار الثقافي، عدد ربيع وصيف 2015م، مخبر حوار الحضارات، التنوع الثقافي وفلسفة السلم بجامعة مستغانم، الجزائر، ص 244-245.

المقابلة رقم 21:

تقول المبحوثة، وهي غاضبة: "رفعت قضية خلع وخلعته، فإن لم أفعل ذلك كنت قتلته ووضعته في كيس قمامة وارتكبت في حق نفسي جريمة شنعاء". تسرد قصتها بتسلط وعنف، وتروي كيف حاولت إقناع زوجها بالطلاق لكنه رفض، ورفضت عائلتها الفكرة أيضًا. تقول والدتها: "كون ترجعي يقتلوك خيوتك"، لكنها لم تستمع لأحد وقررت الخلع. وتحدثت عن حياتها قبل الزواج، حيث عاشت في منزل والدها مع إخوتها الذكور الذين كانوا يتدخلون في حياتها بشكل صارم. كان الخروج للتنزه أو الالتقاء بصديقاتها محرمًا، وتعرضت للضرب والشتم لأتفه الأسباب. تقول إن والدها كان يدعم تصرفات إخوتها ويعتبرها مبررة.

بعد نجاحها في البكالوريا، خفّت القيود قليلًا أثناء التحاقها بالجامعة، لكن ذلك لم يدم طويلًا. تقدم صديق أخيها لخطبتها، ورفضت لأنها لم تحبه وأرادت إكمال دراستها، لكن العائلة أصرّت وضغطت عليها حتى قبلت الزواج بشرط إكمال دراستها. تروي أن الزواج لم يمنحها الحرية التي توقعتها. منذ البداية، بدأ زوجها بإهمالها ومنعها من الدراسة والذهاب إلى بيت أهلها أو حتى المناسبات الاجتماعية. كانت تتعرض للضرب والشتم لأسباب تافهة، مما دفعها إلى تناول حبوب منع الحمل لتجنب الإنجاب في هذا الوضع. تقول إن النجاح في مسابقة الأساتذة زاد من مشكلاتها، إذ تصاعدت خلافاتها مع زوجها وأصبح أكثر عدوانية. في إحدى المرات، اشتد الشجار بينهما إلى أن انهالت عليه بالضرب بعصا طويلة في لحظة غضب هستيري، تاركةً إياه ينزف. غادرت المنزل إلى أهلها وأعلنت تمردها عليهم جميعًا.

من مظاهر الهيمنة الأنثوية العنف الذي تمارسه الأنثى ضد بيئتها الاجتماعية، عندما تشعر بمعنى وجودها الاجتماعي و ترى بأن بيئتها الاجتماعية تحول بينها وبين تحقيق ذاتها، لذلك فهي تمارس العنف لتتمركز حول تحقيق أهدافها الذاتية على حساب الجماعة التي تحيا بينهم من خلال إتباع الأساليب غير المشروعة اجتماعيا أي الخروج عن القيم والمعايير الاجتماعية والانسحاب من المجتمع الذي يقيدها، ومنه فإن العنف الأنثوي يترك آثارا على الفرد والمجتمع على حد سواء، وما يهمنا هنا هو آثاره على الجانب

الفردي حيث أنه يجعل الأنثى شبه فاقده لمقومات إنسانيتها التي تكتسبها من خلال الإطار الثقافي للمجتمع وتصبح الأنثى تسعى إلى خلق أوضاع جديدة من خلال أنماط سلوكية نابعة من أهوائها الفردية بسبب فقدانها للعقل الثقافي الجمعي الموجه لها نتيجة استبدال معيار القيم الثقافية في الحراك الاجتماعي بمعيار المصلحة الفردية، فتظهر عليها سلوكيات التسلط والسيطرة في حين تظهر على الذكر سلوكيات الخضوع والعجز عن تحمل المسؤولية كما يصبح مجبورا على التأقلم مع الثقافة الأنثوية الجديدة، وهذا ما لمسناه من كلام المبحوثة التي جعلت الجميع يخضع لإرادتها.

في هذه المقابلة نجد أن المبحوثة تعاني من الإحباط بسبب القيود التي عاشتها في مرحلة مبكرة من حياتها من قِبَل أهلها ويتجلى ذلك في الضغوط التي كانت تمارس من طرف إخوتها والتي تصل أحيانا على الضرب وموقف والدها السلبي والذي هو في حقيقة الأمر داعم لقرارات إخوتها الذكور، بينما تصف هي نفسها أنها عاجزة عن التعبير وغير قادرة على اتخاذ القرارات المتعلقة بحياتها الشخصية. وهذا كله راجع للتمييز بين الجنسين الذي يُشعر الأنثى بأنها أقل شأنًا من الذكور، ما يؤدي إلى ممارسة نوع من الخشونة والغلظة.

في مرحلة زواج هذه الأنثى، يبدأ الزوج هو الآخر بممارسة هيمنة ذكورية أخرى ويفرض عليها قيود جديدة أسوء مما عاشته في بيت أهلها، إذ يمنعها نهائيا من مواصلة دراستها الجامعية ويمنع عنها المصروف، فتزداد الضغوط من خلال محاولته السيطرة على سلوكها مما يؤدي إلى تراكم إحباطات نفسية إضافية تجعل منها أنثى عدوانية.

بعدما تصل الأنثى إلى مرحلة العدوانية، تبدأ ملامح العنف تظهر في سلوكها نتيجة الإحباطات والضغوط المتراكمة، فيبدأ العدوان يظهر في شكل مشاجرات مستمرة واستعمال لغة حادة، وعند بلوغ الإحباط ذروته، انتقلت المبحوثة من العدوان اللفظي إلى العنف الجسدي تجاه زوجها، هذا السلوك الذي ظهر فجأة وحسبها دون تخطيط مسبق له يعبر عن تفاقم الصراع الداخلي الذي تواجهه نتيجة الإحساس بفقدان السيطرة على

حياتها الشخصية. فكان العنف الجسدي وسيلتها الوحيدة لفرض هيمنتها واتخاذ قراراتها الخاصة بها التي رأت بأنها سلبت منها بفعل القوى التقليدية.

لقد عاشت الأنثى في المجتمعات التقليدية حياة قمعية خاضعة للهيمنة الذكورية، لكنها وأمام رفضها للثقافة التقليدية التي تفرض عليها الاستسلام للهيمنة الذكورية وتبنيها للثقافة الحداثية استطاعت إعادة تشكيل ذاتها وجعلت من القمع الذكوري وسيلة لكسره وفرض وجودها في المجتمع ورفض الأدوار التقليدية المفروضة عليها. وبذلك فتحت أبواب المجتمع المحافظ على ترسانة من التغيرات الجديدة، ومستجدات الحداثة. فهنا لم تعد صورة الأنثى صورة أنثى مسكينة ترضى بالقسمة والنصيب ومستسلمة لمجتمع ذكوري تعاني فيه غربة صامتة وانطواء لا يطاق، ديدنه أن يضيق عليها الخناق، ويمحو شخصيتها النزاعة إلى التحرر. بل أثبتت وجودها في الحياة العامة وأصبحت ظاهرة مألوفة، وصارت نسبيا تفرض إرادتها وتحقق اختياراتها، وأضحت أكثر جرأة ومواجهة وتحديا للذكر، سواء كان أبا أم زوجا أم أخا، واكتسحت جميع مجالات الحياة المدارس والجامعات والوظائف وكل ميادين الحياة.

7.4.3. ميكانيزم العصيان عند الأنثى

تتخذ الأنثى العصيان وسيلة لحل مشكلاتها التقليدية مع الذكر والمجتمع عامة، فهي تسعى من هذا العصيان إلى البحث عن هويتها الأنثوية في مقابل الآخر الذي حقق ذاته تاريخيا واجتماعيا، في حين أن الأنثى تاريخيا واجتماعيا كانت تابعة لعالم الذكورة الذي امتطى مساحة زمانية ومكانية وايديولوجية رسخت قواعده، وفي هذه المقابلة تبين لنا المبحوثة كيف حاولت البحث عن هويتها الأنثوية وتحقيق ذاتها.

المقابلة رقم 22:

يصل التمرد والعصيان عند الأنثى المراهقة إلى عاصفة وقد تتحول هذه العاصفة العاتية إلى إعصار خاصة إذا كانت الأنثى تعيش في عائلات أو أسر مفككة فتكون الأم مطلقة وتعيش رفقة بناتها لوحدهن والأب تزوج من أخرى ولم يعد أمرهن يعنيه في شيء، فيكون هناك نوع من التسيب فتتصرف الأنثى بحرية

متفلتة تكون نتيجتها التمرد على الأم وعصيان أوامرها، إذ تُضرب نصائحها عرض الحائط ولا يسمع كلامها من طرفهن ولا تقوى على منعهن من القيام بأي فعل مخالف أو منافي لتقاليد المجتمع، تقول المبحوثة "ص" تم الطلاق بيني وبين زوجي سنة 2015، وقتها ابنتي الكبرى كانت تبلغ من العمر 13 سنة والوسطى 12 سنة والصغرى عشر سنوات، وفي 2023 الفتاه الكبرى تزوجت وتطلقت بعد أن مارست مع هذا الشاب كل أنواع الرذيلة وألزمه القضاء بالزواج منها أو السجن فتزوجها هروبا من السجن ثم طلقها بعد شهر وهي الآن لا تعود إلى البيت ولا أعرف أين هي، أما البنت الوسطى ولأنها هي الأخرى تمردت فأصبحت تتناول المخدرات مع رفيقاتها فحاولت أن أمنعها فوضعتها في غرفة وأغلقت عليها الباب وكان الخطأ الذي ارتكبته أنني قبل أن أغلق عليها باب الغرفة لم أفتشها جيدا، فهددتني إن لم أسمح لها بالخروج أنها ستنتحر، ولأنني استهنت بتهديداتها وخفت إن خرجت أن تسلك نفس طريق أختها لم أفتح لها الباب فقامت بشرب علبة كاملة من الدواء أين أصابها هبوط حاد في الدورة الدموية، وبقيت في العناية المركزة لمدة شهر ثم عادت إلى البيت وهي الآن حامل وأنا أعرف الفاعل ولما طلبت منها أن نتقدم بشكوى ضده رفضت رفضا مطلقا، ثم هددتني أنها في حالة تقديم الشكوى ستقف في طرف الشاب ضد أمها وتنكر وجود أي علاقة معه، في حين أن الفتاة الصغرى عرضت علي أن نفتح بيتا للدعارة يدر علينا أرباحا طائلة، وفي 2022 فقدت السيطره تماما على بناتي إذ أصبحن يقضين الليالي الطوال خارج المنزل دون أن أعرف أين أو مع من يسهرن.

المقابلة تُبرز أن تفكك الأسرة بعد الطلاق ساهم بشكل مباشر في تدهور النظام الأسري وفقدان السيطرة على البنات. الطلاق في المجتمع يمكن أن يخلق خللًا في السلطة، حيث يعاني الأطفال من فقدان التوجيه الأبوي والاستقرار العاطفي، كما يحدث في حالة المبحوثة وبناتها. هذا الخلل يُسهّل على المراهقات التمرد وإتباع سلوكيات غير منضبطة ومنافية لعادات وقيم المجتمع.

الأب غائب تماما عن حياة بناته خاصة بعد إعادة الزواج أما الأم فموقفها ضعيف وغير قادرة على فرض الانضباط، فغياب السلطة الأبوية ساهم في تفشي التمرد والعصيان بين البنات، خاصة في مراحل المراهقة حيث يكون الإشراف والمراقبة ضرورين. الأم مغلوبة على أمرها وهذا عكس تحولا في موازين القوى داخل الأسرة أين أصبحت الفتيات المراهقات المتمردات هن المسيطرات.

وتمثل تمرد المراهقات كما توضحه هذه المقابلة في سلوكيات غير أخلاقية وخطيرة ومنافية لعادات وتقاليد المجتمع مثل تعاطي المخدرات، إقامة العلاقات الجنسية المحرمة، والاقتراح بفتح بيت للدعارة، وهذا نتيجة انعدام القيم والأخلاق في البيئة التي نشأت فيها الفتيات المراهقات.

بنهاية المقابلة، نجد أن الأم قد فقدت السيطرة تمامًا على بناتها. وهذه نتيجة حتمية للتفكك الأسري، كما تبين المقابلة عدم قدرة الأم على احتواء الأزمات التي تمر بها بناتها. البنات أصبحن يعشن خارج النظام الأسري، ويقضين الليالي خارج المنزل دون علم الأم بما يفعلن، مما يعزز حالة الفوضى والتسيب.

عد بعض المختصين مرحلة المراهقة واحدة من أكثر مراحل الحياة خطورة وقد مثلوها بالعاصفة العاتية وقالوا أن هذه العاصفة تهز المراهق هزا عنيفا فيتمرد على السلطة الأبوية ويصبح صاحب قرار نفسه ويرغم الآباء والأمهات على تقبل قراراته وتصرفاته بكل سطوة ووحشية وخاصة لما تكون المراهقة أنثى فهذه المرحلة فعلا هي مرحلة خطيرة لأن الوالدين سيقفان عاجزين أمام كبح جماحها ولن يكون هناك أمامهما حل سوى الرضوخ لتمردها الذي يكون سيلا جارفا يجرف معه كل القيم والعادات والتقاليد الاجتماعية.

5.3. ميكانيزمات تشكل الهيمنة الأنثوية في ظل تأثير الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي

تُعتبر وسائل التواصل الاجتماعي، مثل فايسبوك وأنستغرام وتيك توك، منصات قوية تؤثر على تمثلات الأفراد وسلوكياتهم في المجتمع من الناحيتين الإيجابية والسلبية، كما تقدم ثقافات مختلفة منها ما هو موروث عن ثقافة وعادات وتقاليد البيئة التي يعيشها المؤثر، ومنها ما هو مستمد من ثقافات أخرى تأثّر بها المؤثر

ويعمل على نشرها في بيئة واسعة متأهبة لاستقبال الثقافات الدخيلة حتى وإن كانت منافية للعادات والتقاليد السائدة، وأصبح بإمكان الأنثى استغلالها للتعبير عن نفسها وإعادة تشكيل هويات الجنسين. وأن هذه الثقافات الدخيلة على المجتمعات النمطية في وسائل التواصل الاجتماعي بكل أنواعه عززت الهيمنة الأنثوية أين يتم تصوير الأنثى بشكل مهيمن ومتسلط، هذه الصور قد تؤدي إلى تعزيز الفكرة بأن الأنثى يجب أن تكون في موقع السيطرة، مما يخلق ضغطًا على الذكر في المجتمع. وفقًا لبعض الدراسات، يمكن أن يؤثر ذلك على العلاقات ويؤدي إلى تزايد التوترات بين الجنسين. دراسات كثيرة توصلت إلى أن وسائل التواصل الاجتماعي في المجتمع المحلي أثرت تأثيرا سلبيا أكثر منه إيجابيا ووسعت الهوة بين الجنسين وشكلت أزمات أخلاقية وخيانات زوجية أصبحت واسعة الانتشار، وهذه المشاكل لم تكن معروفة في الثقافة الاجتماعية التقليدية المحلية، فنسبة الطلاق وصلت إلى أعداد مخيفة وأغلبها حسب دراسات أنثروبولوجية كانت نتيجة الخيانات الزوجية.

1.5.3. دور المؤثرين

المؤثرون على وسائل التواصل الاجتماعي يُعتبرون جزءًا أساسيًا في التأثير على الانسلاخ من القيم والعادات التقليدية. بعض هؤلاء المؤثرين يروجون لنماذج سلبية من الهيمنة الأنثوية، وهي عبارة عن بضاعة غربية مستوردة، مما يجعل فكرة التسلط على الذكر أكثر شيوعًا. وفي الوقت نفسه، يمكن أن تؤدي هذه الصور إلى عدم تقبل الذكور لأدوارهم التقليدية، مما يخلق صراعًا بين الأجيال.

أنثربولوجيا يمكن أن يُنظر إلى هذه الظواهر كجزء من تحول أوسع في المعايير الثقافية، فالملاحظ أن وسائل التواصل الاجتماعي تُعيد تشكيل هويات الجنسين والتخلص من الموروث الشعبي والنمطية القديمة وتساعد الأنثى على التعبير عن نفسها بثقافة جديدة وظهورها في مظهر المتحرر الذي يؤدي في نهاية الطريق إلى الهيمنة الأنثوية، كما أن هذه المنصات أيضا وبزعامة ذكورية تعيد إنتاج الصور النمطية القديمة

للأنثى التي يجب أن تكون ربة بيت تسهر على إنجاب وتربية الأبناء وتوفير الدفء الأسري وخدمة الزوج مما يجعل من الضروري دراسة كيفية تأثير هذه الصور على العلاقات بين الجنسين في المجتمع المحلي.

2.5.3. تقليد الترندات

تساهم الظواهر الثقافية والاتجاهات السائدة في وسائل التواصل الاجتماعي في جعل الأنثى المحلية تقلد نماذج معينة متمردة على القيم والعادات والتقاليد التي نشأت عليها، خاصة أن بعض هذه الترندات* تتضمن مشاهد تُظهر الأنثى كقائدة أو متسلطة، بينما يظهر الذكر كشخصية ضعيفة أو تابع. هذا الأمر يساهم في تقليل قيمة الذكر في المجتمع، مما يؤدي إلى ظهور مشاعر عدم الثقة وعدم الأمان بين الجنسين.

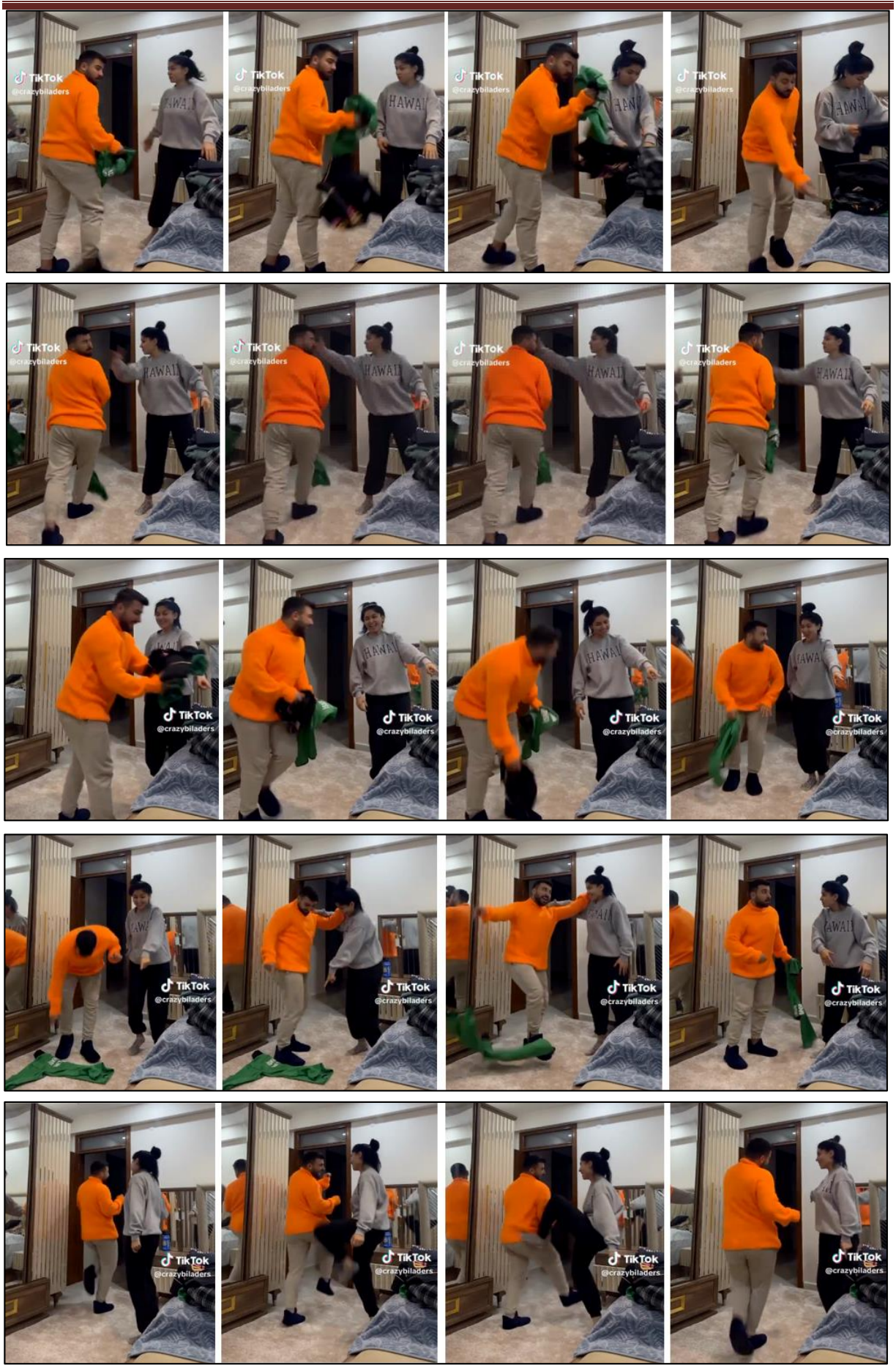
- **نموذج من ترند على تيك توك[1]:**

الوصف:

الفيديو يظهر مشهداً لأنثى تقوم بطي الملابس وتنظيمها بعناية، ليأتي زوجها الذي لا يولي أي اهتمام لمجهودها ويباغتها ببعثرة الملابس بحثاً عن قميصه. كانت ردة فعلها المباشرة حازمة، حيث صفعته وأمرته بإعادة ترتيب ما بعثره، ثم قامت بركله وطردته من الغرفة. الملفت في الفيديو أن الذكر لم يُظهر أي ردة فعل تُذكر واستجاب لكل أوامرها، مع أجواء من الرقص والموسيقى التي تضفي طابعاً فكاهياً على المشهد. الفيديو حظي بتفاعل ضخم على تيك توك، إذ تجاوز عدد الإعجابات 700 ألف وأكثر من 7000 تعليق، معظمها يشجع على تصرف الأنثى. كما أن عدد المشاهدات في تزايد مستمر، وأصبح الفيديو مصدراً للإلهام للكثيرين ممن يقومون بتقليده بأسلوب مشابه.

* الترند هو اتجاه أو نمط شائع يكتسب اهتماماً واسعاً وانتشاراً سريعاً بين الناس في فترة زمنية محددة. يبرز في مجالات مثل وسائل التواصل الاجتماعي، الموضة، الثقافة، أو الأفكار العامة، ويُعبر عنه من خلال محتوى متداول كالفيديوهات الفيروسية، الهاشتاغات، أو أنماط السلوك. يتميز الترند بسرعة انتشاره، قابليته للتقليد، وتأثيره المؤقت الذي يتراجع مع ظهور اتجاهات جديدة.

[1] https://www.tiktok.com/@crazybiladers/video/7303962706984389894


TikTok
@crazybiladers

التحليل:

تقليدياً، ترتبط السلطة والسيطرة بالذكور، بينما ترتبط الأدوار الخاضعة بالإناث في كثير من المجتمعات، وخاصة مجتمعنا المحلي. لكن هذا المشهد عكس الأدوار التقليدية، أين تتحكم الأنثى في الذكر. وهذا النموذج الذي أصبح "ترند" يعكس انقلابًا في أدوار الجنسين التقليدية، ويهدف إلى إيصال فكرة الثقافة الحداثية.

الأنثى في هذا المشهد تستخدم القوة الجسدية والرموز الثقافية لتأكيد سيطرتها على الذكر، فصفعة الوجه والركل هما نوع من "العنف المادي".

رغم أن هذا قد يبدو في الظاهر كعرض ترفيهي، إلا أنه يحمل رسائل ضمنية حول تغير الميكانيزمات بين الجنسين، في حين قد يُفهم السلوك العنيف الموجه للذكر كجزء من المرح والترفيه، إلا أنه يعكس تحولات ثقافية أعمق تتعلق بسلطة الأنثى وهيمنتها المتزايدة في بعض جوانب المجتمع.

كما أنه في الإشارات التي توجهها الأنثى، يمكننا أن نرى تعبيرًا واضحًا عن الهيمنة الأنثوية، فالأنثى في هذا المشهد تتصرف كقائدة أو صاحبة القرار، في حين أن الذكر يبدو في موقع تنفيذ الأوامر أو الخضوع، وهذه الصورة توضح تغيير المفاهيم التقليدية.

تقليد النساء في المجتمع المحلي لترندات مثل هذه التي تظهر في الفيديو قد يعكس جوانب متعددة من الهيمنة الأنثوية في إطار الثقافة الشعبية المعاصرة .

وسائل التواصل الاجتماعي مثل تيك توك تقدم منصة لعرض وتجربة أدوار الجنسين بشكل متحرر ومغاير عن الأعراف التقليدية. النساء اللواتي يقلدن هذا النوع من الترندات يعكس هيمنتهن الأنثوية المتحدية للثقافة التقليدية. فتقليد هذه الترندات يعيد صياغة الهيمنة الأنثوية بشكل استعراضي في الفضاء الرقمي، حيث تستطيع الأنثى أن تستعرض سيطرتها على الذكر علناً دون عواقب اجتماعية مباشرة.

في المجتمعات المحلية التي لا تزال متمسكة بالأنماط التقليدية من العلاقات بين الجنسين، يمكن أن يؤدي انتشار هذه الترندات إلى تضارب في القيم. من جهة، قد يجد بعض الذكور هذه التصرفات مهينة، مما يعزز الشعور بتآكل السلطة الذكورية التقليدية. ومن جهة أخرى، يمكن للأنثى أن تجد في هذه الترندات مساحة للتعبير عن الرغبة في التحرر من قيود العلاقات التقليدية بين الجنسين.

من خلال هذا التقليد، يتم تحدي الصورة النمطية للأنثى الضعيفة الخاضعة. تظهر الأنثى في هذه الترندات قوية، وقادرة على التأثير والسيطرة على الذكر.

ملخص الفصل

في ختام هذا الفصل الذي تناول التحول الأنثوي وميكانيزمات تجاوز السلطة الذكورية، يمكننا القول إن التحول الأنثوي ناتج عن استراتيجيات اجتماعية وثقافية ونفسية طويلة الأمد، ويعكس سعي الأنثى لتحرير نفسها من القيود التي تفرضها السلطة الذكورية التقليدية، والتي كانت تُلزم الأنثى بأدوار محددة ومقيدة على مستوى الأسرة والمجتمع.

الأنثى قاومت هذه السلطة من خلال العنف الرمزي أو إعادة تشكيل التمثلات الاجتماعية حول دورها، وظهرت كفاعل قوي سعى إلى صياغة هيمنة ثقافية أنثوية عن طريق تغيرات عميقة في نظام القيم التقليدية الذي حكم المجتمعات، أين تحولت من رمز للضعف والخضوع إلى تحدي الأدوار التقليدية وإعادة بناء ذاتها بما يتماشى مع قيم الحرية والمساواة.

في الختام، يمكن اعتبار التحول الأنثوي إعادة صياغة للهياكل التقليدية وتغييراً اجتماعياً يعيد توزيع أدوار السلطة والهيمنة. هذا التحول لم يقتصر على إبراز تمثلات جديدة للهوية الأنثوية فحسب، بل امتد ليؤثر بعمق على المجتمع، مُحدثاً صراعاً بين ثقافة ذكورية تقليدية تسعى للحفاظ على مكانتها، وثقافة أنثوية حداثية تطمح إلى فرض وجودها. ولعل هذا التحول ترك بصمته الأكبر على الذكر، حيث واجه تحديات متعددة على مستوى هويته، مكانته الاجتماعية، واستجابته لهذه التحولات. في الفصل الموالي، سنستعرض انعكاسات هذا التحول على المجتمع بوجه عام وعلى الذكر بوجه خاص، في ظل الصراع المستمر بين القيم التقليدية والتحولات الحداثية.

الفصل الخامس

انعكاسات التحول الأنثوي على الواقع الاجتماعي

تمهيد

يشهد المجتمع تحولات عميقة بفعل صعود الدور الأنثوي وإعادة صياغة الأدوار التقليدية للجنسين، هذا التحول الأنثوي لم يقتصر على تغيير مكانة الأنثى، بل أحدث تأثيراً جوهرياً على الذكر، الذي بات يواجه تحديات مرتبطة بهويته وموقعه في نظام اجتماعي متغير. إذ ظهر صراع بين ثقافة ذكورية تقليدية تحاول الحفاظ على مكانتها وثقافة أنثوية حداثية تسعى لفرض هيمنتها، هذا الصراع امتد ليشمل مجالات السلطة، الاستقلالية المالية، وتوزيع الموارد، مما أثر على تمثلات الذكر للقيادة، الرقابة، وحتى تفاعلاته اليومية مع الأنثى.

في هذا الفصل، سنناقش كيف انعكست هذه التحولات على الذكر، وما خلفته من صراعات وتحديات في مجتمع يشهد تحولاً غير مسبوق في أدوار الجنسين.

1. التحول الأنثوي وأثره على المجتمع المحافظ

1.1. تدهور القيم وصراع المعايير في ظل التحول الأنثوي

نبدأ بمقولة مالك بن نبي:"لقد غرس هذا التطور في حياتنا عددا من المتناقضات، في أشياء مضحكة أحيانا ومبكية أخرى، فأب كريم ينتحر إثر موبقة ارتكبتها ابنته، التي كانت تتعلم فلم تعرف كيف تتشبه بالفتاة الأوربية التى تمارس الرذيلة ولا يهمها الشرف، نعم إن مجتمعنا قد فقد توازنه القديم وهو لا يزال يتذبذب ولا يُعرف له قرار حتى اليوم، وإننا لنشاهد عدم الاستقرار هذا في أنفسنا، وفي تمثلاتنا للأشياء، حين تختلف باختلاف الناظرين إليها"[1].

يعتبر مالك بن نبي واحدًا من أبرز المفكرين العرب والجزائرين الذين تناولوا قضايا الحضارة والثقافة، وتتناول مقولته المشار إليها تدهور نظام القيم وصراع المعايير في المجتمعات العربية، ويشير إلى أن المجتمعات العربية والإسلامية كانت تتمسك بقيم ومعايير مستقرة، ولكن مع مرور الوقت، بدأت هذه القيم في التلاشي، ما أدى إلى ظهور تناقضات نتيجة الاستعمار، العولمة، والانفتاح على ثقافات جديدة، مما أثر بشكل كبير على هويات الأفراد والمجتمعات. إذ أن وجود أب ينتحر بسبب تصرفات ابنته يُظهر قمة الصراع بين القيم التقليدية التي يتحصن بها الآباء والقيم الحديثة التي تتبناها الأجيال الجديدة. هذا التناقض يعكس الصراع الذي يعيشه الأفراد في المجتمع الواحد، حيث يجدون أنفسهم عالقين بين قيم الماضي وضغوط الحاضر.

تبين المقولة كيفية تأثر الشباب بالممارسات الغربية، حتى وإن كانت منافية للقيم والعادات والتقاليد، فيظهر الصراع جليا بين القيم التقليدية والقيم الجديدة.

[1] مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، 1986م، ص157.

كما أنه من خلال المقولة يتضح أن هناك تدهور في نظام القيم بين جيل مالك بن نبي وجيل الحاضر، فالرجل الذي أشار له مالك بن نبي ولأنه كان متشبعا بثقافة وقيم تقليدية كان يرى الشرف أهم من الحياة، فالرجل الذي مارست ابنته الرذيلة تشبها بالأوروبية لجأ إلى الانتحار هروبا من المجتمع الذي يقدس الحفاظ على الشرف، بينما المجتمع الحاضر لا يعني له الشرف شيئا، فالأب الذي تمارس ابنته الرذيلة وتفقد شرفها يرى أن ما قامت به ابنته لا يتجاوز تجربة اجتماعية غير ناجحة وأن هذه التجربة أثرت على نفسيتها ودخلت مرحلة انطواء وأصبحت لا تقابل ولا تكلم أحدا وأنه أصبح يخاف خوفا شديدا من أن تضيع ابنته من بين يديه، خاصة وأنه قام بكل ما بوسعه فأخذها إلى الأطباء النفسانيين لمعالجتها، كما أن أمها في البيت تلبي لها كل رغباتها وأنه هو الآخر لم يقصر في الأخذ بيدها ومحاولة إخراجها مما هي فيه.

أدى انتقال المجتمعات العربية المسلمة من الحالة التقليدية إلى الحالة الحداثية إلى تغير في كافة ميادين الحياة الاجتماعية، ويجسد ذلك حالة الصراع القيمي والمرجعي الذي تعيشه هذه المجتمعات وما نتج عنه من حالة عدم الاستقرار الثقافي إذ تجمع الثقافة العربية اليوم بين ثقافات متباينة تقليدية وأخرى حداثية فأوجد هذا نوعا من الفوضى الفكرية والصراعات والتمثلات بين اتجاهات متعددة طالت الجنسين، فتحولت القيم والمرجعية العامة والمشتركة إلى صراع يجعل الجنسين تائهين بين الثقافة التقليدية والثقافة الحداثية، لقد تحول الصراع بين الجنسين إلى صراع عنيف عند الأنثى يظهر في أفعال تجسد حقدها على الآخر، بتمردها على معايير الجماعة. وإذا أردنا أن نعطي مثالا فالأنثى سابقا كان لها معيار محدد للكيفية التي تلبس بها لباس معين لكل مناسبة اجتماعية، ولابد أن يكون لباسا محتشما فهو يستمد مشروعيته من الثقافة التقليدية، لكن اليوم الفتاة العصرية لم يعد لديها مشكل أن تلبس فستانا مصنوعا بنصف متر من القماش يكشف أكثر مما يستر، كما نجد أيضا الشباب أصبحوا يضعون المراهم ويضعون الأقراط في آذانهم، أين يتضح بصورة جلية صراع المعايير والثقافات.

2.1. الأزمة الذكورية: انعكاسات التحول الأنثوي

الأزمة الرجولية تعبر عن حالة يعيشها الرجل في مجتمع ما وتؤثر على الحياة الاجتماعية، هذا ما يسبب تكيف لا سوي للذكر داخل المجتمع نتيجة حرمانه من جو اجتماعي وثقافي سليم، ويظهر على شكل سلوكيات كالهروب من المسؤولية، والعزلة الاجتماعية والتقوقع. وهذا ما يواجهه الرجل فهو يواجه اغتراب نفسي، ونستطيع ان نعبر عن الاغتراب النفسي الذكوري على أنه انفصال الذكر عن النظام الاجتماعي، وأسلوب الحياة المتبع في بيئته الثقافية نتيجة الاعتقاد بعدم جدواها في تحقيق متطلباته، والاعتماد على أفكار ثقافية تستند إلى ثقافة أخرى في تسيير أمور حياته وتحديد اتجاهاته وتمثلاته لجوانب الحياة المختلفة كالهجرة إلى الدول الغربية، فالذكر يعتقد أنه إذا هجر البلاد سيجد الجنة في انتظاره وأن حياته ستتغير إلى الأحسن، مما يسبب عجزه عن المشاركة الفعالة في التمثلات المستندة إلى الموروث السائد في ثقافته، فتظهر عليه أعراض سلوك لا سوي كالانسحاب والعزلة الثقافية والعجز الثقافي[1]، وبالتإلى يظهر العجز الرجولي.

ترتبط الأزمة الرجولية بالصراعات النفسية التي يعاني منها الذكر داخل المجتمع ما بين ثقافة محلية وأخرى أجنبية، أي أنه يرتبط بأسباب موضوعية خارجة عن ذات الفرد، حيث يرى مالك بن نبي أن الأفراد يتكيفون مع البيئة التي يعيشون ضمنها، وبالتالي فالمجتمع الذي لا يوفر للأفراد جوا ثقافيا سليما من التناقضات والاضطرابات لابد أن تكون فيه أزمة ثقافية على مستوى الأفراد[2]، يقول برهان غليون: "قد بدأ التغيير في البنى الاجتماعية والفكرية، بما فيها البنية الذهنية، مع بداية الصدام مع الغرب وخلال الحرب الطويلة التي أعقبت ذلك ولهذه الحرب بين الشرق والغرب مضمون اجتماعي وتاريخي"، ويرى أيضا أن أخذ السياسات العربية بإطار التفكير الغربي بعد الاستقلال أدى إلى تفكيك الثقافة كبنية اجتماعية، أي أنه

[1] هدهود حورية، المرجع السابق، ص 44.

[2] مالك بن نبي، مشكلات الحضارة–مشكلة الثقافة–، المرجع السابق، ص 93.

فكك القاعدة الثقافية المشتركة وأوجد محلها ثقافات فئوية وفردية ترتبط بالدفاع عن مصالح أيديولوجيات فردية أو فئوية متصارعة فيما بينها، فحينما تم ربط الثقافة بالأيديولوجيات الفردية فقدت بعدها الاجتماعي وانقسم المجتمع إلى فئات وأفراد لكل قيمه ومرجعيته التي تسعى إلى السيطرة الاجتماعية وهذا بالنسبة له سبب تدهور المجتمعات وتتدنى المكانة، وقد ذهب جيرار ليكلرك إلى أن الأيديولوجيات العلمانية أوجدت جماعات اجتماعية وثقافية فصلت الدين عن المجتمع لتجعله شأنا خاصا وفرديا أي أنها سحبته من الوعي الجمعي داخل المجتمعات لتحل محله العلوم الوضعية والآراء الفردية[1]. هذا ما سبب أزمة ذكورية وسنحاول أن نفككها ونبين أسبابها، وأول سؤال يتبادر إلى أذهاننا: متى يفقد الذكر هيمنته؟

2. الهوية الذكورية تحت المجهر

1.2. تراجع الهوية الذكورية أمام تقدم الأنثوية

إن هذه الأزمة تمثل مدخلا تحليليا متميزا وجديرا باهتمام العلوم الاجتماعية عموما، والأنثربولوجيا خصوصا. فارتباك الذكور حيال تآكل هيمنتهم هو أحد النتائج العكسية للخطاب النسوي الذي أحدث شبه ثورة في العلاقات بين الجنسين والتمثلات الجنسية لدى الأنثى تحديدا؛ فإزاء قرون من السيطرة الذكورية نشهد اليوم تمردا نسائيا متناميا وتفوقا على الذكور في شتى مجالات الحياة، وهو ما يشكل حركة تاريخية شبه انتقامية، تفرض على الذكر بقوة الأمر الواقع والتعايش مع إعادة توزيع للأدوار والمكانات التي لا تكون لصالحه، فاذا تكلمنا عن المكانة الاجتماعية فهذا المفهوم يشير إلى المركز أو "الوضع الذي يشغله الشخص في النسق الاجتماعي بالنسبة للآخرين..."[2]، ووضع الأنثى اليوم تغير داخل البناء الاجتماعي فالواقع يفرض مكانة جديدة تخص الأنثى وما على الذكر سوى تقبلها والتعايش معها.

[1] جيرار ليكلرك، العولمة الثقافية –الحضارات على المحك–، تر: جورج كتورة، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م، ص425–426.
[2] عاطف غيث محمد، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1989، ص 440.

وهذه المكانة تمس أو تتصل بـ "كل الأحكام والمقاييس الأخلاقية والاجتماعية التي تحدد السلوك الاجتماعي[1]"، ومنه فالأنثى اليوم تحتل مكانة في إطار النسق أو البناء الاجتماعي، وهذه المكانة هي "مركز اجتماعي يتناسب مع الدور الذي تقوم بأدائه..."[2].

فمثلا في السابق "إنجاب الذكور له دور كبير في تحديد مكانة الأنثى داخل العائلة بحيث أن مجد الأنثى يكمن في إنجابها الذكور..."[3]، فتحقق المكانة المرجوة "أم الذكور" وهي أسمى المكانات، لكن هذا كان في السابق أما اليوم فالأم تكتفي تقريبا بولد وبنت وفي بعض الأحيان تكتفي بالمولود الأول حتى وإن كان بنتا، عكس السابق فهي لا تتوقف عن الإنجاب حتى تنجب ولي العهد الذي يرث مال أبيه، ويحمل اسم العائلة.

2.2. هيمنة الذكر المتراجعة في مواجهة التحول الأنثوي

التغيرات التى تمارس ضغطا على الهيمنة الذكورية تنقسم إلى مرحلتين جوهريتين، تحولات على مستوى الوعي الأنثوي والاستقلال المادي للأنثى، ومنه أصبحت البنية الذكورية في أغلب المجتمعات تحت ضغط قوة هذه التحولات الاجتماعية بحيث نجد ميشيل فوكو يقول "المعرفة قوة"، كلما تعلمت الأنثى ووصلت إلى مناصب عليا كلما قلت قوة الذكر وهيمنته هنا نلاحظ علاقة عكسية بين الهيمنة الذكورية والمعرفة العلمية الأنثوية أي أن القوة المعرفية للأنثى تجسد مكانة محورية في تكوين الذات الفاعلة، لأن القوة المعرفية هي بناء السلوك والتصرفات ثم ترجمته في الحياة الاجتماعية.

[1] دنكن ميتشل، معجم علم الاجتماع، تر: إحسان محمد الحسن، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1982، ص 223.

[2] الغزوي فهمي وآخرون، المدخل إلى علم الاجتماع، عمان، دار الشروق، 1992، ص 259.

[3] Lacoste Dujardin (Camille)، Des mères contre les femmes،Paris،Ed de la découvert،1985، p 83.

3. الصراع بين الجنسين في سياق التحولات

1.3. إثبات الذات الأنثوية كمحرك للصراع بين الجنسين

المقابلة رقم 23:

يقول المبحوث: خدمة مافيهاش عيب، المرأة قادرة على شقاها متتشرطش فالخدمة كيما الراجل لذلك بعض الرجال يشوفوا الأنثى إذا خرجت للعمل ووفرت المال الكافي يعتبرها الرجل قد سيطرت عليه في كل شيء ويرى أنها استولت على المناصب ومن ثم هيمنت عليه وأنا لا أراها سلطة على الرجل بل هي تريد إثبات ذاتها والخروج من سيطرة وتحكم الذكر"

يعتبر المبحوث أن بعض الذكور يرون في خروج الأنثى للعمل واستقلالها المالي نوعًا من الهيمنة والسيطرة. في هذا السياق، يتم تفسير قدرة الأنثى على كسب المال وتقلد المناصب على أنها تهديد مباشر لسلطة الذكر التقليدية في المجتمع. هذه الرؤية مستمدة من النظام الأبوي الذي يربط بين القوة الاقتصادية والسيطرة الاجتماعية، مما يولد شعورًا بالتهديد لدى بعض الذكور عندما يتم تحدي هذا النظام.

من وجهة نظر المبحوث، خروج الأنثى للعمل ليس محاولة للهيمنة على الذكر، بل هو سعي إلى إثبات الذات والخروج من سيطرة هذا الأخير عليها. هذه النظرة توضح أن الأنثى تبحث عن تحقيق ذاتها واستقلاليتها والتخلص من الأدوار التقليدية التي فرضها المجتمع الذكوري عليها. ويبدو أن المبحوث يعبر عن تفهم لهذا التحول ويعطي الأنثى حقها في محاولة إثبات نفسها كجزء من تحولات عميقة مست المجتمع.

ما يقدمه المبحوث هو نموذج جديد للعلاقات بين الجنسين يقوم على والمساواة بدلًا من السيطرة والخضوع. يعبّر عن فكرة أن دور الأنثى في العمل لا يجب أن يُفسر كنوع من الاستيلاء على مناصب الذكور، بل هو جزء من التحرر الشخصي والتطور الاجتماعي. هذا التحول في الفهم يشير إلى أن العلاقات بين الجنسين باتت أكثر مرونة، وأن الأدوار التقليدية التي كانت تربط السيطرة الاقتصادية بالذكر لم تعد قائمة بنفس القوة. المبحوث يبدو أنه يرفض الفكرة القائلة بأن الأنثى العاملة تهدد مكانة الذكر، هذه النظرة تعكس

تمثلات حديثة حول الأنوثة، حيث لم تعد الأنثى مقتصرة على أدوارها التقليدية داخل المنزل، بل تسعى إلى المساهمة في المجتمع بطريقة أوسع وأكثر استقلالية.

من منظور أنثروبولوجي مغاير، يمكن اعتبار تحقيق الذات الأنثوي تهديدًا مباشرًا للهيمنة الذكورية، خاصة في المجتمعات المحافظة التي تربط السلطة والسيطرة بالذكور، فاستقلال الأنثى المالي وخروجها للعمل يُفسَّر من قِبَل أغلب الذكور على أنه تقويض للأدوار التقليدية التي تجعل الذكر المعيل والمهيمن داخل الأسرة، مما يولد شعورًا بالتهديد ويدفع إلى صراع بين الجنسين.

هذا الصراع ينبع من تعارض الرؤى حول أدوار كل جنس؛ فالأنثى تسعى لتحقيق ذاتها والخروج من دائرة التبعية، بينما يرى الذكر في هذه المحاولات تحديًا صريحًا لسلطته وتقويضًا لمكانته الاجتماعية. فاستقلالية الأنثى تُفسَّر كإعادة توزيع للسلطة داخل الأسرة والمجتمع، وهو ما يولد مقاومة من الذكور للحفاظ على النظام الأبوي التقليدي.

علاوة على ذلك، يُفهم هذا التحول كصراع ثقافي أعمق بين قيم الحداثة التي تدعم المساواة بين الجنسين وقيم تقليدية تركز على الهيمنة الذكورية. في هذا السياق، يظهر رفض صريح أو ضمني لتغيرات تُعتبر تهديدًا للتوازن التقليدي، حيث يُنظر إلى نجاح الأنثى واستقلالها المالي كإعلان غير مباشر عن تراجع السلطة الذكورية، مما يزيد من حدة الصراع بين الجنسين ويعمق التوترات الاجتماعية والثقافية.

2.3. تمثلات الذكر للصراع التنافسي بين الجنسين

في معظم المجتمعات التقليدية، يُنظر إلى الذكور والإناث على أنهما يلعبان أدوارًا مختلفة لكنها مكملة لبعضها البعض، حيث يحتل الذكور غالبًا المواقع القيادية أو التي تتطلب القوة الجسدية، بينما تُنسب إلى النساء أدوار أكثر ارتباطًا بالرعاية والأسرة، هذا التقسيم الاجتماعي أدى إلى نشوء تمثلات تنافسية لدى الذكور، وخاصة في المجتمعات التي كانت تعتمد على الصراع من أجل الموارد مثل الطعام أو الأرض، حيث كان يُنظر إلى الذكور على أنهم "المحاربون" أو "المدافعون" عن الموارد.

على مر العصور، كان التنافس بين الجنسين مرتبطًا بالسلطة والمكانة، ففي المجتمعات الأبوية، كانت السلطة والهيمنة غالبًا بيد الذكور، وهذا أدى إلى خلق نوع من الصراع غير المتكافئ، حيث كان الذكور يسعون إلى تعزيز مكانتهم والسيطرة على الموارد والقرارات السياسية، في حين كانت النساء لا تتمتع بأي نفوذ اجتماعي أو اقتصادي، وذلك راجع للهيمنة الذكورية، لأن الذكور يرون أنفسهم حماة للنظام الاجتماعي والديني ضد ما يعتبرونه فوضى قد تأتي من تحرر النساء.

في المجتمعات الحديثة، تغيرت أدوار الجنسين بشكل كبير، حيث أصبحت النساء يدخلن مجالات العمل والتعليم والسياسة بشكل متزايد، مما أدى إلى إعادة تعريف التنافس بين الجنسين.

تمثلات الذكر لهذا التنافس اليوم غالبًا ما تكون متأثرة بالتغيرات الاجتماعية، حيث يشعر البعض بالتهديد من تصاعد مكانة النساء أو بما يُعرف بـ "أزمة الرجولة"، بينما يرى آخرون في هذا التغير فرصة للشراكة المتساوية.

3.3. عمل الأنثى كتهديد للثقافة الذكورية

إن فئة من المبحوثين يرفضون عمل الأنثى وينتقدونه، دون أسباب مقنعة وإذا سألتهم تكون إجابتهم "المرا مالازمش تخدم"، فهم لايتقبلون فكرة عمل الأنثى خارج المنزل لأن هذا يسئ لهم فحسب، فهذه الفئة من المبحوثين يرفضون عمل الأنثى دون أسباب، حيث يقول أحدهم "المرا ماتخدمش الراجل هو الي يخدم، المرا تحكم دارها، أنا نحير فالراجل إلي يخلي أختو ولا مرتو تخدم"، طبعا هذا الشاب لا يقدم أي مبرر لرأيه، يقول "ماتخدمش وخلاص الخدمة للرجال".

رغم إرتفاع معدلات مشاركة الأنثى الجزائرية والتبسية بالتحديد في كثير من ميادين الحياة العامة، سواء برغبتها أو بضغط من الظروف الاقتصادية أو السياسية، إلا أن العادات والتقاليد والأعراف الدينية تصر على أن عمل الأنثى الأساسي هو أن تكون زوجة وأم ومربية وأن دور الذكر هو العمل خارج المنزل وإعالة

أسرته ومنه ينظر الكثيرون إلى عمل الأنثى على أنه تحد للمجتمع لأنه يخرج عن النماذج الأصلية الراسخة للحياة الأسرية، وعن القيم والمعتقدات التي تساندها.

4. الاستقلالية المالية وتأثيرها على توازن أدوار الجنسين

1.4. الاستقلالية المالية للأنثى وتحديات الذكر

المقابلة رقم 24:

يقول "ق" متزوج وأب لأربعة أبناء، زوجته شابة صغيرة وجميلة إختارها ماكثة في البيت حتى تتفرغ لتربية الأبناء، وبالرغم من أنه منذ أن تزوجها لم تكن عاملة ولم تعمل أبدا إلا أنه وبعد مرور فترة زمنية من زواجهما أصبحت ناقمة على وضعها تريد أن تخرج إلى العمل كباقي قريباتها وتتذمر في كل وقت وحين من عمل المنزل وتربية الأبناء وتنظر إلى هذا الوظيفة السامية بدونية واحتقار، وحولت العش الزوجي الهادئ إلى جحيم لا يطاق، يضيف وكل محاولاتي معها لتهدئة الوضع باءت بالفشل، وأنا كفرد تبسي محافظ أستغرب كل الاستغراب من هذه التصرفات لأن الأصل في المرأة كما كانت أمهاتنا وجداتنا التفرغ لعمل البيت وتربية الأبناء أما ما نراه اليوم من سفور وخروج للعمل في الإدارات وحفلات وسهرات ومطاعم تقضي فيها المرأة جل وقتها بعيدا عن بيتها وأولادها ما هو إلا نطع من الغرابة لم يعرفه أسلافنا من قبل وهي ثقافة دخيلة على مجتمعنا أفسدت علينا بناتنا وزوجاتنا فأصبحن ينظرن إلى ثقافتنا المضبوطة بضوابط شرعية وإسلامية تجعل من المرأة سيدة في بيتها بنظرة دونية واحتقار ويفضلن الخروج إلى الشارع والاحتكاك بالجنس الآخر دون حياء أو حشمة.

المبحوث يمثل رؤية تقليدية لدور الأنثى في المجتمع، وهي رؤية متأصلة في الثقافة الأبوية المحافظة، يصف الأنثى على أنها "سيدة في بيتها"، ويعتبر أن دور الأنثى الأساسي هو التفرغ لتربية الأبناء والاعتناء

بالمنزل، هذه الرؤية تستند إلى معايير ثقافية واجتماعية قديمة، حيث كان من المتوقع أن تتولى الأنثى جميع الشؤون المنزلية وتربية الأطفال، في حين كان الذكر مسؤولًا عن إعالة الأسرة ماديًا.

زوجة المبحوث، التي كانت في البداية ملتزمة بهذا الدور التقليدي، تشعر الآن بالنقمة على هذا الوضع وترغب في الخروج إلى العمل مثل قريباتها. هذا التحول يعكس تغيرًا اجتماعيًا أوسع، حيث أصبحت النساء اليوم يسعين إلى تحقيق الاستقلال المالي والاجتماعي، وتعتبرن أن عملهن خارج البيت يمنحهن حياة الرفاهية، هذه الرغبة تتعارض بشكل مباشر مع القيم المحافظة التي يمثلها عبد القادر والذي يصفها بأنها دخيلة على المجتمع، وهو ما يؤدي إلى صراع داخل العلاقة الزوجية.

المبحوث يشير إلى أن زوجته أصبحت تنظر إلى العمل المنزلي وتربية الأبناء بنظرة دونية واحتقار، هذا التحول يعكس تغيرات أعمق في المجتمع، حيث كانت الأجيال السابقة تنظر إلى العمل المنزلي على أنه وظيفة سامية ومحترمة. في المقابل، يبدو أن الجيل الجديد من النساء يعتبر أن القيمة الحقيقية تكمن في الاستقلال المالي والمشاركة في سوق العمل.

من الملاحظ أن المبحوث جزء من بيئة محافظة تقليدية، ويعبر عن إحساس قوي بأنه الذكر المسؤول الذي يحدد الأدوار، ومع ذلك يبدو أنه يواجه تحديات كبيرة في التكيف مع تغيرات أدوار الجنسين التي تحدث في المجتمع، فإصرار زوجته على الخروج للعمل وتغيير نمط حياتها يؤدي إلى زعزعة التوازن التقليدي الذي كان يعتمد عليه.

المبحوث هنا يتمثل تمرد زوجته نطعا من الغرابة وهي الثقافة التي زرعها المستعمر في نفوس الجزائريين كما جاء على لسان المؤرخين سابقا وإن تغلب عليها الآباء والأجداد وسدوا الطريق في وجهها أمام تسربها إلى بيوتهم إلا أن هذا الجيل تبناها وأعاد بعثها من جديد.

هذه الصناعة أي صنع الغرابة بموجبها تصبح ممارسة ثقافية حضارية ما مثيرة ومدهشة في اختلافها عن الثقافة التقليدية التى يعيشها المجتمع، ومن المفارقات أنه مع اضطلاع الأوروبيين بتعليم المحليين

وأبناء الثقافات الأصلية، بدأ أطفال المدارس في الأغلب الأعم ينظرون إلى سبل عيشهم المحلية وسلوكياتهم وتصرفاتهم المحلية بصفتها غريبة، مع اعتبار النظائر الأوروبية لهذه المفردات هي "الطبيعية" أو "العادية"؛ وهذا ما أراد المبحوث أن يوضحه لنا من خلال أن زوجته أصبحت ترى وظيفتها السامية المتمثلة في تربية الأبناء وتعليمهم عملا غريبا لأنه غير مأجور في حين أن الأمر الطبيعي بالنسبة لها هو الحصول على عمل مأجور خارج البيت، وهذا الميكانيزم خطير بحكم أنه يفسد على الإنسان أصله من خلال التعليم واستخدام الحجج والمبررات المؤدلجة ذات القوة الإقناعية كما يفسد بوصلته وبصيرته في النظر إلى كينونته بصفة إحتقارية وإزدرائية، ويصبح يرى بعدها كل ما يعيشه، وكل ما يملكه، على أنه مرادف للجهل والتخلف والدونية، وهو ما يفقد الإنسان الأصلي ثقته في نفسه وتقديره لذاته وهويته.

2.4. سيطرة الأنثى على الموارد المالية: تمثلات ذكورية

كشكل من أشكال وضع القرارات يتفق مجموعة من المبحوثين أن زوجاتهم هن اللواتي يتحكمن في مصروف المنزل من خلال حصولها على راتب الزوج.

المقابلة رقم 25:

يقول "ع" 53 سنة معلم متقاعد، أنا أعطي زوجتي كل شهر أكثر من نصف الراتب حتى تتدبر مصروف المنزل، كما يضيف أنها علاوة على ذلك تحاسبه على باقي الراتب وتوجهه في صرفه، إلى درجة أنها تعاتبه وتثور في وجهه إذا نفذ المال من جيبه قبل انقضاء الشهر، يضيف أنا أعلم أنني لا أحسن إنفاق المال على حاجيات المنزل كما تفعل هي، لأنها الأدرى باحتياجاتها ولكن ما يزعجني هو عتابها ولومها المتكرر عند التصرف في بعض المال الذي أحتفظ به لنفسي إذ تزعجني عدم ثقتها بي، كما أخشى لسانها الحاد لذلك كثيرا ما أفكر في إعطائها الراتب كاملا.

تتسلط الأنثى على الذكر حتى في إنفاقه لماله، لدرجة أنها تحاول أن يعطيها كشف حساب على أي سنتيم في أي وجهة أنفقه. فالذكر أصبح لا يملك جيبه، وأصبح تابعا لزوجته التي تلعب دور الوصي عليه.

من خلال هذه المقابلة، يظهر دور الزوجة في إدارة الموارد المالية للأسرة بشكل بارز، هذا الفعل يعد مؤشرًا على هيمنة اقتصادية، حيث تُسنَد للأنثى مسؤولية الإدارة المالية، مما يعزز سلطتها داخل الأسرة. إذ تتجلى هيمنة الأنثى من خلال الطريقة التي تحاسب الزوجة بها زوجها على إنفاق المال. على الرغم من أن الزوج يعترف بعدم مهارته في الإنفاق بشكل صحيح، إلا أن عدم الثقة الذي تشعر به الزوجة يدفعها إلى فرض رقابة صارمة على ما يتبقى من ماله.

من الواضح أن الزوج يعترف بينه وبين نفسه بقدرة زوجته على إدارة الأموال بشكل أفضل، إلا أنه لا يعترف لها بذلك وهذا راجع لخلفية ثقافة تقليدية ذكورية تسيطر على فكره كما يوضح من جهة أخرى رفضه لواقع اجتماعي يعكس تحولًا في موازين القوى داخل الأسرة لصالح الأنثى.

3.4. العجز المادي للذكر أمام تطلعات الأنثى

المقابلة رقم 26:

يقول "ش" 34 سنة أن متطلبات المرأة كثيرة وإن لم تشبع لها رغباتها المادية تثور وتتذمر وتقوم بتصرفات عدوانية مثل رفع الصوت وضرب الأبناء والإمتناع عن القيام بواجباتها المنزلية وتوجيه الإهانات والعبارات الجارحة للرجل ونعته بأحقر المواصفات والتقليل من مكانته وتحسيسه بالعجز، حيث يصر هذا المبحوث أن الأنثى تعبر عن عدم الرضا وإحتياجها المادي بالطرق التي ذكرها سالفا.

المبحوث يشير إلى أن متطلبات الأنثى المادية تشكل محورًا أساسيًا في العلاقة الزوجية، ويعكس ذلك تأثير التوقعات الاجتماعية والثقافية التي تضع أعباء مادية كبيرة على الذكر. في هذا السياق، تُصبح

المطالب المادية وسيلة للتعبير عن الهيمنة الأنثوية. الأنثى تتوقع من الذكر تلبية احتياجاتها المادية كجزء من دوره التقليدي كمعيل للأسرة، ويُنظر إلى فشله في تحقيق ذلك على أنه عجز.

لجوء الأنثى إلى الإهانات والعبارات الجارحة تجاه الذكر يعكس ممارسة العنف الرمزي. في هذه الحالة، تستخدم الأنثى كلمات تحط من قدر الذكر وتقلل من مكانته الاجتماعية والشخصية، ما يعزز الهيمنة الأنثوية عبر اللغة.

الأنثى في هذه الحالة تمتنع عن أداء واجباتها المنزلية كنوع من العقاب، وهو تعبير عن الهيمنة من خلال العمل غير المنجز في المجتمع التقليدي، لأن الأنثى تعتبر مسؤولة عن الأعمال المنزلية، ولكن الامتناع عن أدائها يُعد وسيلة ضغط على الذكر، حيث تُظهر الأنثى قدرتها على التأثير في سير الحياة اليومية للأفراد داخل الأسرة.

المقابلة رقم 27:

في حين يقول "ك" 48 سنة إن أكبر المشكلات التي تواجهني مع زوجتي هي عدم إمتلاكنا لسيارة، فزوجتي دائما تتذمر من التنقل في المواصلات وتبدي عدم الرضا عن وضعنا الإجتماعي مقارنة بأخواتها وزوجات إخوتها وصديقاتها، لذلك فهي توجه لي أقصى عبارات اللوم والتحقير والعجز مثل "النساء كل بطوموبيلاتهم غير أنا زهري مسود، النساء كامل زوجت رجال وأنا زوجت زواج الهانة، كون مازوجتش راني في دارنا لاباس عليا، حصلت روحي معاك"، يقول أنهما تزوجا بعد قصة حب وإقتناع من طرفها كما أنها كانت تعلم أنه متوسط الحال. يضيف أحيانا تتقبل الوضع وتقول "ذرك ينوب ربي ونديروا طوموبيل" وأحيانا تثور كالبركان خاصة في العطل والمناسبات لأنها تحب النزهة والتمتع بالخروج. عندما سألنا المبحوث عن كيفية التعامل مع غضبها يقول: أحيانا أصمت وأفضل أن تروح عن نفسها بالصراخ والبكاء ولكن أحيانا أدخل في حالة نفسية من الإكتئاب، لشعوري بالعجز والضعف وقلة الحيلة وأحيانا كلماتها الجارحة تثير في نفسي بركانا من الغضب وأشعر بإستحالة مواصلة هذا الزواج ولكن أتراجع عندما تنتهي المشكلة.

كذلك سألنا المبحوث على إمكانية استعمال العنف الجسدي ضد زوجته يقول: الصراحة لا أستطيع إطلاقا ممارسة العنف أو الضرب ضدها، أحاول كتم غضبي وأفضل الخروج من المنزل، لأنه حدث مرة وأن ضربتها فتفاقمت الأوضاع بعد أن ذهبت إلى بيت أهلها وما زاد الأمر تعقيدا تدخل والديها وإخوتها في المشكلة، أين وضعوا شروطا لعودتها إلى بيت الزوجية ومن بينها ألا أفكر في ضربها مرة أخرى فهي كما قالوا زوجة وشريكة حياة وليست جارية عنده. وأخيرا يمكن القول إنه عند حدوث أي مشاحنات بيني وبينها أخرج من البيت ونبدل الساعة بساعة أخرى، خاصة أنني أعلم في قرارة نفسي أن السيارة في وقتنا الحالي أصبحت من الضروريات لكن وللأسف راتبي البسيط لا يساعدني على اقتنائها.

تبدأ المقابلة بتركيز على تذمر الزوجة لعدم توفر سيارة، الذي تُظهره كعلامة على تدني الوضع الاجتماعي مقارنةً مع النساء الأخريات في محيطها، هذا التفاوت الاجتماعي يُبرز العوامل الرمزية المرتبطة بالهيمنة الأنثوية، حيث تعتمد الزوجة على معايير اجتماعية ترسخ فكرة أن الأنثى ذات الشأن الأعلى تستحق حياة مريحة وممتلكات مادية تعزز وضعها الاجتماعي. في هذه الحالة، السيارة ليست مجرد وسيلة نقل، بل رمز للمكانة التي تتوقع الزوجة تحقيقها في إطار الزواج، ما يؤدي إلى إظهار هيمنتها عن طريق النقد والاحتقار تجاه زوجها الذي تعتبره غير قادر على توفير ذلك الرمز.

تستخدم الزوجة لغة مليئة باللوم والانتقاص من قيمة زوجها، مثل "النساء كل بطوموبيلاتهم غير أنا زهري مسود" و"زوجت زواج الهانة". هذه العبارات تعكس العنف الرمزي الذي تحدث عنه بيير بورديو، حيث تستخدم الزوجة قوتها اللغوية والاجتماعية لفرض سيطرتها على الزوج وجعله يشعر بالعجز والتقصير.

يُبرز المبحوث شعوره بالعجز والإحباط بسبب العنف اللفظي الذي تمارسه زوجته، كما يعترف بأنه غير قادر على مواجهة ذلك باستخدام العنف الجسدي. هذه الآلية تُظهر تحولاً في أدوار القوة التقليدية، حيث تُمارس الزوجة هيمنتها عبر نقد مستمر يقود الزوج إلى الاستسلام.

عندما تدخلت عائلة الزوجة بعد حادثة الضرب، وضعوا شروطًا صارمة لعودتها، مؤكدين أن الزوجة ليست "جارية"، هنا نرى هيمنة الأنثى مدعومة من الأسرة، حيث يتحد أفراد العائلة للدفاع عن حقوق الزوجة وتأكيد مكانتها كشريكة متساوية وليست خادمة، هذا الدعم الأسري يزيد من هيمنة الأنثى داخل العلاقة الزوجية.

المقابلة رقم 28:

أستاذة تعمل في إطار الاستخلاف (أستاذة بصفة مؤقتة)، لا تحصل على راتب بصفة دورية منتظمة تقول أنا مخطوبة منذ سنتين لكن خطيبي لا يبالي بإحتياجاتي المادية أبدا حتى في الأعياد والمناسبات لا يتذكرني حتى بأبسط الهدايا، وهذا ما يجعلني أفكر دائما في الانفصال عنه لأنني أرى أنه لا يستحقني وأنه مستهتر وغير مسؤول، فالبنات في مثل سني والمخطوبات تأتيهم حتى الهدايا باهظة الثمن الأمر الذي يجعلني أشعر بالحرج عندما يُفتح هذا الموضوع في حضوري، ولأنه مقصر من ناحيتي فقد قررت الانفصال عنه، وعلي في المرة القادمة أن أختار عريسا ثريا لأن أسرتي يرون أن الفتاة المخطوبة خطيبها وحده المسؤول عن تلبية احتياجاتها.

في هذه المقابلة، تتبع الهيمنة الأنثوية من التوقعات الاجتماعية التي تضع المسؤولية المادية على الذكر في العلاقة، الخطيبة تشعر بالإحباط والغضب من عدم تلبية خطيبها لتلك التوقعات، حيث أن الهدايا والاهتمام المادي يُعد في المجتمع المحلي معيارًا لتقييم جدارة الذكر ومكانته كخطيب صالح. غياب هذه العناية المادية يهدد الهيمنة التي تسعى الأنثى إلى تحقيقها في العلاقة، والتي تُبنى على فكرة تقديم الذكر للهدايا والماديات كرمز للحب والالتزام.

تبرز هنا الهيمنة الرمزية، وفقًا لمفهوم بيير بورديو، حيث أن الخطيبة تقارن نفسها بالبنات الأخريات في سنها، ما يزيد من إحساسها بالضغط الاجتماعي. هذه المقارنات تعمل كأداة للهيمنة، حيث تؤثر التوقعات الجماعية على السلوك الفردي وتوجيهه، أين الثروة تُصبح عاملاً مهيمناً تستخدمه الأنثى لتقييم قوة الذكر

وقدرته على توفير الحياة التي تتناسب مع معاييرها الأمر الذي جعل الخطيبة تُظهر رغبتها في "اختيار عريس ثري" في المستقبل لتلبية احتياجاتها المادية خاصة وأنها تتميز بعقلية استنزافية.

هذه المقابلة تُبرز أيضًا تحولًا اجتماعيًا في أدوار الجنسين، حيث أصبح للأنثى حرية أكبر في اختيار الشريك وفقًا لمعايير مادية بحتة، وهذا يعكس تغيرًا عن النماذج التقليدية التي كانت تضع الذكر في موقع القوة المطلقة.

من خلال أراء المبحوثين فإن المستوى المادي للذكور هو من أهم الدوافع التي تجعل الأنثى تمارس عنفا رمزيا ضد الذكر يتجلى في العنف اللفظي والمعنوي وبالتالي فالأنثى بحاجة إلى تحسين مواردها المادية لتحقيق استقرار اجتماعي، حيث يكون أصل هذه العلاقة مبنيا على المصلحة المادية قبل النظر في مدى توافق الطرفين في المستوى العلمي والتربوي فهذه العلاقة المبنية أساسا على مصلحة مادية سيكون الراتب فيها مشكلة ومحل خلاف لأن الطرف الذي وضع عينه على الراتب قبل أن يقتنع بالشريك مئة بالمئة سيختلق المشاكل للانفصال إذا لم تكن آلة الربح تدر عليه الأموال التي يريدها.

ومن الأسباب التي تجعل الأنثى تتسلط على الذكر أنها إذا طلبت منه بعض الحاجيات ولم يقم بتوفيرها إما لعدم استطاعته وإما لعدم مبالاته فتشعره بالذنب وبأنه غير مقدر لنعمة الزوجة التي أنعم الله بها عليه، وتحاول أن تذكره بكل حسنة قدمتها له وتحاول جاهدة أن تكسر ثقته بنفسه متحججة بأنه تناسى أفضالها عليه، وهذا كله راجع لشخصية الذكر لأن عملية تكسير ثقة الزوج من طرف الزوجة هي عملية صعبة وليست سهلة لكن الأنثى تعرف كيف تسلك هذا السلوك فتأخذ مثلا قرارات بالنيابة عن الزوج وتقول أرأيت كيف كان رأيي صائبا.

وأيضا من بين الأسباب أن يخل الذكر بأمر القوامة فتنمو عندها فكرة السيطرة عليه وإضعافه أمامها كما رأينا في الأمثال السابقة، وهذا في كثير من الحالات يكون سببا في هدم العلاقات خاصة الزوجية منها، فكلما استسلم الذكر للأنثى المتسلطة كلما زادت الأنثى في فرض هيمنتها عليه.

5. تحولات السلطة بين الجنسين: القيادة والرقابة

1.5. الذكر تحت سلطة مرؤسته: تحولات السلطة بين الجنسين

يمكن أن تمارس الأنثى وظيفتها التسلطية في مكان العمل إذا كان منصبها الوظيفي أعلى درجة من منصب الذكر، وهذا ما يجعل هذا الأخير يشعر بممارسة السيطرة عليه أو الهيمنة من طرف الأنثى.

المقابلة رقم 29:

يقول "ج" 37 سنة عامل في مؤسسة تربوية تترأسها مديرة إن هذه المديرة لا تتوقف عن إصدار الأوامر والتدقيق في كل صغيرة وكبيرة، كما تعدت إلى رفع صوتها في المجالس، بتوجيه الإهانات في حالة وجود خطأ ما، كما أنها تريد إظهار قوتها على حساب كرامة الأخرين، وهذا ماجعله يسأم من وظيفته على حد تعبيره (خبزة الرخس)، يضيف والله ساعات نقول نحبس الخدمة لأني نخدم مع إنسانة مريضة بالأوامر مشتاقة مسؤولية.

أحيانا يشعر الذكر الذي تترأسه أنثى بنوع من الضغط وعدم الراحة لوجود أنثى يخضع لسلطتها، لأن الذكر يحاول دائما أن يكون سيد نفسه فهو يكره أن يكون تابعا خاصة للأنثى حتى وإن كان منصبها ومستواها الثقافي مرموقا. ومن أعظم مشاكله أن يكون تابعا لسلطة أنثى، لهذا فإن إحساس الذكر بالظلم وعدم إنصاف الحياة والقلق المستمر تجسده قوة سلطة الأنثى. فهل الأنثى هي المخطئة بممارسة سلطتها على الذكور أم أن الذكور هم من لا يقبلون بحكم الأعراف والعادات والتقاليد قيادة أنثى، ويعتبرونه تسلطا لا ترتيبا للمستويات؟

المقابلة تشير إلى تجربة أحد العمال في مؤسسة تحت إدارة أنثى، وهو أمر يتجاوز مجرد العمل الإداري إلى فهم الميكانيزمات الاجتماعية والثقافية المرتبطة بالهيمنة الأنثوية. وفي المجتمعات التي غالباً ما تُعطى فيها الأولوية للأدوار الذكورية، يعتبر وجود مديرة يتطلب إعادة النظر في الأدوار التقليدية للأنثى في بيئة العمل.

تشير كلمات المبحوث إلى سلوكيات مديرة العمل التي تشمل إصدار الأوامر بشكل متكرر. هذا السلوك قد يُظهر نوعًا من الهيمنة الأنثوية التي تتحدى الأدوار التقليدية. وهنا يمكن تفسير تصرفاتها على أنها رغبة في تأكيد الذات وفرض السيطرة، مما قد يدل على شعورها بعدم الأمان في دورها القيادي.

التدقيق في "كل صغيرة وكبيرة" قد يعكس محاولتها السيطرة على الأمور، وهو سلوك يُظهر عدم الثقة بالآخرين وقد يفسر بطريقة سلبية، مما يؤدي إلى توتر بيئة العمل. هنا نجد أن الهيمنة ليست فقط في الأوامر بل في خلق جو من الرقابة والخوف.

استخدام الصوت المرتفع والإهانات يُعتبر من أساليب الهيمنة التي تهدف إلى إظهار القوة على حساب كرامة الآخرين. هذا السلوك يمكن أن يكون مُخلفًا لتأثيرات سلبية على نفسية العاملين، حيث يشعرون بأنهم في وضعية ضعف خاصة الذكور.

كما يعبّر المبحوث عن شعوره بالملل من العمل مع "إنسانة مريضة بالأوامر". هذا التعبير يُظهر الشعور بالإرهاق من العمل تحت إدارة مستبدة يمكن أن تؤدي إلى الرغبة في ترك العمل.

كما نستخلص من خلال هذه المقابلة أن تصرفات المديرة تشير إلى محاولة إعادة تشكيل الأدوار الاجتماعية للأنثى في بيئة العمل، ولكن النتائج جاءت بمردود سلبي لأنه من المهم أن تتحلى القيادات النسائية بالاحترام بدلاً من السيطرة المفرطة والإهانة، في حين توجد نسبة من النساء يمارسن حياتهمن المهنية بعقلانية واحترافية دون اللجوء إلى السيطرة والتسلط لإثبات ذواتهن كما جاء في المقابلة الموالية حيث نجد مديرة رياض الاطفال تصرح وتقول:

المقابلة رقم 30:

إن الله سبحانه وتعإلى خلق البشرية وهو أعلم بما يصلح لها وأعرف بما يضبطها لأنه هو الذي خلقها فلذلك أنزل أحكاماً تضبط حياة الناس وقرر شرائعاً تنظم أمورهم وتسيّر حياتهم ومن هذه الشرائع والأحكام أن الله جل وعلا جعل القوامة للرجل وأخبر بصيغة المبالغة أن الرجال قوامون على النساء فالأمر والنهي

والتوجيه والزجر والولاية والرعاية والنفقة وتسيير شئون الأسرة كل هذه أمور تتعلق بالرجل وتنسب إليه فهي منوطة به وهو المسؤول عنها ولذلك علق الله القوامة به لأن القوامة تحتاج إلى حزم وتدبير وحكمة وإدارة وهذه الصفات غالباً ما تكون متوفرة في الرجل أكثر من المرأة فلذلك أنيطت القوامة به.

قال تعإلى :﴿الرِّجَالُ **قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا**﴾ النساء: الآية 34.

فرخص الله للرجل تأديب امرأته وضربها ضرباً غير مبرح، إن هي خرجت عن الطاعة وتعنتت على القوامة، وليس معنى هذا أنها قوامة سطوة واستبداد وسلطة قوة واستعباد وإنما هي قوامة التزامات ومسئوليات وهيبة هكذا يريد الله وبهذا أمر الله ولكن ما هو الواقع؟ وكيف أصبح الحال؟ وما الذي حصل حين تنازل بعض الرجال عن قوامتهم التي أعطيت لهم فقام بتسليمها إلى امرأته وتركها لها؟ وأنزل نفسه منزلة غير المنزلة التي أعطاه الله إياها !وماذا نتوقع النتيجة؟

إن الذي حصل هو أن المرأة أصبحت هي كل شيء، فهي من تأمر وتنهى وهي من تحاسب زوجها وليس هو من يحاسبها وتتجرأ على قول أقوال عظيمة وفعل أفعال شنيعة في حقه فلا يتجرأ على الرد عليها فضلاً عن معاتبتها أو محاسبتها وتقوم بالتسلط وزرع الفتن وخلق المشاكل بين زوجها وأهله لأنها عرفت ضعفه وانحيازه الكامل لها وخضوعه وسكوته عنها وكلما زادت في السيطرة عليه والتحكم فيه كلما ألزمته بتقديم التنازلات حتى يخضع لها لتكون هي المسيطرة على البيت بأكمله وتفرض سلطتها على كل من في البيت بمن فيهم الزوج نفسه فيصبح الزوج المسكين فرداً عادياً وشخصاً هشاً داخل البيت لا يقدم ولا يؤخر.

إنها مشكلة كبيرة حين تصبح كلمة الرجل في المنزل ثانوية وليست أساسية فالكلمة الأولى للمرأة والقول قولها والرأي رأيها بل ربما تتدخل حتى في شئون الزوج الخاصة فتلزمه بكذا أو تخيره بين كذا أو كذا أو تطلب منه أموراً غير منطقية ولا معقولة فلا يجرؤ على أن يقول لها لا وإن قال لها لا أظهرت له الشراسة

والشر وأظهرت له صعوبة التفاهم معها وصعوبة رضاها وربما رفعت صوتها وأسمعت الآخرين قوة حنجرتها لتذيب زوجها أمامها لكي يخجل مرة أخرى من مصادمتها أو معارضتها خوفاً من تصرفاتها وفي النهاية يصير ألعوبة بيدها لا يقول قولاً ولا يفعل فعلاً إلا بأمرها وإذنها ولو أنه تدرج معها بما أمر الله به في الآية المذكورة آنفاً لما تجرأت على شيء من هذا ولما وصلت الجرأة والبذاءة ببعضهن إلى أن تقاطع حديثه أو تمد يدها عليه أو تشهر به بين الناس أو تؤلب عليه أولاده ليقوموا بتنغيصه والتضييق عليه ويكتمل العجب حين يكون الرجل شخصية قوية خارج البيت سواء كان في العمل أو بين أصحابه لكنه داخل البيت تتلاشى شخصيته وتذهب عقليته وتضعف نفسيته أمام زوجته.

2.5. الأوامر الأنثوية بعيون الذكر: تحديات التقبل

المقابلة رقم 31:

"ن" 42 سنة متزوج أب لطفلتين يقول أنا عانيت ياسر من أوامر زوجتي، تقولي ماتديش البنات لدار جدهم يا لوكان تموت تقصد بيت أهلي، ماتروحش ماتصرفش عليهم، مايجونيش، مايجوش لداري وأنا غايبة، السيارة رانا شركاء فيها ماتهزش فيها أمك وخواتاتك، وفي يوم وصلت أختي لدارها قامت القيامة بيناتنا، وأوامرها لا تنتهي وتفاديا للدخول معها في صراعات لا تنتهي أجد نفسي منقادا لتمثيل أوامرها.

هذه المقابلة توضح لنا كيفية تمثل الذكر لأوامر الأنثى من خلال تجربة رجل يبلغ من العمر 42 عامًا، متزوج وأب لطفلتين، والذي يعبر عن معاناته من أوامر زوجته وتأثيرها على حياته اليومية. هذه المقابلة تقدم نمطًا من العلاقات الزوجية في المجتمع التبسي، أين يكون الذكر ملتزمًا بتوجيهات الزوجة، ويعكس هذا الهيمنة الأنثوية التي تستغل حرص الزوج على الحفاظ على العلاقات العائلية والأسرية التي تمثل جزءًا أساسيًا من القيم الاجتماعية. إذ يظهر الزوج في المقابلة شعورًا بالاستسلام أو الانقياد أمام أوامر زوجته، مما يعكس ضعفًا في الاستقلالية الشخصية، فيفضل الانسحاب عند أدنى مشكل يواجهه حتى يتفادى الدخول في مشادات قد تؤدي إلى مشاكل أكبر، لأن الزوجة في هذه المقابلة لم تعد تلك الأنثى الضعيفة

بل تظهر كقوة مؤثرة في الأسرة وتلعب دورا قياديا فيها حيث تحدد الطريقة التي ينفق بها المال ومتى يزور الأطفال عائلة الأب وفي هذا تحد واضح للأدوار التقليدية حيث يُفترض أن يكون الذكر هو القائد.

المقابلة رقم 32:

تقول المبحوثة إن زوجي يستمع لكلام أمه ويستشيرها في كل شيء حتى أنه يحكي لها ولأخواته كل أسرار أسرتهن ولا يمكنه أن يعتمد على نفسه في إتخاذ القرارات، وأحيانا عندما تحدث مشادات بيننا لأي أمر يتجه نحو منزل والدته ويعرض عليها المشكلة ثم يعود بالحل لذلك فأنا أحاول أن أصلحه قدر المستطاع وأجعله يتخلى عن هذه التصرفات الصبيانية ففي حالات كثيرة أرى نفسي أنني تزوجت أنسانا غير ناضج لدرجة أنني أصبحت أطرده من المنزل ولا أحتمل وجوده السلبي.

تصرفات الزوج كما وصفتها المبحوثة، مثل الاعتماد على الأم في حل المشكلات، لا تتعارض مع النموذج الذكوري التقليدي الذي يعطي للأم سلطة وهيمنة على الأبناء حتى بعد الزواج، وفي المجتمع المحلي هذه الظاهرة لا تزال منتشرة إلى يومنا هذا، الأمر الذي جعل من الزوجة تحاول التحكم في تصرفات زوجها وتوجيهه نحو اتخاذ قراراته بنفسه، يعتبر هذا النوع من الهيمنة محاولة لإعادة تشكيل الأدوار الأسرية وإقصاء الهيمنة الأنثوية من جهة الحماة.

من خلال تعبير المبحوثة عن عدم رضاها عن تصرفات زوجها، بما في ذلك محاولة طرده من المنزل، فهنا الزوجة تعمل على إظهار قوتها وفرض سلطتها داخل العلاقة. فهذا يعتبر نوعًا من العنف الرمزي لأنه يعيد تشكيل الهيمنة داخل الأسرة.

3.5. تمثل الذكر لرقابة الأنثى في الحياة اليومية

المقابلة رقم 33:

يقول المبحوث "م" 38 سنة زوجتي تراقب هاتفي مراقبة صارمة ودقيقة حتى نحس روحي وكأني في مفتشية الأمن وفي الحقيقة لا أمانع لأني أنا نشوف إنو من حق أي إمرأة إنها تحافظ على زوجها وأسرتها وبيتها، وبالعكس أشعر باعتزاز كبير كي نشوفها تغير عليا، ولكن في الحقيقة نعترف أنا إنسان عندي صداقات كثيرة مع الجنس الآخر خاصة في محيط عملي الأمر اللّي خلّاني نسجل أرقام هواتف البنات لي نعرفهم بأسماء رجال باش نتفادى أي صراع معها، وكي ندخل إلى المنزل يكون هاتفي دائما في الوضع الصامت وفي حالة ما إذا اتصلت إحدى صديقاتي أسارع إلى خارج البيت لمكالمتها.

بالرغم من أن هذا المبحوث يشغل منصب اجتماعي مرموق، ولديه سلطة على شريحة واسعة من المجتمع لكنه يبقى عاجزا أمام رقابة زوجته.

هذه المقابلة تجمع بين السلطة الاجتماعية والهيمنة الأنثوية على مستوى الحياة الشخصية، أين نجد المبحوث يعتز بهذه المراقبة ويقبلها، فالذكر الذي يحتل منصبًا مرموقًا في المجال الاجتماعي، ويمتلك سلطة قيادية في محيط عمله ومجتمعه، إلاّ أنّ هذه السلطة منعدمة تماما في المجال الأسري، حيث يصبح خاضعًا لمراقبة زوجته. وفقًا لبورديو، يتفاعل الأفراد داخل "مجالات" أو "حقول" اجتماعية متعددة، وكل مجال يتطلب ممارسات خاصة به. فنجد الذكر في مجال الحياة الزوجية يتخلى عن بعض سلطته خارج المنزل لتتلاءم مع قواعد المراقبة الزوجية. فيُظهر استجابة تُعرف بـ "الهيبتوس (habitus)" أي سلوكه الذي يتشكل نتيجة التفاعل مع السياقات الاجتماعية والثقافية، مما يعزز الهيمنة الأنثوية داخل الأسرة. هذه الحالة تُظهر تناقضا في سلوكيات الزوج؛ ففي العلن، يظهر خاضعًا لمراقبة زوجته، فيتمثلها نوعا من الحب والاهتمام، لكنه في الوقت نفسه، يمارس سلوكيات خفية مثل تسجيل أرقام النساء بأسماء ذكورية وتجنب المكالمات داخل المنزل. فالبرغم من أن الذكر يتمتع برأس مال اجتماعي قوي نتيجة منصبه وسلطته في

المجتمع، إلا أن رأس المال الرمزي داخل الأسرة هو ما يؤثر على ممارساته. حيث يظل عاجزًا عن ممارسة نفوذه في المجال الخاص بسبب قوة زوجته في مراقبته، ما يعكس آلية القوة المعقدة بين رأس المال الاجتماعي والرمزي. وعند استمراره في قبول المراقبة وممارسة سلوكيات مزدوجة، يساهم الزوج في إعادة إنتاج الهيمنة الأنثوية داخل المنزل.

6. العنف الرمزي واختلاف المعايير

لقد شكل مفهوم العنف الرمزي مدخلا منهجيا لكثير من الباحثين مكّنهم من الكشف عن الملابسات الخفية لتلك الممارسات القهرية. فمن خلال أطروحات بيير بورديو الثلاث حول العنف الرمزي نجد نظرية الحاجات التي طرح فيها العنف كنتيجة حتمية لعدم إشباع حاجيات الإنسان من سكن وغذاء وعمل وأمن...الخ، والناجمة عن الظواهر الاجتماعية والاقتصادية، ثم نجد بيير بورديو يعرف العنف الرمزي بقوله: العنف الرمزي هو عبارة عن عنف لطيف وعذب وغير محسوس وهو غير مرئي بالنسبة لضحاياه أنفسهم وهو عنف يمارس عبر الطرائق والوسائل الرمزية الخالصة أي عبر التواصل وتلقين المعرفة وعلى وجه الخصوص عبر عملية التعرف والاعتراف أو على الحدود القصوى للمشاعر والحميميات[1].

إن العنف الرمزي قد يكون أكثر فاعلية وإيلاما في تحقيق أهدافه للوصول إلى الهيمنة والخضوع أكثر من العنف المادي أين يحاول المهيمن أن يطبق على المهيمن عليه علاقات الهيمنة التي تحمل وجهة نظر المهيمن فتجعلها تبعا لذلك تبدو وكأنها طبيعية.

وفي مايلي سنحاول إسقاط ظاهرة العنف الرمزي على فئة من المجتمع ونحاول دراسة الظاهرة عن كثب من واقعنا الاجتماعي.

[1] Piere Bourdieu, la dimination masculine, OP.cit, p 88.

1.6. التنغيص: عنف رمزي تمارسه الأنثى ضد الذكر

لما الأنثى تتفنن في إيجاد وسائل متعددة تنغص بها حياه زوجها مما يجعله يرى المنزل جحيما يفر منه بحثا عن راحة باله إذ لا يجد داخله إلا الصراخ والسب والشتم والشكوى فيصبح مخيَّرا بين أن يقضي طوال وقته في الخارج يتجول في الشوارع دون وجهه معلومة أو هدف واضح ولا يعود الي المنزل إلا متأخرا حين يطمئن من أن زوجته قد خلدت إلى النوم أو أن يغادر البيت دون عودة لأنه أصبح جحيما لا يطاق وهذا النوع من النساء ينتشر بكثرة في المجتمع التبسي ويعاني الزوج معهن الويلات.

المقابلة رقم 34:

يقول "ر" زوجتي نغصت حياتي، فهي تتهمني دائما بأنني أعطي راتبي كله لإخوتي وأخواتي دون مبالاة أو اهتمام بأبنائي الصغار وهذا طبعا من نسيج خيالها وتمثلاتها، فمهما حاولت تبرير الموقف لا تقتنع أبدا والأمر لم يتوقف عند هذا الحد، بل رسخت هذه الأفكار في أذهان الأبناء، كما أنها تقوم باستفزازي وتسمعني كلاما جارحا أمامهم هذا الأمر يضعها في موضع القوة أمام الأبناء مما جعلهم يصطفون إلى جانبها وينظرون إلي نظرة إزدرائية حتى أنه لم تعد لي أي سلطة في البيت ولا أحد يهتم لرأيي أو توجيهاتي حتى طلباتي لا تنفذ إلا إذا أمرت أمهم بذلك.

المقابلة رقم 35:

كذلك حالة "ت" شاب في الثلاثين من عمره تزوج من ابنة عمه التي لم كن يرغب في الزواج بها، أنجب معها ثلاثة بنات وطفل في سنواتها الثلاث الأولى، يقول المبحوث أنه حسب رأي زوجته أنها تربط الرجل بكثرة الأولاد خاصة إذا أحست منه عدم الميول إليها، يضيف أنها تفتعل المشاكل إلى أن حوّلت بيت الزوجية إلى حلبة صراعات كما أنها تحب زيارة أمها يوميا وهذا هو سبب الصراع، يقول المبحوث أنه في إحدى المرات لما منعتها من الزيارة اليومية لبيت أهلها أخبرتني أن ابنتها الصغيرة مريضة وجسمها يلتهب بالحمى وطلبت مني أن آخذها على جناح السرعة إلى الاستعجالات وفعلا أخذتها والصغيرة، وبمجرد

وصولنا لطبيب الاستعجالات بدأت الصراخ والنحيب وطلبت من الطبيبة أن تتصل بالشرطة وأخبرتها أنها لن تعود إلى البيت نهائيا لأنني حسب كلامها نغصت عيشتها وأنني كنت أضربها ضربا مبرحا وذَهَبَتْ مع الشرطة وأنا أنظر ولم أستطيع أن أقول ولا كلمة، وتقدمت بشكوى ضدي أمام وكيل الجمهورية، ووصل بنا الأمر إلى حد الطلاق لكن عندما أفكر في أولادي أتراجع عن قرار الطلاق، واستسلمت لها ورضيت بواقعي المنغص. مضيفا أنها كباقي بنات هذا الجيل حتى ولو طلقها وتزوج أخرى فلن تختلف عنها كثيرا فالمرأة العدوانية أصبحت ظاهرة متفشية في المجتمع فناهيك عن أنها تنغص حياة زوجها فهي تعادي كل أهله، والديه، إخوته وأخواته بسبب ودون سبب، وتجتهد في منعه من زيارتهم كما تمنع أبناءها من الذهاب إلى أجدادهم من جهة والدهم وعند أبسط اختلاف تخيّر زوجها بينها هي وأبنائها وأهله.

في المقابلة الأولى، يُظهر الذكر شعورًا بالاغتراب داخل منزله، حيث أصبحت زوجته تحتل موقع الهيمنة من خلال ما يعتبره وسيطرة عاطفية على الأبناء. إذ يشعر بأن سلطته التقليدية كذكر قد تآكلت داخل المنزل. فهو يعبر عن شعوره بأن زوجته نجحت في إضعاف مكانته من خلال إقناع أبنائه بأنها هي الشخص الذي يهتم بمصالحهم، بينما هو ينفق ماله على إخوته وأخواته دون اعتبار لعائلته. هذا التصور يعكس تحديًا للسلطة الأبوية التقليدية التي كانت قائمة على هيمنة الذكر المطلقة داخل الأسرة.

يشير المبحوث الثاني إلى أن زوجته تربط الزواج بـ "إنجاب الأطفال"، وخاصة عندما تشعر بعدم الميل العاطفي من جانبه، هذه الرؤية تعكس استخدام الأطفال كوسيلة للهيمنة العاطفية وضمان استمرار العلاقة الزوجية، حتى في ظل إنعدام التفاهم بين الزوجين، ففي المجتمعات التقليدية، يُنظر إلى الأطفال كجزء أساسي من استقرار الأسرة، ولكن في هذه الحالة، يبدو أنهم يُستخدمون كأداة للسيطرة.

كما نلاحظ تفاقم الصراع بين الزوجين عندما لجأت الزوجة إلى التدخل القانوني، بإتّهام زوجها بسوء المعاملة، أين استعملت الحيلة للخروج من المنزل واتصلت بالشرطة وقامت رفع شكوى، هذا يعكس شعورًا

متزايدًا لدى النساء بثقتهن في النظام القانوني القائم الذي يوفر لهن الحماية المطلقة من اضطهاد الأزواج، في حين يرى "ت" أن النظام القانوني القائم زاد من العدوانية الأنثوية إلى أن تحولت إلى ظاهرة متفشية، مما أدى إلى زعزعة التوازن التقليدي داخل العلاقات الزوجية. كما وضح أن هيمنة زوجته تتجلى في محاولاتها عزل الزوج عن عائلته، حيث تسعى إلى منع اتصاله بأقاربه ومنع أبنائه من زيارة أجدادهم، وهذه التصرفات تنم عن رغبة في السيطرة المطلقة على العلاقات العائلية وتحديد من يحق له التأثير على الزوج والأبناء، وهو ما يضعها في مواجهة مع العائلة الموسعة، وهي إحدى ركائز العلاقات الاجتماعية في المجتمعات التقليدية.

أحد التأثيرات السلبية الكبيرة للهيمنة الأنثوية وفقًا لهذه الشهادات هو فقدان الهيمنة الذكورية، فالمبحوث "ر" يرى أن سلطة الذكر داخل المنزل تتلاشى تدريجيًا لصالح الأنثى، التي أصبحت هي المتحكمة في القرارات العائلية، وخاصة تلك المتعلقة بالأطفال. هذا التحول يعكس إعادة توزيع الأدوار بين الذكر والأنثى، ولكن من منظور الذكور يبدو كأنه انتزاع للسلطة والاحترام.

في حالة المبحوث الثاني، نجد شعورًا بالاستسلام أمام الهيمنة الأنثوية، فهو يعتبر نفسه عاجزًا عن مواجهة زوجته، خاصة بعد اللجوء إلى الإجراءات القانونية.

الذكور في هذه المقابلات يرون في الهيمنة الأنثوية تمثل تهديدًا لدورهم التقليدي.

2.6. تعنيف الأنثى للذكر: اختلاف المعايير في ميزان السلطة

مقابلة رقم 32:

في إطار حديثنا عن تمثلات الذكر حول الأنثى المتسلطة، نجد أن تلك التمثلات في جوانب متعددة منها تتضمن إمكانية ممارسة العنف الرمزي ضد الذكر؛ تمثل الأنثى للذكر كمخادع مثلا يجعل الأنثى لا تثق به وبالتالي في سياقات معينة تعتقد أن استخدام العنف ضد الذكر أمر مشروع. ومن الأمثلة على ذلك

المبحوث "س" الذي يروي لنا قصة خطيبته التي رأت خطيبها مع صديقته يتبدلان أطراف الحديث والتي كانت ترتدي لباسا صيفيا يبرز مفاتن جسدها وكانا يسيران معا وكانت ضحكاتها تتعالى، لم تتمالك خطيبته نفسها وأمطرتهما بوابل من السب والشتم أمام الملاء ونعتته بالكلب والديوث وطحان وماكش راجل.

هذه الأنثى حكمت على خطيبها انطلاقا من كلامه مع فتاه أخرى بأنه كلب، ففي لحظة غضب جردته من إنسانيته ومثلته كحيوان يضرب به المثل في الدناءة والحقارة وهو حكم مبني انطلاقا من تمثلها للكلب الذي يلهث وراء الإناث من بني جنسه وبالتالي سلوكها هذا أعطاه إنطباعا يندرج في إطار تعنيف الأنثى للذكر.

إن استخدام العنف اللفظي عند الأنثى في هذه الحالة يُعتبر رد فعل على مشاعر الخيانة أو الإهانة التي يمكن أن تشعر بها عندما ترى شريكها يتصرف بطريقة تعتبرها غير محترمة. رغم أن العنف لا يعد سلوكًا مقبولا، إلا أنها لجأت إلى الشتائم كوسيلة للتعبير عن غضبها ورفضها لما يحدث. كما تظهر هنا ثقافة تتعلق بالقيم الاجتماعية أين يعتبر ما قام به الشاب انتهاكا للقيم التقليدية، ويعكس ما قامت به الفتاة من ردود فعل عنيفة انتهاكا للقيم التقليدية وتبني لثقافة الحداثة، وعندما تُنتهك الحدود، فإن ردود الأفعال تكون عنيفة.

7. السلطة الأنثوية وتمثلاتها الذكورية

1.7. السلطة الأنثوية من منظور ذكوري

تحاول الأنثى أخذ القرارات نيابة عن الذكر من أجل فرض شخصيتها وإثبات نفسها على حساب الآخر، لتظهر تسلطها وجبروتها، عن طريق إجبار الطرف الآخر على الخضوع لمعتقداتها، والرضوخ لها، لإعتقادها بأن كل ما تقوله أو ما تفعله هو الأصح، كما تقوم بهز ثقة الآخرين بأنفسهم، وذلك بالسيطرة على أفكارهم، وتقديم التوجيه والتنظير الدائم لهم.

المقابلة رقم 36:

يصرح "ص" 48 سنة عامل في مديرية التربية أنه يعاني من تسلط زوجته ومحاولة السيطرة عليه من خلال فرض أسلوب المتابعة عليه، يقول أنها تتدخل في جميع خصوصياته بدأ بالملبس والخروج والمواعيد وزيارته لأهله وخاصة مراقبة المكالمات الهاتفية، يضيف أحيانا تحاسبني مثل طفل صغير، أنا أحاول السيطرة على غضبي كما أتحكم في إنفعالاتي فهذه التصرفات تشعرني بالإختناق، ولكني أتفادى المشاكل أمام الأطفال، يقول أيضا أنها تملك دائما المبررات والجدال معها لا يجدي فهي لا تترك مجالا للتفسير أو النقاش ويضيف نشري راسي أي أنه يتفادى ويخضع.

تُظهر هذه المقابلة بوضوح هيمنة الزوجة على تفاصيل الحياة الشخصية لزوجها، تتدخل الزوجة في مجالات متعددة، بدءًا من الملبس وصولاً إلى المواعيد وزيارات الأهل، مما يعكس مستوى عميق من السيطرة. إن هذا التحكم ليس مجرد روتين يومي، بل هو تعبير عن سلطة نفسية تحاول الزوجة فرضها على زوجها، مما يؤدي إلى شعور الزوج بالاختناق وعدم الإرتياح خاصة حينما تشعره أنه طفل صغير تحت المراقبة، فمن خلال قراراتها المتعددة التي سيطرت بها عليه أصبح في نظرها غير قادر على إدارة شؤونه الخاصة، مما يؤدي إلى تفاقم إحساسه بالعجز، يُظهر هذا أيضًا كيف أن السلطة الرمزية تُمارس من خلال التقليل من قيمة الآخر، وهو ما يتعارض مع الأسس التقليدية للعلاقة الزوجية.

المبحوث يعبر عن محاولته السيطرة على غضبه، مما يدل على صراع داخلي بين الرغبة في الحفاظ على الاستقرار العائلي والاحتفاظ بالكرامة الشخصية. وتعبير المبحوث "نشري راسي" يشير إلى استسلامه أمام سلطتها، هذا الاستسلام يمثل آلية للبقاء في علاقة يشعر فيها بالعجز، ويُظهر هذا الاستسلام كيفية إعادة إنتاج القيم الثقافية التي تعزز الهيمنة الأنثوية.

المقابلة رقم 37:

يقول المبحوث "ص" تعرفت على فتاة جميلة كانت تدرس في الجامعة واتفقنا على الزواج وأنجبنا الابن الأول والثاني وكانت حياتنا سعيدة يملؤها الود والاحترام، إلى أن قررت هذه الأخيرة المشاركة في مسابقات الدراسات العليا فحاولت أن أثنيها عن قرارها بكل الطرق لكنها تعنتت وأصرت ووصل بي الأمر إلى أنني هددتها بالطلاق ولكن ذلك لم يثنيها عن عزمها، فما كان مني إلا أن خضعت لقرارها وأنا اليوم راني ندي ونجيب فيها.

هذه المقابلة تعبر عن تجربة مبحوث حاول منع زوجته من متابعة دراساتها العليا، لكنه في النهاية خضع لقرارها واستسلم لمطالبها. هذه المقابلة تعكس آلية القوة والسلطة داخل العلاقة الزوجية. وفقًا لفوكو، لا تُفهم السلطة على أنها شيء مملوك أو متحكم به من قِبل طرف واحد، بل هي شبكة من العلاقات التي تتوزع عبر الأفراد وتتغير تبعًا للمواقف. ففي هذه الحالة الذكر يعبر عن رغبته في السيطرة على قرار زوجته بعدم متابعة الدراسات العليا، لكنه يكتشف تدريجيًا أن السلطة ليست محصورة بيده فقط، بل تتداخل مع إرادة زوجته التي تُمارس سلطتها بشكل مستقل. رفضها الامتثال لرغبته وإصرارها على قرارها يعكس أن السلطة بين الزوجين ليست ثابتة، بل متغيرة وقابلة للتفاوض.

في نظر فوكو، السلطة لا توجد دون مقاومة، والمقاومة هي جزء لا يتجزأ من عملية ممارسة السلطة. الزوجة، من خلال رفضها الانصياع لقرار زوجها بعدم المشاركة في الدراسات العليا، تمارس نوعًا من المقاومة التي تتحدى السلطة الذكورية التقليدية في الأسرة. هذه المقاومة تؤدي إلى تحول في موازين القوى

داخل العلاقة، حيث يضطر الزوج في النهاية إلى قبول قرارها. هذا التغيير يعكس طبيعة السلطة لدى فوكو كشيء يُمارس من خلال التفاعلات اليومية، وليس مجرد هيمنة ثابتة من طرف واحد.

المعرفة التي تسعى الزوجة إلى اكتسابها هي جزء من ميكانيزمات السلطة الأنثوية التي تجعلها أكثر تحررا أين تصبح أكثر قدرة على إتخاذ القرارات بعيدًا عن تأثير زوجها، ومنه يتضح أن المعرفة ليست فقط أداة لتحسين الذات، بل أيضًا وسيلة لتغيير موازين القوى داخل العلاقة.

في نهاية المطاف، يعترف الزوج بأنه خضع لقرار زوجته وأصبح هو من "يدي ويجيب فيها"، مما يعكس تحولًا واضحًا في السلطة داخل العلاقة. استسلامه لقرار زوجته يعكس القوة التي اكتسبتها من خلال تصميمها واستقلالها الفكري. السلطة هنا لم تعد في يد الذكر وحده، بل أصبحت موزعة بين الطرفين.

2.7. مسايرة الذكر لهيمنة الأنثى في التحولات المجتمعية

المقابلة رقم 38:

"ك" صورة الذكر المسيطر المتشبع بتصورات وقيم الثقافة الأبوية القائمة على الهيمنة الذكورية حيث يصرح: زوجتي ماكثة في البيت وكانت تبحث عن وظيفة بالرغم من رفضي إلا أنها تعنتت وأصرت على قرارها والحمد لله أنها لم توفق في الحصول على وظيفة، ومع مجيء الأطفال فضلت أن ترعاهم بنفسها وتسهر على تربيتهم وتعليمهم، وتخلت عن فكرة البحث عن وظيفة من تلقاء نفسها دون ضغط مني عليها فالأطفال يأخذون كل وقتها.

"ك" يقول كي كنت سيليبتار كنت نتحكم في كل أهل البيت حتى في والدتي تقدري تقولي كنت مسيطر على كل العائلة ونحب نفرض رأيي في كل كبيرة وصغيرة ونحب كل الأمور تكون منظمة وفي الحقيقة دون تقديم أي مساعدة مني فقط أعطي الأوامر، يضحك ويقول أما اليوم فأنا مضطر لمساعدة زوجتي ولازم يكون البيت على ما يرام، خاصة لما نشوفها غير قادرة على إنجاز مهامها لأن أهلى يمكن أن يفاجئونا بالمجيء في أي لحظة، وأمي نظرتها فاحصة، ولا أريد أن تقول أن ابني اللي كان "مسيطر" متساهل مع

الزوجة، لازم يشوفوني كيما كنت قبل، حتى نثبت لأمي أني راجل محافظ على نفس النظام اللّي تربيت عليه. هو في الحقيقة الدار راهي مسؤولية الزوجة وهي المراقب الأول، ونقدر نقول هي الآمر والناهي ولكن الله غالب هكذا متساعدين مع بعضانا "نساعفها وتساعفني".

"ك" يصرح بوضوح أن تصوره للعلاقات الزوجية وللأدوار داخل الأسرة قائم على الهيمنة الذكورية التي تتجلى في ثقافة أبوية واضحة. ويعتقد أن الذكر يجب أن يكون المسيطر على المنزل ويشدد على رأيه في كل كبيرة وصغيرة، كما يعكس ذلك من خلال محاولاته للسيطرة على أهل بيته عندما كان عازبًا.

رفض المبحوث فكرة عمل زوجته خارج المنزل يعبر عن تمسكه بمفاهيم تقليدية للرجولة التي ترى في الذكر المسؤول الأول عن إعالة الأسرة والأنثى التي يجب أن تلتزم بدورها المنزلي. رغم أن زوجته كانت تبحث عن فرصة للعمل، إلا أنه يرى أن تراجعها عن الفكرة بعد إنجاب الأطفال كان الخيار الأفضل، ويعتبره انتصارًا لتمثلاته حول الدور الطبيعي للأنثى. هذا النوع من السلوك يعكس ثقافة أبوية تضع الأنثى في إطار محدد يقتصر على رعاية الأسرة والقيام بالمهام المنزلية.

يظهر هذا المبحوث حرصه الشديد على أن يبدو "كما كان من قبل" في أعين أمه وأسرته، وهو ما يعكس أهمية الحفاظ على صورة الذكر "المحافظ" في الثقافة المجتمعية التي يتربى عليها، بالرغم من أن مسايرته لزوجته كانت واضحة من خلال أنه لم يستطع السيطرة عليها لما كانت تبحث عن وظيفة إضافة إلى مسايرتها بمساعدتها في الأعمال المنزلية التي يراها ماسة بمكانة الذكر المحافظ في الأسرة وهذا يدل على أنه وإن كان غير ملتزم بالهيمنة داخل أسرته المباشرة، فإنه يريد أن يسوق للخارج ترسيخ هذه الهيمنة وتقديمها للآخرين، خاصة لأمه التي يعتبر نظرتها مرجعًا لقيمه التقليدية.

رغم تمسكه بالقيم الأبوية التقليدية، إلا أن تصريحه بأنه وزوجته "متساعدين مع بعضانا" يعكس بداية تكيف ومسايرة مع القيم الحداثية القائمة على أساس التعاون بين الجنسين بدلاً من الهيمنة الذكورية المطلقة.

8. جيل جديد في ظل التحول الأنثوي

كان في السابق ما يعيد ديمومة الهيمنة الذكورية هو ميكانيزم إعادة الإنتاج، لكن التحولات السوسيوثقافية اليوم تدفع بالتفكير في إتجاه آخرن وتبين أن الأنثى لم تعد تعيد إنتاج الهيمنة الذكورية كما كان في السابق بل إنها كما يقول آلان تورين "نقلت المجتمع من مجتمع ذكوري متسلط إلى مجتمع ذكوري يقبل سلوكيات الأنثى أي من رؤية تسلطية إلى رؤية خلاّقة للذات تلد توجهات حرة جديدة"، بمعنى أن الأنثى أصبحت ذات فاعلة، وإذا رجعنا إلى الوراء فإننا نتذكر مؤتمر فرنسا سنة 584 م الذي تم فيه التطرق إلى موضوع الأنثى، لكن بصفة كائن ليس له عقل، فتوصلوا إلى نتائج أن النساء لا روح لهن أي لسن ذوات فاعلة، لا وعى لديهن، ولا إدراك، وأنهن أعجز من أن يتجاوزن مستوى التفكير المنطقي.

وإذا نظرنا إلى مجتمعنا المعاصر فإن الأنثى لم تعد تعيد إنتاج الهيمنة الذكورية وأنها حقيقة أصبحت ذاتا فاعلة تبني نفسها انطلاقا من قوة المعرفة، الخروج للعمل، كتابة الروايات، اقتحام المجال السياسي،... الخ وهذه الطفرات الثقافية خوّلت النساء أن يمارسن دورا محوريا. وإذا انطلقنا من هذه النقطة المحورية سَهُل علينا التبصر بالتحولات الثقافية التي تلتقي لتكوّن ثقافة تتحدد بدور النساء المحوري نظير ما كانت سابقتها عليه أي الثقافة القديمة التي كانت تتحدد بدور الذكور المحوري، وهو استنتاج يتعين الإفصاح عنه. يقول آلان تورين في كتابه برديغم "يربكهم ما يزخر به موضوع الذكورة والرجولة من صور، وكثيرون منهم يرغبون في التقرب من النساء، إلى حد التأنيث، كذلك بدأت صور الاختراق والامتلاك والإخصاب كلها تضعف" يضيف في المرجع نفسه "أما شباب اليوم فيتصرفون، من جهتهم، تصرفا شبيها بتصرف النساء، إذ يرتادون صالونات الحلاقة والتجميل، بل وعيادات الجراحة التجميلية أيضا".

المقابلة رقم 39:

أجرينا مقابلة مع شاب في العشرين من عمره كان ملفتا للانتباه من خلال مظهره ولباسه إذ كان شعره ينساب على كتفيه ويضع قرطا في أذنه اليسرى، يزين صدره بسلسلة من الفضة، أما يده فكانت مليئة

بالخواتم إضافة إلى سوار في المعصم وفوق كل هذا وذاك كان شعره مصبوغا بلون يثير الاستغراب، ترددت كثيرا قبل أن أجري معه هذه المقابلة لكن في الأخير تشجعت واقتربت منه، فلما تحدثت إليه وجدت أنه لا يمانع من إجراء حوار. **يقول المبحوث بالنسبة لهذا الجيل التجميل ماعادش خاص بالبنات برك، كيف ما الشاب يحب يشوف البنات في كامل زينتهم وأناقتهم، حتى البنات يحبوا يشوفوا الشاب يكون أنيق ومتهلي في روحو، كي نصبغ شعري ولا نسشورو ولا نلبس الاكسسوارات هذا مايعنيش إني خنثى، كل جيل والستايل تاعو ونحنا أبناء هذا الجيل نحبوا الستيل تاع المشاهير كيما لاعبي كرة القدم والفنانين والمطربين والمؤثرين، صح الجيل القديم مايتقبلش وأنا والدي دايما ينتقد مظهري، لكن مع الوقت تقبل الوضع وماعادش عندي حتى مشكل وبالعكس شكلي هذا خلى عندي معجبات ياسر، البنات اليوم ماعادوش يحوسوا على القوي والبطل والشجاع، هاذي بالنسبة ليهم مجرد قصص وخرافات، وفي الأخير نحنا نواكبوا الموضة.**

إرتداء الإكسسوارات، إرتياد صالونات التجميل، وصبغ الشعر كلها تعبيرات عن محاولة لإعادة تعريف الهوية بعيداً عن الضغوط الاجتماعية التقليدية، أين تتدخل العولمة ووسائل الإعلام الحديثة التي تعرض أنماطًا جديدة من الحياة عبر مشاهير العالم، فيعمل الشباب على تقليد هذه الرموز العالمية، فيشعر من خلال هذا التقليد بالانتماء إلى ثقافة أوسع وأكثر انفتاحاً، حتى وإن كانت تعد من جوانب عديدة ثقافة سلبية فتقل قيم ترتبط بالحداثة والتحرر من القيود الاجتماعية القديمة كاستخدام الماكياج وصبغ الشعر يعتبر إندماجا في ثقافة عالمية تتجاوز الحدود الوطنية والمحلية ونراها سلبية أكثر منها إيجابية، حيث يُفترض أن يحافظ الذكر على مظهر معين يعبر عن "الرجولة" وفق معايير المجتمع التقليدي. كما نجد أن هذا الشاب الذي اختار نمطا جديدا من اللباس والمظهر واجه رد فعل سلبي من الجيل الأكبر سنا وإن وسعنا الدائرة فإن هؤلاء الشباب يواجهون ضغوطا اجتماعية كبيرة من المجتمعات التقليدية، لكنهم يصرون على الاستقلالية والفردية.

ملخص الفصل

من خلال هذا الفصل حاولنا داخل المجتمع المدروس، وبالاعتماد على دراسة ميدانية شملت عينات مختلفة من المجتمع التبسي، تبيان طريقة فقدان الذكر لهيمنته وارتقاء الأنثى سلم الهيمنة والسيطرة من خلال تشخيص وتحليل السلوكيات التي يقوم بها الأفراد خلال تفاعلهم مع بعضهم البعض أين اكتشفنا أن قيم الرجولة في العينة المدروسة قد بلغت أدنى مستوياتها هذا إن لم نقل أنها تخلت عن مكانتها التقليدية وقيمتها الاجتماعية الأمر الذي فتح الباب على مصراعيها لهيمنة صارخة للأنثى على الذكر وإن كان هذا لايزال محصورا في الغرف المغلقة وصدور النساء ولا يبحن به إلا في القليل النادر.

ومنه يمكن القول أن هذه التمثلات التي تفسر أزمة الرجولة في المجتمع التبسي المعاصر واضحة فهي أزمة تتعلق بتحول مرحلي للعلاقات الاجتماعية بين الجنسين وليست فقط مجرد أزمة هوية ذكورية، وبما أن الرجولة أو الفحولة في تمثلاتنا الاجتماعية تطبع الهوية الرجالية بالقدرة على إظهار واستخدام القوة والسيطرة على الآخر، فإنه يجدر بنا التساؤل حول العلاقة بين أزمة الرجولة في ظل التمرّد والقطيعة النسوية حيال الخضوع التقليدي وهذا ماسوف ندرسه في الفصل الموالي حول الثقافة التقليدية وما حوته من ممارسات تسلط وهيمنة على الذكر.

الفصل السادس

تجليات الهيمنة الأنثوية في الموروث الثقافي

تمهيد

تتجلى ظاهرة الهيمنة الأنثوية من خلال مجموعة من العوامل والمسببات المتعلقة بالإطار الثقافي للمجتمع حيث ركزنا على تمثلات الهيمنة الرمزية من خلال ميكانيزمات ساعدت الأنثى على تشكيل هيمنتها، هذه الميكانيزمات والآليات أو الاستراتيجيات هي موروث ثقافي ربما في وقت سابق كان خفيا، ومن خلال تحليلنا سنبيّن كيف كانت الأنثى تمارس سيطرتها الخفية، وكذلك هناك العوامل المرتبطة بالجوانب النفسية والاجتماعية التى تتجلى من خلاله الهيمنة الأنثوية لأفراد هذا المجتمع.

أولا سنحاول شرح الهيمنة الرمزية، وسنعمل على شرح عملية إنتاج الرمز المتعلق بالجنسين، وسنربطها بظاهرة الإنتخاب الثقافي من خلال محاولة الربط بين مراحل الظاهرة، وسيرورة الرمز ابتداء من عملية النشأة مرورا بطريقة تكاثرها، وفي الأخير تداولها وتحولها، وتأثيراتها فـي مسألة التمييز بين الجنسين العاكسة للتمثلات الداخلية المحددة للعلاقة بينهما، المبنية على قوة المعنى[1]، على أساس أنّه لم يعد هدف الاستعمال الرمزي التواصل ونقل الأفكار، بل أصبح هدفه هيمنة جنس على جنس آخر.

[1] Pierre Ansart, les sociologies contemporaines, édition le Seuil, Paris, 3éme édition, Septembre 1990, p167.

1. الهيمنة الرمزية وعلاقتها بالثقافة الشعبية

ينطلق "بورديو" من فكرة كون الهيمنة تتم عن طريق اللسان[1] أو الرمز، مما يعني أنّ الذكر يهيمن على الأنثى بواسطته مـن خلال فرض الطاعة المستندة إلى معتقدات وتمثلات[2]، تكون على شكل ترسيمات تملي سلوكا معينا، متأثرا بفكرة **أوستين** القائلة أنّ وظيفة اللغة ليست مجرد أداة للتعبير أو وسيلة للتفكير، إنّما وظيفتها تتمثل في تأثيرها على العالم وصياغته وصناعته[3]، ويكون التأثير بتحويل شيء من حالة إلى حالة أخرى لغرض ما، وفي حالة الأنثى يكون بتغييرها من كائن طبيعي إلى كائن مصنوع ثقافيا، مما يحيل إلى وجود علاقة بين الرمز والثقافة، وقبل التعرض لها سنحاول التعرف على ماهية الثقافة الشعبية والرمز.

1.1. مفهوم الثقافة الشعبية ودورها في تشكيل الهيمنة الرمزية

تعطي الثقافة للفرد إنسانيته فمن خلالها يتمكن من رسم قواعد التواصل مع الآخر سواء كان داخل حدود انتمائه الجغرافي أو الانتماء الإنساني له، يقول **ادوارد تي هول:** "إن الثقافة تتحكم بالسلوك بطرق متعمقة ومستمرة، والعديد من هذه الطرق هي خارج الإدراك وبالتالي بعيدة عن سيطرة وعي الفرد"[4].

عرف الإنسان منذ القديم تميّزه عن الكائنات الأخرى، لتوفّر قدرة النطق لديـه لأصوات مختلفة، فمنح هوية للأشياء كي يميّز بعضها عن البعض، لعل ذلك يعود لحاجته للإحساس بالاطمئنان تجاه المكان الذي يعيش فيه، والدليل وضع علامة لمكان تواجده مما يفسّر ربّما تسمية كلّ ما يعنيه بالثقافة من طرف بعض المفكرين الذين لجئوا إلى تقسيمها إلى نوعين:

---

[1] بيار بورديو، جان كلود باسرون، إعادة الإنتاج تر: ماهر تريمس، مراجعة سعود المولى، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2007، ص79.

[2] لوران فلوري، ماكس فيبر، تر: محمد علي مقلد، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص87.

[3] عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، ص 31.

[4] ادوارد تي هول، اللغة الصامتة، تر: لميس فؤاد اليحيى، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 2007م، ص33.

الثقافة المادية والثقافة المتكيفة، الأولى تشمل الجانب المادي أي مجموع الأشياء وأدوات العمل والثمرات التي تخلقها، أما الثقافة المتكيفة تشمل الجانب الاجتماعي كالعقائد والأفكار واللغة، والتعليم المنعكس في سلوك الأفراد[1]، وهناك من فضل الجمع بين الجانبين لتمثل كلاً مركبا يشمل المعرفة والعقائد والفن، والأخلاق والقانون، والعرف وكل المقدسات والعادات، المكتسبة من المجتمع[2].

نلاحظ تغير مفهوم الثقافة إذ يتعدّى المفاهيم المعروفة من حسن السلوك والمتاحف والمسارح، أو قمة التقدّم المادي... الخ، ليتمثل في مضامين الوعي والأحاسيس والتمثلات المشتركة بين أعضاء الجماعة الاجتماعية المتوارثة اجتماعيا بالتلقين وليس بالوراثة، بما في ذلك التجسيدات المادية لتلك المضامين والمشاعر والتمثلات من صور الفعل والمصنوعات التي يقوم بها الإنسان، ليصيغ منها المعايير والقيم[3]. يعود التغيّر في المفهوم إلى رغبة الإنسان في إعادة النظر في رأيه حول الثقافات الأخرى المختلفة.

2.1. دلالات الرمز وأبعاده الثقافية

تكون تمثلات الواقع مستقرة في الذهن وقابلة للانتقال عن طريق الرمز الذي يكون بديلا عنها، منذ أصبح الإنسان قادرا على عملية الترميز التي هي عملية إعطاء معان ودلالات معينة للظواهر المادية[4]، مما يعني أنّ هناك علاقة ترابط بين الثقافة والرمز، والدليل أنّ هناك من يرى في الثقافة عناصر رمزية للتقاليد وأنّ الأفراد يفسرون العالم المادي بواسطته[5]، إذا انطلقنا من فكرة أن الرمز ينوب عن موجودات الواقع في ذهن الإنسان، هل يعني ذلك أن وظيفته منحصرة في تمثيل العالم؟ أم أنها تتعداه إلى دور أكثر خطورة؟ قبل معرفة هذا الدور الخطير، سنتحدّث قليلا عن ماهية الرمز وطبيعة علاقته بالثقافة.

---

[1] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط4، 1984، ص31.

[2] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، البناء الاجتماعي: الأنساق والجماعات، مؤسسة شباب الجامعة، د.ط، 2007، ص54.

[3] محمد الجوهري، المدخل الى علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 2007، ص83.

[4] كريم زكي حسام الدين، اللغة والثقافة، دار غريب، القاهرة، ط2، 2001، ص59-60.

[5] هارلمبس هولبورن، سوسيولوجيا الثقافة والهوية، تر: حاتم حميد محسن، دار كيوان، دمشق، ط1، 2010، ص22.

يمكن القول أن نشأة الرمز بدأت كمحاولة من الإنسان للتعبير عما يدركه من حوله عبر رموز معيّنة، حيث إن بعض هذه الرموز كان مستوحى من تقليد أصوات الطبيعة، مثل الرياح أو الماء. في حين أن الجزء الآخر من الرموز تطور بسبب الحاجة للتواصل بين أفراد المجتمع، وذلك بفضل ما يملكه الإنسان من قدرات فطرية مثل القدرة على التفكير وتشكيل الأصوات باستخدام الحبال الصوتية، هذا يوضح أن اختيار الرموز كان عشوائيًا إلى حد كبير، إذ لا توجد علاقة ثابتة أو طبيعية تربط الرمز بالشيء الذي يشير إليه، بل كان مجرد اتفاق جماعي.

3.1. طبيعة العلاقة بين الثقافة والرمز

لكون الثقافة مجموعة من التمثلات الرمزية التي تأتي في القصص –الأساطير– والخيال والسلوك، والإيماءات ... الخ[1]، يعني أن نشأتها ونموها لا يتم بدونه[2] الذي بدوره لا يكون له معنى من دون الثقافة، فرموز اللغة الصينية تظهر لنا مجرد أشكال لا معنى لها، كوننا لم ننشأ على تعلم المعاني المرافقة لها، عكس الرموز التي نكتب بها بحثنا هذا، كونها تنقل معان للقارئ الذي نشأ عليها والموجودة في ثقافته.

إنّ العلاقة بين الثقافة والرمز علاقة تكامل كونهما يترابطان في علاقة تبعية فمن جهة الرمز ينقل الثقافة، ومن جهة أخرى هو الآخر مطبوع بها[3] أثناء تفاعل الأفراد بينهم، بمعنى أنّ الرمزية تختلط مع مسار الثقافة[4]

4.1. الرمز كجزء من العملية التفاعلية الرمزية

أثار الرمز اهتمام العلوم الإنسانية، نذكر منها علم الاجتماع الذي يعنى بالرمز كونه وسيلة للتفاعل بين الأفراد، ومن بين النظريات البارزة في ذلك نجد نظرية التفاعلية الرمزية التي ترى أنّ التفاعل بين الأفراد هو

[1] Michel Théron, comprendre la culture générale, édition Marketing éditeur des préparations de grandes écoles médecine, Paris, 1991, p53.

[2] كريم زكي حسام الدين، اللغة والثقافة، ص 66.

[3] دنسكوتش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير السعيداني، بيروت، ط1، 2007، ص75– 76.

[4] جيلبير دوران، الخيال الرمزي، تر: علي المصري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط2، 1994، ص 126.

سبب ظهور الرمز[1]، لذلك راحت تـدرس تلـك التفاعلات اليومية، بتركيزها على وحدة الفعل الصغرى، وبالتحديد على قضية تشكل المعاني، ويعطينا أهم روادها هربرت بلومر " Herbert–Plummer أسس النظرية والمتمثلة في "أن البشر يتصرفون تجاه الأشياء على أساس ما تعنيه لهم، تلك المعاني هي نتاج التفاعل الاجتماعي في المجتمع، تُحوّر وتعدّل تلك المعاني ويتم تداولها عبر عملية التأويل، ليستخدمها خلال تعامله مع الإشارات التي يواجهها"[2].

هذا يعني أنّ المعاني التي تغلفها الكلمـات خلقها البشر أثناء تفاعلهم، المعدّلة أثناء تداولها، أو تتغيّر تماما، حسب المحيط الثقافي الذي تنتشر فيه، فكلمة أبيض مثلا تحمل معنى الفرح عند الغرب، لكن نجدها في الصين بدلالة أخرى وهي الحزن، كما يحدث أن تحوي معنيي الحزن والفرح، كما هو ماثل في ثقافة المسلمين (لباس العروس/ كفن الميّت).

وفي الأخير نقول عن نظرية التفاعلية الرمزية أنّها كما يقول أحد المفكرين لم تهتمّ بالجوانب المهمة التي تقوم عليها البنية الاجتماعية كالقوة والصراع الذي يحدث بين الأفراد بالخصوص بين الجنسين، وما سيتداركه العالم الاجتماعي بيير بورديو في علم سوسيولوجيا الثقافة باعتبارها "تحليلا لطبيعة العلاقات والترابطات الموجودة بين أنماط الإنتاج الفكري وسماته العامة من جهة ومعطيات البيئة الاجتماعية بكل أبعادها من جهة أخـرى ... بالتـالي دراسة وظائف هذا الإنتاج وميكانيزماته وتفاعلاته في المجتمعات على مستوياتها المختلفة"[3]، أي تحليل الإنتاج الفكري كمعطى اجتماعي وتأثير الطرفين على بعضهما البعض.

سنعمل على شرح عملية إنتاج الرمز المتعلق بالجنسين، وسنربطها بظاهرة الإنتخاب الثقافي من خلال محاولة الربط بين مراحل الظاهرة، وسيرورة الرمز ابتداء من عملية النشأة مرورا بطريقة تكاثرها، وفي الأخير

[1] دينكن ميشيل، معجم علم الاجتماع، تر: إحسان محمد الحسن، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1989، ص171.

[2] إيان كريب، النظرية الاجتماعية، تر: محمد حسين غلوم، مراجعة محمد عصفور، المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت، د.ط، 1999، ص119–120–133.

[3] عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة، مركز دراسات الوحدة العربية، 2016، ص 87.

تداولها وتحولها، وتأثيراتها على مسألة التمييز بين الجنسين العاكسة للتمثلات الداخلية المحددة للعلاقة بينهما، المبنية على قوة المعنى[1] على أساس أنّه لم يعد هدف الاستعمال الرمزي التواصل ونقل الأفكار، بل أصبح هدفه هيمنة جنس على جنس آخر.

2. السحر كأداة للهيمنة الأنثوية

1.2. السحر: الميكانيزم الأقوى في يد الأنثى

السحر حسب مجمع اللغة العربية هو "كل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع"، أما في لسان العرب، فإن "أصل السحر صرف الشيء عن حقيقته"، ويفرد عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته الشهيرة فصلاً للحديث عن علوم السحر والطلاسم التي يعرفها بأنها "علوم بكيفية استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر، إما بغير معين أو بمعين من الأمور السماوية، والأول هو السحر والثاني هو الطلسمات". وحسب المعجم الفرنسي لعلم الاجتماع "السحر: هو القدرة على إيذاء الآخرين من خلال عمل روحاني".

ومن كل هذه التجديدات الاصطلاحية، نستطيع القول أن السحر هو ممارسة تستخدم عناصر خفية أو مادية بهدف التأثير في الواقع، من أجل بلوغ غرض محدد وتحدد القوى المؤثرة وكذا الغاية أو الغايات المرجوة من الممارسة السحرية، أما الأنثروبولوجيا فإنها تربط السحر بالأساطير وبالماضي السحيق وعهود الآلهة والأبطال، وتربطه كذلك بجذور الإنسان الأولى وبدايات الثقافة القبلي، ولذلك انصبت اهتمامات علماء الأنثروبولوجيا على دراسة نشوء وتطور المعتقدات السحرية في المجتمعات البدائية واهتم بعض الأوروبيون منهم بمجتمعات الشمال الإفريقي، إما خدمة للحملات الاستعمارية أو بدافع القناعة العلمية.

وسنرى لاحقا من خلال المقابلات الموالية، أن أغلب وصفات السحر تقوم على طقوس، هي في الحقيقة تقليد للغايات المراد بلوغها، لكن، إذا كانت "التمثلات السحرية، بتعبير عالم الاجتماع والأنثروبولوجيا الفرنسي

[1] Pierre Ansar, les sociologies contemporaines, édition le Seuil, Paris, 3éme édition, Septembre 1990, p167.

مارسيل موس تشكل مجالات لتحقيق الرغبات، ظهرت تحت ضغط حاجة مجموعة من الناس اليها"، فكيف تستطيع طقوس ممسرحة، يكررها مئات آلاف من الأشخاص، في شروط معينة، أن "تحقق" الغايات المرجوة منها؟ هنا تتعدد المقاربات وتتشعب إلى نقاشات بلا نهاية، لكن يمكن اختصار الجواب هنا في تفسير ميرسيا إلياد: "إن التكرار البسيط، بمساعدة الخيال النشيط، لبعض الرموز الدينية... يترجم بتحسن نفساني، قد يفضي في نهاية المطاف إلى العلاج".

بيد ان شروط الممارسة السحرية حسب ليفي ستراوس تنبني على الاعتقاد، الطقس، الوصفة، فكيف يكون ذلك؟

أولا بالاعتقاد في سند أيديولوجي للمجموعة التي ينتمي إليها الفاعل، بمعنى الاعتقاد في نجاعة وصدق الممارسة السحرية كل من الساحر والزبون.

اعتقاد الفاعل في نجاعة الطقس الممارس، أي الاعتقاد الصادق في أن حركة ما، أو كلمة ما، أو مادة معدنية، أو نباتية أو حيوانية، إذا استعملت بطريقة ما، تنتج تأثيرا سحريا معينا. بمعنى أن الاعتقاد هو ما يعرف في المجتمع المحلي بـ "النية" وبالإضافة إلى شرط توافر النية، هناك شرط السرية، فإذا كانت المعتقدات السحرية جماعية، فإن ممارستها تتم بشكل فردي، مادام السحر في حقيقته شخصنة لرغبة فردية يبتغي الممارس حصولها من خلال الطقس السحري، وممارسته في الخفاء هي شرط أساسي لصحته، وحسب ملاحظات الباحث الأنثروبولوجي مارسيل موس فإنه يقول: "لكي يكون للسحر أثر، تجب ممارسته في سرية". وله أوقات معينة وأماكن خاصة كالمقبرة، الأماكن المهجورة، ...

ثانيا الطقوس وهي مجموعة من الأفعال المتكررة التي تكون غالبا احتفالية ومن النوع الشفوي والوضعي بشحنة إيمانية رمزية قوية، متأسسة على الاعتقاد في القوة المؤثرة للأشخاص أو للقوى المقدسة التي يحاول الشخص الذي يقوم بالطقس الاتصال بها، لكي يحصل على تأثير محدد.

وأخيرا الوصفة وتعني تفصيل المواد والظروف والطقوس التي تدخل في تحضير العملية السحرية.

ومن أجل إنتاج عدد غير محدد من الوصفات، والطقوس السحرية، التي تصلح لتحقيق كل ما يخطر ولا يخطر على البال من الأغراض، يتم التأليف بين هذه العناصر والشروط وفق قواعد معقدة وغامضة.

2.2. الطقوس السحرية كآلية خفية لممارسة الهيمنة

الحاجة وردية حدثتنا عن بعض الممارسات السحرية التى تقوم بها الأنثى أيام عُرسها قصد فرض هيمنتها على الذكر، تقول كثيرا ما تختار المرأة أيام زفافها موعدا لتنفيذ أعمال سحرية اعتقادا منها أنها تحمي نفسها قبل دخولها بيت الزوجية، البيت الذي يتحدد فيه مصيرها وحياتها الجديدة، وبذلك تعتبر أيام العرس وقتا مناسبا لتحقيق آمالها وأهدافها الرامية إلى امتلاك قلب الذكر ومن ثمة السيطرة عليه، أو ترويضه وإخضاعه لرغباتها، خاصة رغبتها في التفوق عليه، وعلى أهله، ولأنها مقبلة على حياة جديدة لا تعرف عنها شيئا، لذلك تحاول أن تتسلح بممارسات سحرية لحماية نفسها من أي سيطرة سواء من زوجها أو سيطرة أهل زوجها، الحمو، الحماة، أخوات الزوج، كما أن ما يدفع المرأة إلى مثل هذه الممارسات هو سعيها لإبراز حضورها في المنزل وإثبات مكانتها.

المقابلة رقم 40:

تحدثنا المخبرة الحاجّة وردية 66 سنة عن بعض الممارسات التي تقوم بها العروس أيام عرسها.

اليوم الأول عندما يُحضر أهل العريس لأهل العروس الكبش "شاة الحلال" تذهب العروس خفية مع صديقتها المقربة وتمتطي ظهر الكبش وتقوم بقيادته قليلا مع ترديد بعض الكلمات حيث تقول الحاجة وردية أنها بهذه الممارسة بعد الزواج تستطيع قيادة الزوج والسيطرة عليه.

الممارسة الثانية بعد أن يُطهى رأس الكبش، ويقسم إلى أجزاء ثم يوضع في صينية فوق رأس العروس وهي ترفع يدها وتأخذ جزء من هذا اللحم دون اللجوء للاختيار، بمعنى أنها تأخذ قطعة اللحم بالصدفة، وإن أخذت اللسان عندما تبدأ في الأكل تقول في سرها "ما يعجبك غير كلامي وما طبق غير واش يقول لساني"، وإن أخذت العين تقول عند أكلها "كليت العين وأنت عينك تشوف غير فيا وتبقي عبد ليا"، أما إذا أخذت الأنف

يقال لها لا تخافي فهذا العريس سهل وباستطاعتك قيادته من أنفه، وإن أخذت الأذن يقال لها بأنك سوف تقودينه من أذنه.

أما يوم "العقود"، تقول محدثتنا الحاجة وردية أن العروس تلبس حذاء العريس عندما يخلعه عند الباب لتلبسه قليلا وتقول بعض الكلمات في إشارة إلى أن هذا الزوج سيكون بعد الزواج كالحذاء تستطيع أن تسيره كما تشاء.

هذه بعض الممارسات السحرية التى جادت بها علينا الحاجة وردية بعد محاولات عديدة.

وبالرغم من أنها عادات وتقاليد إلا أنها مازالت متوارثة والكثير من الأمهات والجدات يلزمن بناتهن بممارستها لاعتقادهن أن لها مفعولا وتؤتي أكلها.

المقابلة رقم 41:

امرأة في الخمسينات من العمر، أم لثلاث بنات، وجدة لحفيد واحد يبلغ من العمر 5 سنوات، ابنتها الكبرى لا يتعدى سنها 22 سنة، الزوج متوفى، تحولت من "ربة بيت" إلى "شوافة" أو كما تعرف في الوسط المحلي "تقازة"، تقول "معطيتلي" منذ صغري، كنت أتنبأ ببعض الأحداث وأرى بعض الأشياء وأتوقع بعض الأمور عن المستقبل، أما في الوقت الحالي أصبحت أتنبأ وأعالج أيضا، فهناك إقبال كبير على خدماتي، وعنواني سهل لا يستعصي على أحد أبدا، وشهرتي تسبقني إلى كل مكان. قراءة الحظ والمستقبل من خلال القمح، إذ أقرأ على القمح ومن خلاله أتتبع خط ومسار حياة أي زبون. من خلال حبات الشعير والفحم والملح "أو الربح" "التاڤازه"* هي كمية من القمح الصافي ومعها حبة شعير وقطعة فحم وحبة ملح خشن تظهر وسط هذه المكونات، تقول أضع كل هذه المكونات في يد الزبونة وأطلب منها أن تسبعها**على جسدها ثم ترميها في صينية من نحاس بيدها اليمنى، ومن خلال هذه الرمية أعرف خبايا ومستقبل الزبونة، انطلاقا من الشعير، الفحم والملح، وهذا الأخير الملح يعني الربح والأيام السعيدة والمستقبل الزاهر والجاه والسلطة، والفحم يسمى

* "التاڤازه" حسب المفهوم الشعبي: هي مجموعة من المكونات يغلب عليها القمح بحيث يكون مقدار القمح كمية بقدر كف اليد وفيه حبة شعير، قطعة فحم صغيرة، وحبة ملح كبيرة الحجم من النوع لحرش تظهر وسط هذه المكونات سابقة الذكر.

**أي تديرها أو تمررها بشكل دائري على جسدها سبع مرات.

عندها "لغيار" بمعنى تغير الحال من حال إلى حال، كما يعني أيضا التعب والمشقة والهموم، كما يعني أيضا المشاكل والضغوطات وكل ماهو سيء، أما حبة الشعير فهي تعني الزبونة، هنا تكون الزبونة محل موضع حبة الشعير فإن كانت مثلا قريبة من الملح الربح فهي ستكون في فرح وسعادة وإن كانت حبة الشعير قريبة من الفحم فهي تعيش النكد وهناك أعداء وما إلى ذلك من قراءات وخبايا لا تعرفها إلا التقازة، وهناك طرق متعددة لكشف المستور حسب قولها، ثم بعد قراءة المستقبل أقدم لهن الحلول ببعض الوصفات، وبما أن الزواج هو أهم شيء في حياة المرأة، فغالبا ما يكون هذا هو الغرض من اللجوء إلي، كذلك عندما تكون المرأة تعاني من تسلط زوجها وسيطرته عليها أقدم لها الحلول، وتضيف زبوناتي مختلفات، فمنهن ربات بيوت، موظفات، معلمات، غنيات، فقيرات، ليست هناك شريحة معينة لنوعية الزبائن التي ترد علي، لأن هناك مشاكل ومعاناة مشتركة بين أغلب النساء. ومن الأمثلة التى قدمتها لنا "صابونة الميت" مع بعض الكلمات تجعل الرجل يكف عن ضرب زوجته أو أخته. تقول هناك الكثير من الوصفات التى أعالج بها، وفي حالة ما إذا لم تنجح الوصفة فإن الزبونة لم تقم بتنفيذ كل الطقوس التي وصفتها لها، فأصف لها طقوسا ووصفات أخرى تداركا لهذه المشكلة...

المقابلة رقم 42:

مقابلة المخبر الثالث السيد م.ن. عطار وسط المدينة، يبلغ من العمر 62 سنة، يعمل في محل للعقاقير منذ 45 سنة، يجيد القراءة والكتابة كما يجيد التحدث باللغة الفرنسية جيدا ونستطيع أن نقول أنه مفرنس، ولاحظنا أنه على معرفة جيدة، ودراية واسعة بكل ما يوجد في دكانه من مواد نباتية: أعشاب، جذور ولحاف بعض الاشجار، أزهار بعض النباتات، فاسوخ مادة صمغية نباتية ... إلخ، زيوت: زيت الليمون، زيت الحبة السوداء، زيت القرنفل ... إلخ، ومواد معدنية: بخور، شب، صفائح فضة، رصاص، حديد، نحاس ... إلخ. كما لاحظنا أنه يبيع مواد حيوانية: حشرات، جلود، قرون وأطراف بعض الحيوانات ... إلخ.

على هامش هذا البحث، فكرت في إجراء حوار مع هذا العطار لتدعيم موضوعنا المطروح للبحث، وذلك لأنني لمست فيه المعرفة والدراية بكل مادة من المواد سابقة الذكر، التى يبيعها ويعرف تماما لما تصلح، وطريقة استخدامها كما أن له دراية بكل الممارسات السحرية، والملاحظ أن هذا العطار كثير الكلام، وكثير السؤال، إذ أنه يأخذ المعلومة من الزبائن ويقدم هو المعلومات التى يعرفها سواء كانت قصد العلاج من مرض عضوي أو متعلقة بالسحر والشعوذة دون حرج، ولذلك قمنا بإجراء مقابلة معه دامت ساعة من الزمن.

استفتحت الباحثة حديثها معه بهذه الأبيات:

عَجوزٌ تُرجّى أنْ تَكونَ فَتيَّةً -- وقَد نَحَلَ الجَنبانُ واحدَودَبَ الظَّهرُ

تَدُسُّ إلى العَطّارِ تَبغي شَبابَها -- وهَل يُصلِحُ العَطّارُ ما أفسَدَ الدَّهرُ؟

قال المخبر كان العطار قديما يصنع الدواء ويبيع العطر والأعشاب والبذور والحبوب ولوازم الزينة من كحل ومساحيق وحناء وعطور وما إلى ذلك، أي أنه خبير تجميل يستخدم المواد الطبيعية، كان المثل في السابق يقول "في زهر ليتيمة غاب العطار من المدينة"، قال : كان هذا المثل يضرب لمن لا حظ لها لأن وجود العطار كان ضروريا جدا خاصة بالنسبة للنساء لأنهن يقصدنه لشراء أدوات التجميل ليتزين، أما اليوم فقد تغيرت الوجهة فقد أصبحت النسوة يتوجهن إلى صالونات الحلاقة، وذهابهن إلى العطار في الوقت الحالي أصبح لأغراض أخرى، يقول: "لأن العطارين على مستوى عال من المعرفة العلمية والخبرة العملية وقادرون على إنتاج أدوية من الأعشاب ومستخلصات الزيوت وبعض المواد الطبيعية، لكن بالمقابل هناك دخلاء ومشعوذون يغامرون بوصفات خطيرة"، أما عني فانا أبيع فقط كما أقدم لهم طريقة العلاج وأنصحهم أيضا، لذلك رغم تغير أسلوب الحياة لا تزال معظم النساء تثق في ما أبيعه وفي وصفاتي، فأغلبية زبائني من النساء، أشتغل مع النساء بشكل يومي الماكثة في البيت، العاملة، المتزوجة، العزباء، المثقفة، الأمية، وكذلك لدي زبائن من الرجال. ويقول: أبيع شوك القنفذ، أنف الهدهد، ريش الهدهد، بيض النعام، فسخ الفاسوخ، البلدون، جلود الأفاعي، الحرباء، رأس الدجاجة السوداء، سحالي، جلود التمساح، مخ الضبع، مخ القنفد، قلب الثعلب، قلب

الذئب ... وهي مواد تكلفني ثمنا باهظا، وبالرغم من أنني أبيعها بثمن مرتفع، لكن تُقدم النساء على شراءها قصد العلاج بها، قد يكون العلاج من أمراض عضوية، وقد يكون العلاج من مس أو من سحر، وقد تستعمله بعض النسوة للسحر والانتقام من الآخرين.

ومن خلال كلامه لاحظنا أنه ومع التطور الهائل للعلوم والتكنولوجيا وفي الوقت الذي يعيش فيه المجتمع المحلي منذ عقود قليلة في بؤرة تحولات عميقة تمس بنياته وأنماط التفكير والسلوك لدى الأفراد والجماعات، نجد أن الأنثى مازالت تتعايش مع بقايا المعتقدات السحرية، وذلك لأنها ترى أن السحر كما الخرافة في المجتمع، إنما يقوم بتهدئة المخاوف الناشئة عن الاضطرابات التي تسود زمن التحولات الراهن، وبعبارة أخرى إن السحر هو نتاج حاجات طبيعية مشتركة، كامنة في أعماق النفس البشرية المعقدة. وكنموذج من الممارسات السحرية التي قدمها لنا المخبر الثالث نحاول تحليل الممارسة التالية التي تستعملها الأنثى في السيطرة على الذكر أب، أخ، زوج، ابن.

هناك اعتقاد سائد بأن تحريك الكسكسى بيد الميت، يُمكّن الأنثى من تطويع الذكر وإخضاعه للسيطرة، وجعله مثل الميت لا يرفع صوتا أو يحرك يدا، بل يتحول إلى عبد رَهْنَ إشارة الزوجة، حيث أن هذه الممارسة السحرية تتطلب طقس معين ووصفة خاصة.

الطقس هنا هو تمرير يد الميت على الكسكسي وترديد بعض العبارات: "لا تهز لا تحط أنت معاي كيفك كيف حال هذا الميت"، أما الوصفة فهي تتطلب يد ميت، وطبق الكسكسي.

وبمجرد أن يتناول الذكر من الكسكسي لمرات عديدة يتحول إلى ذكر خاضع، فتتمكن الأنثى من توجيهه حسب رغبتها، والشيء نفسه إذا اغتسل الذكر بالصابونة التي غُسِّل بها الميت يجعله لا يرفع يده في وجه الزوجة أبدا. ومنه نلاحظ أن هذه الممارسة السحرية تتضمن طقوسا ووصفات يحدث تداخل تأثيراتها السحرية –حسب المعتقد– في تحقيق الغرض المطلوب، والسؤال المطروح هو كيف تمارس الوصفات والطقوس تأثيرها السحري على الواقع الملموس؟

إن الاعتقاد في وجود الجن، وفي قدرته الخارقة على التأثير في عالم العناصر المحسوسة، يعتبر أساس المعتقدات السحرية، ولذلك فإن الطقس السحري "يستدعي الجن" بتعبير **دوتيه**، وبمعنى أكثر وضوحا، تستهدف كل الممارسات السحرية التأثير في الواقع، عبر طقوسها وعناصر تأثيرها الأخرى، من خلال ممارسة تأثيرها على "الجني الذي يوكل إليه توزيع الأدوار القائم في عالم الخفاء على إمكانية التدخل لتحقيق رغبة الممارس (الساحر)، وتتأطر تلك الرغبة دائما داخل ثنائية إبطال مفعول الشر وجلب الخير".

الزوجة التي تعاني من تسلط زوجها تجعله يغسل يديه بـ "صابونة الميت" كي لا يعود إلى ضربها بعد ذلك، فالصابونة في اعتقادها تحدث "موتا معنويا" لعنف اليدين.

إن الأمر لا يعدو أن يكون، برأي الباحث الفرنسي، سلسلة من المصادفات المتفرقة انتهت إلى إقامة علاقة غامضة بين السبب والنتيجة.

3.2. السحر والدور الاجتماعي للأنثى

في المجتمعات القديمة، كان السحر أحيانًا وسيلة تستخدمها الأنثى للسيطرة على المجالات التي حُرِمت منها. على سبيل المثال، في المجتمعات التي كانت تسيطر فيها القوى الذكورية على الحياة العامة، كان يُعتبر السحر وسيلة للأنثى للحفاظ على قوة غير رسمية في الخفاء، من خلال الطقوس والرموز السحرية التي تُمكنها من التأثير على مجتمعها، مثل الطقوس المرتبطة بالخصوبة والزواج.

في العديد من الثقافات الشعبية، يُصور السحر كوسيلة لتأكيد الهيمنة الأنثوية. الشخصيات النسائية الساحرات في الأساطير، الأدب، والسينما غالبًا ما يتم تصويرهن على أنهن قادرات على تحدي القوى الذكورية أو التحكم فيها من خلال قدراتهن السحرية. هذه التمثلات الثقافية تؤكد على فكرة الهيمنة الأنثوية من خلال رموز السحر والقوة. والسحر في العديد من المجتمعات يمكن اعتباره وسيلة للهيمنة الأنثوية، حيث يُستخدم لتعزيز قوة الأنثى في مواجهة النظام الأبوي والقيود الاجتماعية، سواء كان ذلك من خلال القوة الخفية، أو كوسيلة للمقاومة، أو

كجزء من الثقافة الشعبية، فإن السحر يمنح الأنثى القدرة على التأثير في العالم من حولها بطريقة تختلف عن السلطة الرسمية التقليدية.

4.2. السحر كوسيلة للمقاومة وتعزيز السلطة الخفية

السحر لا يُمثل فقط وسيلة للهيمنة، بل هو أيضًا طريقة لمقاومة السلطة، ففي السياقات التي تعاني فيها الأنثى من التهميش الاجتماعي، كان السحر وسيلة لمقاومة النظام القائم. على سبيل المثال، في فترات الاضطهاد الديني والسياسي، كانت الأنثى المتهمة بممارسة السحر تُعتبر متمردة ضد النظام الأبوي القمعي، وهذا التمرد كان يتم عبر تحدي الهياكل الاجتماعية التقليدية التي تضع الأنثى في أدوار تابعة.

تحليل السحر كهيمنة أنثوية أنثربولوجيا يتطلب فحصاً عميقاً لكيفية ارتباط السحر بأدوار الجنسين والهيمنة في المجتمعات. فالسحر، عبر التاريخ، كان وسيلة تمكين للأنثى، خاصة في المجتمعات التي تعاني فيها الأنثى من قمع اجتماعي أو اقتصادي. وفي العديد من الثقافات التقليدية، كان يُنظر إلى الأنثى التي تمارس السحر على أنها تمتلك نوعًا من القوة الخفية أو الخارقة، وهو ما منحها نفوذًا وسلطة في مجتمعها. هذه القوة كانت غالبًا طريقة لمواجهة الهيمنة الذكورية السائدة. من خلال السحر، كانت الأنثى قادرة على الوصول إلى آليات تمكنها من التحكم في مصائر الآخرين أو التأثير عليهم.

3. الهيمنة الأنثوية في الثقافة الشعبية

1.3. الحكاية الشعبية كمرآة للهيمنة الأنثوية

1.1.3. نموذج الحكاية الشعبية: "مغرف الشتاء"

يا سادة يا مادة يدلنا ويدلكم لطريق الخير والشهادة، كلامنا مرتب أفضل ترتيب وأنا وأنتم نصلوا على نبينا الحبيب لأن الفايدة والغنيمة في الصلاة عليه ديما، قالك كانت بكري مرا عندها بنتها جميلة ومزيانة خطبها واحد من الدوار لي مجاورهم اسمو الجمعي، وكان سيد عندو قيمتو ومكانتو في دوارهم يتكلم هو ولا الطكوك في الجبل، فرحت المرا وزوجاتو ببنتها لي كان اسمها خميسة. راحت خميسة سكنت في الدوار مع راجلها وأهلو ولّي كانوا يغيروا من زينها بهاها وكانوا يحرضوا عليها الجمعي لي كان ساعات يسمعلهم ويهينها قدامهم، وكان هذا يأثر فيها، في يوم من الأيام زارتها أمها ولقاتها حزينة ودموعها على خدودها ولما سألتها قالتلها راني ما عندي حتى قيمة في هذا الدوار وراجلي راه يضربني ويعايرني وهذا الكل باش يرضي أمو وخواتاتو، قالتلها أمها ولا يهمك عندي دواه، وخرجت من عندها وراحت قصدت السوق وشرات ما يلزم ورجعت لبنتها قالتلها هاهي ليك السرة هاذي وش كاين فيها استحفظي بيه وبينتلها الطريقة كيفاه تستعملها، حتى جاء النهار لي نزل فيه الثلج بكميات كبيرة، طيبت خميسة البركوكش وهزت شوية من هاذيك السرة لي جابتهالها أمها وخلطتها معاه، وحطتلو كلا منو حتى شبع ومن بعد قالتلو أنا البركوكش هذا جاني ناقص طياب نعطيك منو شوية اديه لأمي باش هي تقولي إذا طاب ولا مازال، قاللها معليش ما يكون غير خاطرك، وعطاتو البركوكش في ملعقة الأكل، وهزو وراح يمشي والثلج يصب حتى وصل للواد لي كان حامل، الواد هذا بينو وبين الدوار لي تسكن فيه أم زوجتو وقطع الواد من غير ما يفكر في الخطر تاع الحملة، ووصل المغرف هاذيك تاع البركوكش لأم زوجتو لي تظاهرت إنها ذاقتها وقالتلو ارجع قولها مازال ناقص طياب زيدي طيبيه وهكذا رجع لزوجتو لي عاودت الكرة مرة ثانية والأم ردت بنفس الطريقة، حتى وصل للمرة الثالثة وين قالتلو أمها أرجع قولها يكفيه راكي كون تزيدي تقتليه.

من خلال هذه القصة الشعبية، يمكن النظر إلى الموضوعات المتنوعة التي تتناول العلاقات الاجتماعية، هيمنة أدوار الجنسين، والعادات الثقافية في المجتمعات التقليدية.

القصة تكشف عن العلاقة بين الهيمنة الذكورية والقيم المجتمعية التي تعزز من دور الذكر في السيطرة على الأنثى. الزواج في القصة مبني على السلطة الذكورية، حيث أن الزوج (الجمعي) يتأثر بآراء أهله ويسيء معاملة زوجته استجابة لضغوطهم. هذا يعكس البناء الاجتماعي التقليدي الذي يضع الذكر في مركز السلطة بينما تعاني الأنثى من الاضطهاد والتمييز.

كما تُظهر القصة السحر كأداة مقاومة تستخدمها الأنثى لاستعادة السيطرة أو التأثير على الأوضاع التي تُفرض عليها، فالسحر الذي تعطيه الأم لابنتها يعكس لجوء الأنثى في المجتمعات التقليدية إلى وسائل غير رسمية، مثل الطقوس السحرية، لمواجهة الهيمنة الذكورية واستعادة مكانتها، هذه الوسائل تُعتبر أحد الأبعاد الرمزية للمقاومة، حيث يُستخدم السحر لكسر القيود الاجتماعية المفروضة على الأنثى.

دور الأم في القصة يُظهرها كرمز للمعرفة التقليدية المتعلقة بالسحر ووسائل المقاومة، مما يعكس أن المجتمعات التقليدية غالبًا ما تمنح الأمهات الحكمة والمعرفة المتعلقة بالعادات والطقوس، مما يُعزز من مفهوم الموروث الثقافي الذي يُنقل من جيل إلى جيل.

وجود الثلج والواد في القصة يعبر عن بعد رمزي للطبيعة، حيث يُمثل عبور الواد خطورة لا يُدركها الزوج (الجمعي)، مما يعكس كيف أن بعض التفاصيل الطبيعية تُستخدم كرموز تعبيرية في السرد الشعبي، لترسيخ المخاطر والحكمة الاجتماعية.

القصة تسلط الضوء على عملية التنشئة الاجتماعية، حيث يتم تربية الذكر والأنثى على أدوار تقليدية تفرض توقعات محددة: الذكر هو المهيمن، والأنثى هي الخاضعة، حتى عندما تتحداها الأنثى عبر السحر، فإن التحدي يبقى خفيًا وغير علني، مما يعكس مدى صعوبة الخروج عن المعايير الاجتماعية السائدة.

2.1.3. نموذج الحكاية الشعبية: "بقرة اليتامى"

في المجتمعات التقليدية، تمتاز الهياكل الأسرية بنظام أبوي قوي يضع السلطة في يد الأب أو رأس العائلة.

في هذه القصة، بعد وفاة الأم، تبرز "زوجة الأب" كشخصية رئيسية تسيطر على العائلة، وتلعب دورًا سلطويًا في حياة الأطفال الأيتام. هذا التغيير في السلطة يعكس البنية الاجتماعية التي تمنح الزوجة الجديدة سلطة في تدبير الأمور اليومية والهيمنة على الموارد العائلية، مثل "البقرة" التي ترمز إلى الثروة والرزق.

القصة تعكس تنشئة اجتماعية تفرض مكانة محددة لأفراد الأسرة بناءً على العمر، القرابة، والجنس. فزوجة الأب تجسد شخصية مستبدة تستغل ضعف الأيتام وصغر سنهم، مما يعكس التراتبية الأسرية التي تعطي الكبار سلطة قمع الصغار، خاصة الأيتام الذين يصبحون بدون حماية أو قوة في ظل غياب الأب أو الأم البيولوجيين.

البقرة في القصة تمثل مصدر الرزق والبركة، وهي رمز للأمومة والرعاية الطبيعية. استغلال زوجة الأب لهذه البقرة يعكس استيلاءها على الرمز الأساسي للرعاية والحنان في الأسرة، مما يعمق إحساس الأيتام بالظلم والفقدان.

رغم أن هذه القصة الشعبية هي من التراث التقليدي القديم بمعنى حقبة الهيمنة الذكورية، إلا أنها تقدم نموذجًا للهيمنة الأنثوية من خلال شخصية زوجة الأب. الأنثروبولوجيا تدرس هذا التحول في السلطة داخل الأسرة بوصفه تعبيرًا عن كيفية تمكين بعض النساء في ظل النظام الأبوي.

3.1.3. نموذج الحكاية الشعبية: "ذياب الهلايلي"

نحاول أن ندرج هذه الحكاية الشعبية الرمزية التي تبين كيف كانت العلاقة بين الجنسين، حيث أننا سنتطرق هنا للعلاقة بين الزوجة/الزوج والعلاقة بين الأم/الابن والعلاقة بين الأخت/الأخ. وهي حكاية شعبية بطلها يدعى "ذياب الهلايلي".

يا سادة ويا سامعين، قالك العمية تخيط الكتان والمكسورة تنقز الحيطان والطرشه تجيب لخبر كيما كان، في إحدى القبائل العربية –قبيلة بني هلال– كانت هناك امرأة تعيش مع زوجها وكان قد تزوجها من خارج قبيلته، أنجب منها غلاما ذكيا فطنا سماه "ذياب"، وكانت هذه الزوجة قليلة الذكاء والفطنة وكان زوجها إذا أراد مضايقتها، ذمّ أهلها وعاير ابنهما ذياب بأخواله بمقولة اتخذها شعارا له "يا شين المخول"، بمعنى يا سيء الأخوال. وذات مرة تذمرت الزوجة تذمرا شديدا، وقالت له لا أرى فيك ولا في أهلك وقبيلتك كلها ما يميزك عن أهلي، وإني أراهنك إن قبلت الرهان أن تطلب ما شئت وتمتحن به ذكاء أهلي ونبوغهم وعلو شأنهم وحكمتهم أيضا ... وسوف ترى أي القبيلتين أحق بالتقدير.

قال الزوج: أهذا طلبك؟، لك ذلك.

روحي اسئليهم على الحرة في الطيور والحرة في السجور (جمع الشجر) والحرة في لحجار (جمع الحجر).

قالت الزوجة: هذا سؤال لا يصعب على أهلي فهم ناس الحكمة والأدب ...

واتفقت مع زوجها على الذهاب صباح غد إلى أهلها والعودة مساء.

وفي صباح الغد عندما كانت الزوجة متجهة صوب بيت أهلها وجدت ابنها ينتظرها عند المرعى فطلب منها أن تمر به قبل العودة إلى البيت مساء، وتطلعه على إجابات أخواله قبل أن يطلِّع عليها والده، فوافقت على ذلك.

وصلت الزوجة فرحب بها الأهل واستقبلوها فرحين، وعندما وضعوا الطعام قالت لن آكل حتى تجيبوني عن سؤالي، طمأنوها قائلين: لا تقلقي حاجتك مقضية وسؤالك جوابه بسيط. اطمئني ولن تذهبي إلا ومعك إجابات تبهر هذا المتغطرس.

الحرة في الطيور النسر الكبير، والحرة في السجور شجرة الصفصاف لطولها الفارع، والحرة في الحجار هي تلك الحجرة الكبيرة جدا.

فرحت الزوجة بهذه الإجابة وهمّت راجعة إلى زوجها الذي يسخر من أهلها وتذكرت بأن ذياب طلب منها أن تمر به عند عودتها.

مساء الخير بني،

رد عليها التحية ثم قال: ماذا كانت إجابات أخوالي؟

قالت الأم: أخوالك أهل حكمة، وقدمت له الإجابة.

قال لها: إياك أن تقولي هذه الإجابة لأبي وإلا فسأكون شين المخول فعلا!!!

أوصاها قائلا: لو سألك أبي عني فقولي له أنك لم تريني منذ ليلة البارحة، فوعدته بذلك ورجعت إلى البيت أين ينتظرها زوجها.

قال: هات أسمع أخوال أولادي كيف كانت إجابتهم.

قالت: الحرة في الطيور النحلة تولد وتجيب لعسل، والحرة في السجور النخلة تجيب التمر، والحرة في لحجار الصوان يشعل النار.

أدرك تماما أن ابنه هو الذي أعطاها الإجابة، فسألها: هل التقيت في طريقك بذياب؟

قالت: لا أبدا لم أر وليدي منذ ليلة البارحة.

خرج خارج المنزل وبقي برهة من الزمن ثم نادى يا قوم يا قوم ذياب غاروا عليه ومات.

خرجت الأم تبكي وتصرخ هذا وين كنت أنا ووليدي.

قال الأب: تفرقوا يا قوم، وكان ما قام به الزوج حيلة لكشف كذب زوجته، وبقي ينتظر عودة ذياب إلى الديار حتى يلقنه درسا، جزاء لخيانته.

عاد ذياب وعلم بأن أمه أفشت السر ولاحظ غضب والده الشديد فكان يتهرب منه من مكان إلى مكان إلى أن أحضرت الأم العشاء، فالتفت كل العائلة حول المائدة لتناول العشاء، وعندما بقي القليل من الطعام في الصحن قام ذياب وهمّ بمغادرة المنزل.

قال له والده: لم لم تكمل عشائك؟

قال ذياب: الأمان الذي كان بيننا انتهى (يقصد الطعام).

فواصل الأب ترصد ابنه إلى أن أمسك به وهو يتدفأ على نار كان قد أشعلها في الخلاء بحزمة من الحطب، فأمسك به وأراد أن يرميه في الغلابة (النار).

فقال ذياب: رايح ترميني في الغلابة؟

قال الأب: جاوبني الغلابة شكون يغلبها ونطلقك؟

قال ذياب: يغلبها الماء.

قال الأب: والماء شكون يغلبو؟

قال الابن: تغلبو العقبة (السد).

قال الأب: والعقبة شكون يغلبها؟

أجاب الابن: يغلبوها الخيل.

قال الأب: والخيل شكون يغلبهم؟

قال الابن: يغلبوهم لجمتهم (جمع لجام).

قال الأب: ولجمتهم شكون يغلبهم؟

رد الابن: يغلبوهم الفرسان.

قال الأب: والفرسان شكون يغلبهم؟

قال الابن: **الفرسان يغلبوهم نساهم.**

قال الأب: ونساهم شكون يغلبهم؟

رد الابن: يغلبوهم أولادهم.

الأب: أنت تغلب يماك؟

الابن: نغلبها.

عندما قال له بأنه "يغلب أمو" أطلق سراحه.

بالرغم من أن الظاهر من هذه الحكاية أن الهيمنة الذكورية هي السائدة وأن الذكر كان يحافظ على انسجام كلي في علاقته المطبوعة بهيمنة صارخة للذكور على النساء، فهو الذي يتحكم في كل جوانب الحياة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وهو الذي يسن القوانين ويضع المعايير والمبادئ المجتمعية، هذا من ظاهر الحكاية الشعبية من خلال العنف المادي الذي مارسه على ابنه والعنف المعنوي الذي مارسه على زوجته لكن إذا غصنا في عمق الحكاية الشعبية فإننا نجد رمزيات أخرى لها الكثير من الدلالات والمعاني على هيمنة الأنثى وسيطرتها.

أولا سنقوم بتحليل العلاقات بين أفراد الحكاية الشعبية، حيث نجد أن العلاقات الرابطة بين الأفراد الزوج، الزوجة، الابن ذياب، الأخوال، كما صورتها القصة الشعبية تتسم بالحب والحنان والتعاون أحيانا، وبالكره والحقد أحيانا أخرى، بالأوامر والطاعة أمر–تنفيذ، وهذه العلاقات هي علاقات تقابل كل فردين على حدة أي: علاقة الزوج بالزوجة، الزوجين بالأبناء،الابن والاخوال، لكن ماذا عن العلاقة الرابطة بين أفراد الأسرة كلها أو بين وحداتها كما أطلق عليها كلود ليفي ستراوس أي بين الأب، الأم، الابن والخال، لماذا الخال وليس غيره؟ فيجيبنا كلود ليفي ستراوس بأنه "لتحقيق الأسرة لابد من وجود شخص أب أو خال يقوم بإعطاء امرأة إلى ذلك الرجل ليتزوجها، وأن هذا الشخص هو أخ الزوجة الخال وليس الأب لأسباب موضوعية أولا ومنهجية ثانيا،

ولأن الزواج يتم عن طريق تبادل النساء بين الرجال وليس العكس"[1]، فالخال هو الذي يتنازل عن امرأة يهبها لذلك الرجل ليتزوجها ويُكوّن بدوره الأسرة والقرابة، وهو الذي يحدد ماهية العلاقات داخل الأسرة، ومن هنا فإن الأسرة لا تتكون من الأشخاص البيولوجيين فحسب أي انها لا تتكون من الأب والأم والأبناء فحسب بل أيضا من الخال، "ولا نحتاج إلى أن نشير إلى كيفية تواجد الخال في هذه البنية فهو شرطها ولا يمكن أن تتواجد البنية من دونه، فهو لا يظهر فيها بل أعطي إليها مباشرة"[2]، ويشير ليفي ستراوس إلى أن "العلاقة بين الخال وابن أخته هي بالنسبة للعلاقة بين الأخ والأخت، كنسبة العلاقة بين الأب والابن إلى العلاقة بين الزوج والزوجة، فإذا عرفنا زوجا من العلاقات يمكننا استنتاج الزوج الآخر"[3].

ومن خلال هذا نحدد أولاً العلاقات حسب أبطال الحكاية الشعبية

علاقة الأب والأم "العلاقة الزوجية" نوع من عدم التفاهم بين الطرفين، محاولة الزوج استفزاز زوجته، إلا أن الزوجة تستطيع أن تمارس عليه نوع من السيطرة حتى وإن لم تكن تملك شيئا من الذكاء والحيلة.

علاقة الأم بالابن "العلاقة العاطفية" سيطرة الابن على الأم، وهذا ما بينته الحكاية عندما أمرها وأكد عليها بأن لا تقول بأنها التقت مع ابنها ذياب في الطريق "إياك أن تقولي هذه الإجابة لأبي وإلا فسأكون شين المخول فعلا !!!.

علاقة الأب بالابن "العلاقة الأبوية" سيطرة الأب على الابن، ويظهر ذلك جليا عندما أراد أن يرميه في النار. نظام أبوي سائد.

علاقة الأب بالخال "علاقة استعلائية" فالأب يرى نفسه أعلى شأنا من أهل زوجته، وكان يعير ابنه بأخواله "شين المخول"، وهذا يدل على كره الأب للخال الذي وهبه الزوجة حسب كلود ليفي ستروس.

علاقة الابن بالخال "علاقة احترام".

---

[1] فاروق محمد العادلي، الأنتروبولوجيا التربوية، دار الكتاب الجامعي، مصر، 1981، ص 65.

[2] فاروق محمد العادلي، المرجع السابق، ص 67.

[3] فاروق محمد العادلي، المرجع السابق، ص 87.

أما الآن سنقوم بتحليل الحوار الذي دار بين الأب والابن على قالب سؤال وجواب "**لمن تكون الغلبة**"، الغلبة هنا تعني القوة، السلطة، السيطرة، التأثير، والإقناع.

السؤال الأول: من يغلب النار فرد الابن الماء قوته أعظم من قوة النار لأنه يطفئها، والعقبة أي الطريق ذو الارتفاعات له قوة على الماء لأن الماء لا يستطيع تجاوز العقبات، أما الخيل فباستطاعتها اجتيازها، لكن اللجام يكبح جموحها، ويمسك زمام هذا اللجام الفارس الذي يتحلى بالقوة والشجاعة، لكن هذا الفارس من يسيطر أو يهيمن عليه، حسب الحكاية الشعبية "**الفرسان يغلبوهم نساهم**" سواء بالقوة أو التأثير، الإقناع ... وما إلى ذلك من سلوكيات تقوم بها الأنثى، ثم بعد ذلك حين يسأل الأب الابن من يغلب المرأة يرد الابن: **ابنها** ويقصد نفسه هنا، الابن كان في حالة دفاع عن النفس، لذلك كان لابد أن يجد لنفسه مخرجا من المأزق الذي تورط فيه مع أبيه لذلك قال بأنه يغلب أمه.

من خلال هذا الحوار يتبين أن هناك سلطة عائلية، سلطتين سلطة الذكر وسلطة الأنثى، سلطة الأب على الابن، وسلطة الزوجة على الزوج، وفي الأخير سلطة الابن على الأم.

كشفت الحكاية الشعبية عن سيادة النظام الأمومي على نظيره الأبوي، إذ كانت العلاقة الرابطة بين الزوج والزوجة تتسم بتسلط الزوجة على الزوج وإن كان تسلطها خفيا وظهر بخضوع الزوج لطلب زوجته عندما طلبت منه أن يمتحن أهلها.

ثم تبين الحكاية سلطة النظام الأبوي على النظام الذكوري وهذا ظهر عندما مارس الأب سلطته على الابن وأراد أن يلقي به في النار، ثم تأتي سلطة النظام الذكوري على الأمومي عندما إدّعى الابن أنه يمارس سلطته على أمه لكن هذه السلطة ستزول بمجرد زواج هذا الابن لتنتقل السلطة إلى يد الأنثى مجسدة في النظام الأمومي سلطة الكنة، وسلطة الحماة هنا في هذه الحالة أكيد تظهر سلطة النظام الأمومي على النظام الأنثوي والنتيجة هيمنة أنثوية.

2.3. الأمثال الشعبية كتمثلات للعنف اللفظي الأنثوي

لا يولد العنف ولادة في أي مجتمع وإنما يصنع فيه صنعا، بدءا بصقل الأفكار والإعتقادات وترسيخ القيم والممارسات العنيفة وصولا لعنف اللغة والمفردات، واستخدام المعاني والدلالات، وأشكال العنف بما في ذلك العنف اللفظي هي إنتاجات ثقافية التكوين والتشكيل والتلوين حيث يكون العنف اللفظي نمطا ثقافيا شأنه شأن الأنماط الأخرى للإنحراف الاجتماعي عبر عملية تنشئة اجتماعية مستمرة من التعليم والتدريب والتأهيل وعبر نظم ومؤسسات وعلاقات وتفاعلات اجتماعية وثقافية مستمرة يتم إنتاجها وإعادة إنتاجها عبر الأسرة والمدرسة والشارع والجامعة[1].

والعنف اللفظي كنمط ثقافي يجد في مجتمعنا مكانا واسعا في الثقافة الشعبية الجمعية المغذية له، ومجتمعنا التبسي ذو سلوك إنفعالي يفتقر للغة الحوار ويعجز عن التعبير عن مشاعر الحب والعاطفة والرضا، في حين يملك رصيدا لا بأس به من اللغة لحظة التعبير عن غضبه وسخطه، واستخدامه الألفاظ البذيئة والإيماءات والرموز البغيضة. والأنثى كونها تمثل أهم شرائح هذا المجتمع فهي تمارس هذا النوع الصارخ الكامن من العنف، الذي تفجره يوميا في المواقف التفاعلية الضاغطة أمام الذكر لتتحول هذه الثقافة العنيفة إلى ثقافة الجنسانية التي تقسم النوع الإجتماعي الواحد إلى جنسين ذكور وإناث يمارس كلّ العنف بطريقته إزاء الأخر.

[1] سالم يساري، ثقافة العنف المجتمعي وأسئلة التنمية والتحديث، مجلة فيلاديلفيا الثقافية، جامعة فيلاديلفيا،2010، ص27.

1.2.3. انعكاسات الهيمنة الأنثوية في الأمثال الشعبية

من الأمثال الشعبية التي تعبر عن لسان الأنثى الحاد وإستخدامها هذا النوع من العنف اللفظي

- المثل القائل: **"تلاقو عليا ثلاثة ما فيهم حنانه الفقر والدهر والمرا الخرنانة"**.
- فالمرأة الخرنانة هي الأنثى ذات اللسان السليط التي توجه كلام العتاب واللوم على أتفه الأسباب، حيث يجمع المثل بينها وبين ظاهرتين يسببان الألم للذكر دون رحمة، وهما الفقر والدهر "أي الزمن" ثم الأنثى الخرنانة.

المثل الشعبي يعكس أن الأنثى التبسية هي أنثى ذات لسان سليط وبإمكانها إيذاء الذكر، وهذا ما جعله يطلق المثل الشعبي سالف الذكر من شدة تسلط الأنثى عليه حتى أصبح يتمثلها من نوائب الدهر فبدلا من أن تكون له السكن والحضن الدافئ الذي يلجأ إليه لكنها من شدة تسلطها أصبح يراها من نوائب الدهر ولا فرق بينها وبين مرارة الفقر ومصائب الدنيا وربما هي أشد وطأة. حيث يقال أن العنف اللفظي هو إغتيال الشخص إنطلاقا من إغتيال سمعه بواسطة الكلمة، خاصة وأن الكلمة لها مفعول السحر على نفسية المخاطب بها.

وظاهرة التسلط هذه أصبحت متفشية بين أفراد مجتمعنا التبسي ووجه من أوجه حياتنا اليومية فالسيطرة على الآخر وقهره بطرق مختلفة هو مرض اجتماعي متفشي ويتجلى ذلك بممارسة صنوف القهر والاذلال والاقصاء تحت عناوين شتى مما يؤدي إلى تشكيل شخصية مهزوزة مقموعة فاقدة للثقة بالنفس حيث يتحول الذكر إلى آلة تنفيذ لأوامر الأنثى.

ويلاحظ من خلال هذا المثل الشعبي المتداول في أوساط المجتمع التبسي أن الأنثى قفزت على مؤشر استمرار الأنماط التقليدية المؤطرة للهويتين الذكورية والأنثوية والتقسيم الجنسي الموروث عن الأجيال السابقة والقول بأن الهوية الأنثوية قد مسها تحول كبير خلال هذا العصر وأن نموذج الهيمنة الذكورية القديم يتجه نحو الانقراض ليفسح المجال لنموذج آخر مختلف عنه.

ومن الأمثال الشعبية التي يتناولها المجتمع وإقتبسها من موروثه الشعبي أيضا، ماقيل في سلطة الأنثى وسيطرتها على الذكر:

- المثل "**الرجال تهد الجبال والنسا تهد الرجال**".

- "تهد" تعني أن الأنثى تتغلب على الذكر القوي الذي يملك القوة الكافية ليتغلب على الجبل، فالجبل يمثل الشموخ والقوة. ومعنى هذا المثل أنه مهما كانت قوة الذكر وشدته وقسوته التى يتغلب بها على كل المصائب والصعاب التى تواجهه وإن كانت متراكمة كالجبال، غير أن هذه القوة والشموخ لن يصمد بهما أمام الأنثى القادرة على زعزعته متى ما شاءت ذلك.

فالأنثى في الموروث الشعبي تملك المقومات لتتغلب على الذكر وأي ذكر، الذكر القوي.

- المثل: "**المرا تغلبها مرا والراجل تغلبو مرا**".

- والذي يظهر فيه بوضوح وقوع الذكر تحت هيمنة الأنثى التي تهيمن على جنسها وعلى الجنس الذكوري أيضا، هذا مثل آخر يؤكد ثقافة الغلبة التى تتمتع بها الأنثى وأن هذه الأمثال لم تأتي من فراغ وإنما تمت صياغتها للتعبير عن واقع معاش سيطرت فيه الأنثى وفرضت هيمنتها على الذكر.

- المثل: "**زيري سنيك يترخفوا سنين راجلك**".

- هذا المثل يركز على العلاقات الزوجية والتوازن بين الزوجين، يعني المثل أن الأنثى، من خلال "شد سنيها" أي إيماءاتها بالتخويف والترهيب، تستطيع أن تؤثر على تصرفات زوجها وتجعله أكثر طواعية أو لينا. والهيمنة الأنثوية في هذا المثل تتجلى في فكرة أن الأنثى ليست بحاجة للقوة الجسدية أو الصراع المباشر للسيطرة، بل يمكنها استخدام تلميحات وإيماءات لترويض زوجها.

- المثل: "**يجي وقت المرا تُحْكُم والراجل يتبهدل والطفلة وسط الرجال تْبَرَّحْ وكي تتعرف على واحد أمها تفرح والراجل يرجع كي الطفلة يغني ويشطح**".

- يشير المثل إلى أنه سيأتي وقت تُظهِر فيه الأنثى سلطتها أو هيمنتها، مما يعكس تغير السياقات التقليدية التي كان فيها الذكر هو المسيطر، كما يدل هذا المثل على أن النساء يمكن أن يصلن إلى الهيمنة والسيطرة، فعبارة "والراجل يتبهدل" تعكس كيف أن الذكور قد يتحول حالهم فيصبحون في موقع ضعف أو ضياع عندما تهيمن النساء. وهذه العبارة كانت رؤية مستقبلية لما قد يواجهه الذكور في ظل الحريات التي كانت تنادي بها الحركات النسوية.

يُظهر المثل أيضًا دور الفتاة "كي تتعرف على واحد"، مما يشير إلى غياب الحشمة التي كانت سائدة في الثقافات التقليدية إضافة إلى الانحلال الخلقي الراجع إلى سوء التنشئة الاجتماعية الذي تتبناه الأم حيث أنها تخلت عن إعادة إنتاج الحشمة وأنتجت ثقافة جديدة مخالفة للقيم الثقافية القديمة. والجملة "والراجل يرجع كي الطفلة يغني ويشطح" توحي بأنه عند إنقلاب موازين القيم والثقافات والعادات التقليدية وإندثار الهيمنة الذكورية تبرز الهيمنة الأنثوية ويتبادل الجنسين الأدوار، فما كان يليق بالأنثى يتخذه الذكر مبدءا له فالشطيح والغناء في العادات والتقاليد من خصائص الأنثى، كما يمكن للأنثى أن تؤثر على الذكر، ما يجعله يتصرف بطريقة غير تقليدية أو غير متوقعة.

- المثل: "**الرجلة غابت والنسا سابت**".
- ما يُفهم من "الرجلة غابت" أنها إشارة إلى فقدان الذكر لسلطته أو غيابه الفعلي أو الرمزي. وهذا قد يرمز إلى التغيرات الاجتماعية التي تضعف من الهيمنة الذكورية التقليدية.

العبارة "النسا سابت" تعكس فكرة أن الأنثى قد تستغل غياب الذكر لتتصرف بحرية أكبر، ويعكس هذا كيف أن غياب السيطرة الذكورية يمكن أن يؤدي إلى زيادة استقلالية الأنثى، مما يتيح لها التعبير عن نفسها والتصرف وفقًا لرغباتها.

كما يُظهر المثل كيف يمكن للأنثى أن تتحدى التمثلات التقليدية عن الديناميات الأسرية والاجتماعية وتنتج تمثلات جديدة.

- المثل: "**كان سبع كي تزوج رجع ضبع**".

- يُظهر المثل تحول الذكر من القوة (كالسَبُع) إلى الضعف (كالضبع) خاصة بعد الزواج، ويبين كيف يمكن للأنثى أن تُغير الديناميات الاجتماعية من خلال الزواج، وقدرتها على التقليل من هيمنة الذكر وفي المقابل تبرز الهيمنة الأنثوية في العلاقة الزوجية. كما يعكس المثل فكرة أن الذكر، بغض النظر عن قوته، قد يُظهر ضعفًا أمام هيمنة الزوجة وطريقة تغييرها للأعراف الاجتماعية التقليدية، مما يتيح لها فرض سيطرتها بطريقة غير مباشرة.

وفي السياقات الاجتماعية عندما يتحول الذكر عن الالتزام بالتقاليد الموروثة إلى تقاليد جديدة فإن هذا التحول في نظر المجتمع يحوله من شخصية قوية إلى شخصية أضعف، أي أن الأنثى تعيد تشكيل أدوار الذكر في العلاقات الزوجية، مما يبرز الهيمنة الأنثوية. يشير ذلك إلى التغيرات التي تحدث في التمثلات الاجتماعية حول الجنسين، ويعكس تحولات أعمق في الثقافة والعلاقات الأسرية.

- المثل: "**سوق النساء سوق مَطْيار يا داخلو رد بالك يوريولك من الربح قنطار ويديولك راس مالك**"

- هذا المثل شبه عالم الأنثى بالسوق وحتى تحقق نجاحا فيه يجب أن تكون متمكنا وعلى معرفة ودراية بخفاياه، فيظهر أن هذه الأنثى التي دخلت في صراع مع الثقافات والعادات والتقاليد الاجتماعية القديمة واكتسبت مؤهلات لثقافات جديدة إضافة إلى تنشئة اجتماعية مغايرة قد تستطيع التلاعب واستغلال الذكر من خلال فرض هيمنتها وسيطرتها عليه لأنها أصبحت تحسن استخدام مهارات اجتماعية جديدة.

أما جملة "يوريولك من الربح قنطار ويديولك راس مالك" فهي تحذير يُظهر أن هناك مخاطر تنطوي على التعامل مع الأنثى في السياقات الاجتماعية. كما يمكن أن يُفهم على أنه إشارة إلى أن الأنثى، يمكن أن تكون قادرة على التأثير في مسارات الذكر، مما يبرز التوتر بين الهيمنة الأنثوية والمكانة الذكورية.

- المثل: "**النساء إذا تحزمت والخيل إذا تلجمت**".

- يُبرز هذا المثل قوة الأنثى عندما تعزم على إتخاذ قرار معين ويكون هذا القرار مخالفا لعادات وتقاليد المجتمع فإنها تستطيع التأثير والتغيير متحدية الهيمنة الذكورية، والربط والتشبيه بالخيل يشير إلى أن الأنثى يمكن أن تكون قوية ومسيطرة ومتحدية للهيمنة الذكورية في إعادة صياغة الأدوار الاجتماعية التقليدية لصالحها.

- المثل: "**كيد النساء كيدين ومن كيدهم جيت هارب يتحزموا باللفاع ويتخللوا بالعقارب**".

- يُشير "كيد النساء" إلى الحيل والمناورات التي تُمارسها الأنثى، والتي غالبًا ما تكون جزءًا من صراعات السلطة في المجتمعات، هذا الكيد يُعتبر سمة من سمات الذكاء الأنثوي، حيث تُظهر الأنثى قدرتها على التكيف والابتكار في مواجهة التحديات، ومن خلال هذا المفهوم، تُعتبر الأنثى قادرة على التأثير في مواقفها حتى في ظل الهيمنة الذكورية.

يشير الجزء الثاني من المثل إلى أن كيد النساء يمكن أن يكون له تأثير كبير، فعندما يُذكر "ومن كيدهم جيت هارب"، فإنه يُظهر كيفية تأثير الأنثى في مسار الأحداث. وهذه العبارة تعكس قدرة الأنثى على تغيير مجريات الأمور، مما يشير إلى نوع من الهيمنة الأنثوية تُمارس من خلال الذكاء والتخطيط أين يولي الذكر أمامها هاربا. تُعتبر اللفاع والعقارب رموزًا للتحديات والمخاطر، فاستخدام هذه الرموز يُظهر أن الأنثى يمكن أن تتخطى المخاطر وتواجه التحديات بأساليب غير تقليدية، وهو تعبير عن القدرة على التعامل مع المواقف الصعبة بذكاء وحنكة، وقدرتها على الهيمنة حتى في بيئات يهيمن عليها الذكور، مما يؤدي إلى إعادة صياغة دورها التقليدي في المجتمع.

- المثل: "**المرا تولد البغلة وتقمط الجمل**".

- يعكس المثل مفهومًا قويًا عن قدرة وإرادة الأنثى على تحقيق المستحيل مهما كانت التحديات، فالعبارة "تولد البغلة" تشير إلى قدرة الأنثى على خلق ثقافات جديدة من العدم وفرض تنشئة اجتماعية مغايرة لما كانت تعيشه، بينما "تقمط الجمل" تشير إلى أنها قادرة على ترويض وتقييد الذكر والتحكم فيه وتغيير

معتقداته الموروثة وهذا بالنسبة لها إنجاز ضخم لأنه يشكل قفزة نوعية من العادات الموروثة إلى ثقافة جديدة.

هذا المثل يظهر أن مبدأ القوة الناعمة للأنثى قد يتغير فتظهر مكانه قوة الأنثى الفاعلة المتحكمة والمسيطرة، حتى وإن كانت هناك معايير اجتماعية تُحِد من تأثيرها فتحقق السيطرة وتتحكم في السياقات الاجتماعية المختلفة.

- المثل: "**كيد النساء كيدين تركب على ظهر السبع وتقول الطيور خطفوني**".
- يُظهر هذا المثل قوة الأنثى في التعامل مع التحديات والمواقف الصعبة، ويشير إلى أن الأنثى لديها طرقها الخاصة في تحقيق الأهداف أو الاستجابة للصعوبات، حتى لو كانت تلك الطرق محفوفة بالمخاطر. "تركب على ظهر السبع" يُعبر عن السيطرة أو الهيمنة، السبع، كرمز للقوة والشراسة، يُظهر كيف أن الأنثى ليست فقط قادرة على التكيف مع الصعوبات، بل يمكنها أيضًا السيطرة على المواقف وهذا يعكس القوة الداخلية التي يمكن أن تمتلكها الأنثى، على الرغم من وجود هيمنة ذكورية. هذا المثل يبين أن هذه الهيمنة الأنثوية على السيطرة الذكورية تكون وراء الجدران وفي الغرف المغلقة أما في العلن فتظهر عجزها وضعفها وتبعيتها للعادات والتقاليد إلى الحد الذي يسيطر فيه عليها أضعف مخلوق في قولها "تقول الطيور خطفوني" فالطيور ترمز إلى المخلوقات الضعيفة. كما يظهر استعمالها لمهاراتها وذكائها للتغلب على القيود الاجتماعية والهيمنة الذكورية مع ظهورها بمظهر الضعيف المستسلم.
- المثل: "**خافت من القمرة وهربت في الظلمة**".
- في هذا المثل ترمز الظلمة إلى المخاطر والقمرة إلى الأمن والأمان بالنسبة للموروث الشعبي أو الثقافة الشعبية يرى أن العادات والتقاليد هي الأمن والأمان التي يجب أن تعيش في ظلها الأنثى بينما التغيير والتجديد عبر عنه بالظلمة والتي تمثل المخاطر أو المجهول الذي يجب على الأنثى أن تتجنب مواجهته،

هذه الرمزية تعكس الصراع الداخلي بين الحاجة إلى القبول الاجتماعي والقدرة على مواجهة التحديات، وكيف أن الهيمنة الأنثوية يمكن أن تُعيد تشكيل كيفية رؤية الأنثى لنفسها ولقدراتها.

- المثل: "**ما يغلب الرجال الفحولة غير النساء قليلات الأصل، وما يغلب قليلات الأصل غير حفار القبور**".

- يعبر المثل عن قدرة الأنثى على التغلب على الذكر، ولكن يشير في الوقت ذاته إلى أن هذا المثل أُطلق في بيئة تحكمها القيود الاجتماعية التقليدية لذلك يحدد أن الهيمنة الأنثوية لا تصدر إلا عن أنثى قليلة الأصل إذ أن عبارة "قليلات الأصل" تعكس كيف تلعب المعايير الاجتماعية والثقافية دورًا كبيرًا في تقييم الأنثى. مما يعزز الفكرة التقليدية بأن الأنثى تعتبر أقل قيمة إذا تمردت على مبادئ وقيم المجتمع التقليدية. أما رمزية جملة "الرجال الفحولة" تُظهر نمط الذكورة السائد الذي يُعزز القوة الجسدية والهيمنة مما يعكس الصراع والتوتر بين الأدوار التقليدية والجديدة للذكور والإناث. كما يرمز هذا المثل في جملة وما يغلب قليلات الأصل غير حفار القبور، وأن أي أنثى تحاول التمرد على القيم الثقافية والقيود الاجتماعية التقليدية فذلك حتما يؤدي إلى موتها ودفنها مع كل معتقداتها المستجدة فهذا المثل وإن كان في جانب منه يبرز أنه حتى في المرحلة التي تكون فيها الهيمنة الذكورية مسيطرة بصورة مطلقة فإن الهيمنة الأنثوية تناضل لكنها تلعب دورا محدودا يحاربه المجتمع بكل ما أوتي من قوة وإن أدى ذلك إلى تدميرها وهلاكها.

- المثل: "**في آخر الزمان يعودوا ياكلوا الخفيف ويلبسوا الرهيف ويدوا الراجل لي عجبهم بالسيف تعود الطريق مسمرة والنساء مشمرة وقلوب الرجال مدمرة تكثر الحفر ويتقطع المطر وتركب الأنثى على الذكر روحي يا الدنيا روحي راح جيل متغطي وجاء جيل متعري والأرض ماحت والرجال جاحت والنساء قباحت والذري راحت**".

- "في آخر الزمان يعودوا ياكلوا الخفيف ويلبسوا الرهيف ويدوا الراجل لي عجبهم بالسيف"، تشير هذه العبارة إلى تحولات في القيم الاستهلاكية والجمالية، حيث يصبح الناس أقل اهتمامًا بالجودة والعمق (الخفيف

في الأكل واللباس)، وهو تعبير عن نوع من التفاهة أو السطحية التي تسود المجتمع. أما العبارة "يدوا الراجل لي عجبهم بالسيف"، فهي تعبر عن تغير ديناميات القوة في العلاقات بين الجنسين، حيث تتحول الأنثى إلى طرف نشط في اتخاذ القرارات المتعلقة بالعلاقات، حتى بطريقة عنيفة أو جبرية، وهو نقد للتمرد الأنثوي الذي يراه المجتمع المحافظ نوعًا من الخروج عن القيم التقليدية.

"تعود الطريق مسمرة والنساء مشمرة (تقصر ثوبها إلى الركبة)"، تشير هذه العبارة إلى تغيير في المعايير الثقافية المتعلقة باللباس. فتقصير الثوب يعبر عن العري المفرط الذي يُنظر إليه على أنه مظهر من مظاهر الانحلال الأخلاقي. هنا، يُنظر إلى الأنثى التي تكشف عن ساقيها على أنها تخرج عن الضوابط الأخلاقية التي كانت تُفرض في الماضي، مما يعكس تخوفًا من التغيرات في دور الأنثى في المجتمع.

"وقلوب الرجال مدمرة"، هذا الجزء من المثل يشير إلى أزمة الرجولة، حيث يعبر عن إحساس بفقدان السلطة والسيطرة لدى الذكور في ظل هذه التغيرات الاجتماعية. فعبارة "قلوب الرجال مدمرة" تشير إلى حالة من الضعف والانكسار النفسي والمعنوي الذي يعانيه الذكور بسبب تغيرات في الأدوار الاجتماعية والتحديات التي يواجهونها في الحفاظ على مركزهم التقليدي.

"تركب الأنثى على الذكر"، تعبر هذه العبارة بشكل صريح عن قلب الأدوار التقليدية بين الجنسين، حيث تتحول الأنثى إلى الطرف المهيمن بينما يصبح الذكر هو الطرف الخاضع. هذه الصورة تعكس الخوف من فقدان السلطة الذكورية في المجتمع والهيمنة التي كاين يمارسها الذكر في الأدوار التقليدية.

"تكثر الحفر ويتقطع المطر"، هذه العبارة تشير إلى التغيرات المناخية أو البيئية، والتي ربما تُفهم على أنها جزء من خلل عام في النظام الكوني. في المجتمعات التقليدية، غالبًا ما يتم ربط التغيرات الاجتماعية والأخلاقية السلبية بتغيرات طبيعية أو كوارث بيئية، وهو نوع من النبوءات التي تعبر عن قلق جماعي من انهيار النظام الاجتماعي وما يترتب عليه من تأثيرات على البيئة والطبيعة.

"روحي يا الدنيا روحي، راح جيل متغطي وجاء جيل متعري"، هنا يتأسف المثل على تغير الأجيال، حيث يُنظر إلى الجيل القديم على أنه يمثل القيم الأصيلة والفضائل الأخلاقية ("متغطي" يرمز إلى الاحتشام والوقار)، في حين يُنظر إلى الجيل الجديد على أنه جيل متعري، لا يلتزم بالقيم الأخلاقية والتقاليد الاجتماعية، ويميل إلى السطحية والانحلال.

"الأرض ماحت والرجال جاحت والنساء قباحت والذري راحت"، تشير هذه العبارة إلى نبوءة انحدار شامل على مستوى المجتمع ككل. الأرض "ماحت" تعني أنها أصبحت غير مثمرة أو غير منتجة، وهو تعبير عن فقدان البركة والعطاء. الرجال "جاحت" أي فقدوا دورهم التقليدي كأعمدة للمجتمع، في حين أن النساء "قباحت" أي تحولن إلى شخصيات غير محبوبة أو مثيرة للاشمئزاز في عيون المجتمع. وأخيرًا، "الذرية راحت" تعبر عن فقدان الأمل في الأجيال القادمة، وهو نتيجة لهذا التدهور الاجتماعي والقيمي.

الرقم	المثل الشعبي	التصنيف	شكل الهيمنة
01	تلاقو عليا ثلاثة ما فيهم حنانه الفقر والدهر والمرا الخرنانة	ازمة رجولية	عنف رمزي
02	الرجال تهد الجبال والنسا تهد الرجال	ازمة رجولية /هيمنة انثوية	قوة ناعمة
03	زيري سنيك يترخفوا سنين راجلك	هيمنة انثوية	عنف رمزي
04	يجي وقت المرا تُحْكُم والراجل يتبهدل والطفلة وسط الرجال تْبَرَّحْ وكي تتعرف على واحد أمها تفرح والراجل يرجع كي الطفلة يغني ويشطح	هيمنة انثوية / ازمة رجولية	تمرد أنثوي
05	الرجلة غابت والنسا سابت	ازمة رجولية	سيطرة وتحكم أنثوي
06	كان سبع كي تزوج رجع ضبع	ازمة رجولية	سيطرة وتحكم أنثوي
07	سوق النساء سوق مَطْيار يا داخلو رد بالك يوريولك من الربح قنطار ويديولك راس مالك	ازمة رجولية/ هيمنة أنثوية	قوة ناعمة
08	النساء إذا تحزمت والخيل إذا تلجمت	هيمنة انثوية	التمرد الأنثوي
09	كيد النساء كيدين ومن كيدهم جيت هارب يتحزموا باللفاع ويتخللوا بالعقارب	هيمنة انثوية	قوة ناعمة
10	المرا تولد البغلة وتقمط الجمل	هيمنة انثوية	الصراع بين الجنسين
11	كيد النساء كيدين تركب على ظهر السبع وتقول الطيور خطفوني	هيمنة انثوية	قوة ناعمة
12	خافت من القمرة وهربت في الظلمة	هيمنة انثوية	قوة ناعمة
13	ما يغلب الرجال الفحولة غير النساء قليلات الأصل، وما يغلب قليلات الأصل غير حفار القبور	هيمنة انثوية / ازمة رجولية	الصراع بين الجنسين
14	في آخر الزمان يعودوا ياكلوا الخفيف ويلبسوا الرهيف ويدوا الراجل لي عجبهم بالسيف تعود الطريق مسمرة والنساء مشمرة وقلوب الرجال مدمرة تكثر الحفر ويتقطع المطر وتركب الأنثى على الذكر روحي يا الدنيا روحي راح جيل متغطي وجاء جيل متعري والأرض ماحت والرجال جاحت والنساء قباحت والذري راحت	هيمنة انثوية / ازمة رجولية	الصراع بين الجنسين

الجدول رقم 03: نوع الأمثال الشعبية وشكل الهيمنة التي تمثلها (المصدر: من إعداد الطالبة).

3.3. الأغنية الشعبية كميكانيزم للهيمنة

الأغنية الشعبية لها خصوصيتها التي تميزها عن بقية ألوان الفن الشعبي، لأنها لا تعتمد على الفردي بل هي جماعية الأداء كما أنها تعبر عن مشاعر العامة لا عن مشاعر مغنيها فحسب، كما أن الأغنية الشعبية في الغالب هي نتيجة جهد جماعي وصالحة لأكثر من زمان ومكان مما يمنحها الديمومة ولذلك نجد الأغنية الشعبية متداولة في الوسط المحلي بكثرة حيث تسمعها الأنثى والذكر على حد السواء، فأصبحت ميكانيزم لتحقيق تكيف المجتمع مع الوضع السلطوي للأنثى.

1.3.2. تحليل أغنية "حكم النسوان"

- كلمات الاغنية:

يا بابا حنّي الوقت تبدّل هذا حكم النسوان كي عاد يدرّب

منين تكلم راجلها تقولّو فلايسي مُفلس

وأنت راسك خشين وماتفهمشي كي تخرج تحوّس وماتولّيش،

ومنين يتكلّم راجلها تقولّو ماتسالنيش وشبيك موسوس وتهبّل فيّا

غير هنّي روحك وإلا روح عليّا.

- الأغنية تبدأ بجملة "يا بابا حني الوقت تبدل"، التي تعكس إدراكًا واضحًا لتغير الزمن وتبدل أدوار الجنسين. وهذا التغير ينظر إليه بأسى من طرف الذكر، إذ أصبحت الأنثى الآن هي التي "تحكم" وتسيطر. الأغنية تعكس نوعًا من الحنين إلى الماضي الذي كان فيه الذكر هو المسيطر.

الأنثى في الأغنية تتعامل مع زوجها بطريقة سلطوية ومهينة. فهي تقلل من شأنه بالقول: "منين تكلم راجلها تقولوا فلايسي مُفلس وانت راسك خشين وماتفهمشي"، هنا، يتم تصوير الذكر على أنه غير كفء، عاجز عن تحقيق النجاح المادي، وهيمنة الأنثى تظهر من خلال النقد اللاذع الذي يمس رجولته ويقلل من قيمته أمام الآخرين، وهذا شكل من أشكال "العنف الرمزي" (وفقًا لمفهوم بيير بورديو).

"ومنين يتكلم راجلها تقولو ماتسالنيش"، هذه الجملة تبرز رفض الأنثى لأي تدخل من الذكر في حياتها أو قراراتها، مما يعكس استقلالية القرار الأنثوي وتمردها على السلطة الذكورية. الأنثى في الأغنية تمتلك حرية القول والفعل، بينما يُترك الذكر في موقف المتسائل والمُضطهد.

العبارة "وشبيك موسوس وتهبل فيا غير هني روحك وإلا روح عليا" تعبر عن تهديد مباشر من الأنثى للذكر، فإما أن يقبل الذكر بموقفه المذل والمُهمش، أو يواجه الخروج من العلاقة، مما يعكس قوة السيطرة التي تمتلكها الأنثى في هذه العلاقة.

2.3.2. تحليل أغنية "أنا مسيطرة، أمشيك مسطرة"

اليوم أغنية "**أنا مسيطرة**" منتشرة وبكثرة، وتبرز هيمنة الأنثى في الوقت الراهن، وهي أغنية شعبية لاقت رواجا كبيرا ولاقت مشاهدات عالية على مواقع التواصل الاجتماعي وأصبحت على لسان كل الفتيات حتى الصغيرات منهن.

المقابلة رقم 40:

تحدثنا "س" تعمل منسقة أغاني "دي جي" في قاعة حفلات تقول: في إحدى صالونات الأفراح في تبسة شغلت أغنية "أنا مسيطرة"، وكانت بطلب من العروس فقامت القيامة ولم تقعد جراء تشغيل هذه الأغنية، أين رفضها أهل العريس تماما لما رأوا في ذلك من إنتقاص من قيمة ابنهم العريس، ووصل بهم الأمر إلى حد الملاسنات وحتى التشابك بالأيادي. بعدها اتصلت العروس بالعريس وطلبت منه الحضور فورا لتغادر القاعة وكان لها ذلك. وهذا مثال واضح على تفشي سلوكيات الهيمنة الأنثوية.

- الأغنية تعبر عن نوع من الهيمنة الرمزية، إذ تحمل رسائل تعزز من فكرة سيطرة الأنثى على الذكر، وهو ما يتعارض مع الثقافة التقليدية في المجتمع المحلي، خاصةً فيما يتعلق بالعلاقات الزوجية. الأغنية أصبحت محفزًا للتوتر بين العائلتين، حيث رأت أسرة العريس أن في اختيار الأغنية تحديًا للمعايير الاجتماعية التقليدية التي تمنح الذكر المكانة العليا في العلاقات الزوجية.

التلاسن والضرب الذي نشأ جراء الخلاف حول الأغنية يمثل تعبيرًا عن العنف الرمزي وكذا العنف المادي، حيث يُستخدم العنف كرد فعل على تهديد السلطة الذكورية. مثل هذه التصرفات تعكس رغبة في الحفاظ على ثقافة أدوار الجنسين التقليدية من خلال تصعيد الصراع الجسدي واللفظي.

استجابة العريس الفورية لمطالبتها بالخروج من القاعة تدل على نوع من الخضوع لرغباتها، مما يعكس ديناميكية الهيمنة الأنثوية في إطار العلاقة الزوجية.

4. التمرد على العادات والتقاليد

تتمثّل الأنثى ثقافة الحرية على أنّها ثقافة التحرر الكامل من العادات والتقاليد والأعراف حتى تنشأ أنثى سويّة قادرة على العطاء، وعلى بناء علاقات تبادليّة ناجحة مع الطرف الآخر. والمتابع للخطاب النسويّ الذي ظهر بعد الثورات، يتبيّن أنّ النسويات حلمن بتغيير أحوالهن نحو الأفضل وسعين إلى التعبير عن طموحاتهن، فلا عجب أن ارتفع سقف المطالب لديهنّ، متمردات بذلك على القيم الاجتماعية التي تربى عليها جيل كامل.

هناك كثير من المظاهر تم تقديمها كرمز للحرية والتحرر وهي في حقيقتها مجرد أداة لاستغلال الأنثى وإيقاعها في فخ التحرر من إنسانيتها، ويظهر ذلك من خلال:

1.4. اللباس غير المحتشم كرمز للتحرر

يتميز النمط البدائي للأنثى العربية بشكل عام والأنثى التبسية بشكل خاص بلباس محتشم يخفي كل مفاتنها انطلاقا من خلفية اللباس الشرعي المستمد من الدين الإسلامي، وانطلاقا من مبدأ ثقافة التحرر الكامل على العادات والتقاليد والأعراف تبنت الأنثى اللباس الفاضح كعنوان لتحررها ونيلها لحقوقها، ومع دفع إعلامي منظم ومدروس صار التعري مظهرا من مظاهر تحرر الأنثى. لذلك نجد أن بعض النساء في المجتمع التبسي كنوع من أنواع فرض هيمنتها نزعت غطاء الرأس واستبدلت اللباس المحتشم بالسروال الضيق جدا الذي يصف كل مفاتن جسدها ضاربة عرض الحائط كل من العادات والتقاليد والأعراف مقتنعة بأنها تعيش كما تريد، ترى

نفسها تتصرف بحرية غير مقيدة لا يُفرض عليها زي معين تكون غير مقتنعة به، فلم تعد تلك الأنثى التي ترى الشرف في خضوعها لأبيها وطاعتها لزوجها.

2.4. المقهى الشعبي: من مساحة ذكورية إلى مجال مشترك

المقهى الشعبي وهو المكان الذي ظل لعقود من الزمن حكرا على المجتمع الذكوري يمارس فيه هوايات مختلفة من تضييع الوقت إلى المسامرة وارتشاف القهوة وتدخين الشيشة باحثا عن سكينة لدقائق قد تخفف عنه تعب يومه ....، ولأن الهيمنة الأنثوية برزت في كل نواحي المجتمع فهي لم تترك مجالا إلا واقتحمته فأصبحنا نرى في المجتمع التبسي مقاهي نسوية لتبادل الأحاديث وارتشاف القهوة إضافة إلى مناسبات أخرى كاحتفاليات عيد الميلاد، الخطوبة، عيد المرأة، تكريم الأم ....، وبالرغم من أن المقهى النسوي في المجتمع التبسي قد تلقى في بدايته انتقادات كثيرة أين اضطرت صاحبته إلى تغيير اسمه من مقهى للنساء إلى ناد للنساء، فاكتساح الأنثى مجالا مخصصا للذكور كالمقهى يعد في حد ذاته في نظر المجتمع وتمثلاته هيمنة وسيطرة أنثوية.

3.4. ظاهرة قيادة الأنثى للسيارة: بين القبول والرفض

وإن كان المجتمع الذكوري ينظر إلى أن تركيبة الأنثى أن تبقى في المنزل وكان وهو يمارس هيمنته الذكورية وفي زمن ليس ببعيد ينظر إلى خروج الأنثى إلى الشارع على أنه أمر معيب ناهيك عن قيادتها للسيارة، فالأنثى في زمن الهيمنة الأنثوية أصبحت ترى نفسها قيادية وأصبح مشهد قيادة الأنثى للسيارة مشهدا مألوفا أين أصبحت تعتمد على نفسها في القيادة رغم المضايقات التي تتعرض لها في الشارع، أين ترى نفسها بقيادتها للسيارة أنها تستطيع الذهاب إلى أي مكان تريد وهذا أفضل بكثير من استقلالها للمواصلات العامة.

4.4. الاختلاط في المناسبات الاجتماعية ودلالاته

كانت المجتمعات التقليدية ترفض الاختلاط في المناسبات، وهذا يعد من صميم القيم الاجتماعية والأخلاقية الراسخة في هذه المجتمعات المتوارثة لقيم الحشمة واحترام الخصوصية العائلية، لكن في وقتنا الراهن وخاصة في مجتمعنا المحلي فإنه بدأ يتخلى تدريجيا عن هذه القيم خاصة في الأعراس، أين بدأ يظهر الاختلاط بين الجنسين مما يفتح المجال لسلوكيات لا تتوافق مع معايير المجتمع، ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر: أصبحوا يحضرون منسقي أغاني ذكور في صالات أعراس خاصة بالنساء، وهذا ما يجعل من الفئة التي مازالت تحافظ على الموروث الثقافي تخشى أن يؤدي هذا إلى بيئة غير مناسبة ويخلق تحديات جديدة في التنشئة الاجتماعية، أين يتخلى الأفراد نهائيا عن التأثير التقليدي من منطلق الحرية الشخصية التي تعبر عن التحرر والانفتاح، وهذا ما يخلق تناقضا وفجوة عميقة بين الأجيال واختلافات كبيرة في وجهات النظر حول القيم الحديثة.

ملخص الفصل

تجلت سلوكيات الهيمنة الأنثوية من خلال مجموعة من العوامل والمسببات المتعلقة بالإطار الثقافي للمجتمع حيث ركزنا على تمثلات الهيمنة الرمزية من خلال ميكانيزمات ساعدت الأنثى على تشكيل هيمنتها. هذه الميكانيزمات والآليات أو الاستراتيجيات هي موروث ثقافي ربما في وقت سابق كان خفيا حيث كانت الأنثى تمارس سيطرتها الناعمة.

تشكل الطرائق الشعبية ميكانيزمات أساسية لتنظيم التفاعل الإنساني، ومعتقدات نموذجية أو مضادة أو اتجاهات وصور لتصرفات منظمة في أنساق من العادات تختلف بين العمومية والخصوصية. كما تعد طرق مميزة ومشتركة للفعل والقابلة للتوارث بين الأجيال، من حيث هي أفعال إجتماعية متكررة يمارسها أفراد المجتمع.

الأمثال والحكايا والأغاني الشعبية التي تطرقنا لها كانت نافذة إلى التفكير الجمعي حول الهيمنة في المجتمع المحلي. أين اتضح أن الهيمنة الأنثوية ليست بالضرورة قائمة على القوة المباشرة، بل تتجلى من خلال استراتيجيات خفية وتفاعلات اجتماعية، حيث تستغل الأنثى البيئة الثقافية للسيطرة بطرق غير تقليدية. إذ عكست الأمثال والحكايا والأغاني الشعبية أن النساء، حتى في المجتمعات الأبوية، يمكن أن يكنّ فاعلات في تشكيل السلطة والتأثير على العلاقات الاجتماعية.



الفصل السابع

عرض النتائج

1. الاستنتاج الجزئي

يمكننا تقديم تحليل أنثروبولوجي معمق يرتكز على فهم التطورات الحديثة في أدوار الأنثى داخل المجتمع، مقارنة بالأدوار التقليدية والواقع الاجتماعي المعاصر. سنركز على تأثير هذه التغيرات على العلاقات بين الجنسين، ومواقف الذكور تجاه هذه التحولات، فضلاً عن دور الثقافة الشعبية ووسائل الإعلام في تشكيل هذه التمثلات.

1.1. الاستراتيجيات المعرفية للأنثى

أظهرت النتائج الأولية أن الأنثى قد حققت تقدماً كبيراً في مختلف المجالات المعرفية والعملية، إذ أصبحت قادرة على التفكير على المدى البعيد وتخطيط أهدافها المستقبلية بشكل واقعي ومتوازن، حيث يرى المبحوثات أن الأنثى لم تعد تقتصر على التعليم التقليدي بل تسعى لاكتساب المعرفة من خلال مصادر متنوعة. هذه السمة تمثل تحولاً جذرياً في الطريقة التي تنظر بها الأنثى إلى نفسها ودورها في المجتمع، وهو ما يعكس زيادة وعيها بقدرتها على التأثير واتخاذ القرارات بشكل مستقل، بالإضافة إلى ذلك تبرز القدرة على تحليل المواقف والأحداث بعمق، واتخاذ القرارات بعد فحص الأمور من جوانب متعددة، وهذا يُظهر نمواً في قدرتها على التنقل بين التحديات الاجتماعية والثقافية بشكل جريء. كما أن السعي المستمر وراء استقلالها المالي يمثل عنصراً مهماً في تعزيز هذه الاستقلالية الشخصية، حيث تجد الأنثى نفسها قادرة على اتخاذ قرارات مالية مستقلة بعيداً عن تبعية الذكر.

وهذا ماتؤكده المقابلات رقم: **01، 02، 03، 04، 05، 06، 13، 15، 16.**

2.1. استقلالية الأنثى ودورها الاجتماعي

أجمع المبحوثون من الجنسين أن الأنثى اليوم أصبحت أكثر تمسكاً بحقوقها، سواء على مستوى العمل أو الأسرة أو المجتمع، إذ تسعى لتحقيق المساواة مع الذكر. هذا التحول يشير إلى تطور هام في التمثلات الثقافية التي كانت تحد من دورها في الماضي، كما أن هذا الوعي المتزايد يسمح لها بالتعبير عن مشاعرها وآرائها بثقة أكبر وحرية، وفتح حوار مع الآخرين حول القضايا التي تؤثر عليها. من جهة أخرى، تساهم الأنثى في دعم القضايا الاجتماعية التي تهمها، وتعمل على تحسين وضعها الاجتماعي، مما يعكس تحولاً في أدوارها الاجتماعية وأنماط سلوكها، خاصةً في ظل القيود الاجتماعية أو الثقافية التي قد تواجهها.

وهذا ما تؤكده المقابلات رقم: **02، 03، 04، 13، 15، 17، 23، 24.**

3.1. ميكانيزم القوة والعنف الأنثوي

تمثلات الهيمنة الأنثوية في المقابلات **07، 09، 11، 13، 14، 29** نجدها ظهرت بنسبة مرتفعة، مرات مصحوبة بمحددات لميكانيزمات محكمة بطريقة جيدة، ومرات أخرى تتموقع في إطار مخفي الذي يشير أكثر إلى وجود القلق ذكوري من هذه السيطرة وتسير نحو كل ما هو معاكس للواقع، فمثلا نجد تمثلات القوة والعنف كقول المبحوثة في المقابلة رقم 11 "**اتحولت إلى انسانة همجية بكل المقاييس ويقولوا عليا كلوشارة**" وفي المقابلة رقم 07 "**الضرب ساهل، نحل مشاكلي بالضرب والعنف**".

4.1. العجز الذكوري وضغط الأدوار التقليدية

أظهرت المقابلات مع الذكور أن هناك توتراً متزايداً داخل العلاقات الزوجية والعائلية نتيجة للتغيرات في أدوار الجنسين، فالعديد من الذكور يرون أن استقلالية الأنثى، سواء في اتخاذ قرارات مالية أو مهنية، قد تؤدي إلى تهديد النظام التقليدي الذي كان يحدد الذكر كمُعيل رئيسي، وهذا يخلق نوعاً من الضغط الاجتماعي الذي يؤثر في كيفية تعامل الذكور مع الأنثى في حياتهم اليومية، كما أن هناك حساسية متزايدة من الضغوط النفسية

الناتجة عن تحول أدوار الذكور، خصوصاً في المجالات الاقتصادية والعائلية. ومع هذه الضغوط، يعبر بعض الذكور عن استيائهم من التحكم الأنثوي المتزايد في اتخاذ القرارات الأسرية.

وهذا ما تبينه المقابلات رقم: **01، 02، 24، 25، 26، 27، 28، 32، 37، 40.**

5.1. العنف الرمزي والعلاقات بين الجنسين

تشير النتائج إلى وجود نوع من العنف الرمزي الذي تمارسه الأنثى ضد الذكر، سواء من خلال الكلمات الجارحة أو التصرفات التي تهدف إلى التأثير عليه نفسياً، هذا العنف الرمزي قد يؤدي إلى تغيير العلاقات بين الجنسين، ويعكس التوترات القائمة بين الأدوار التقليدية للذكور والإناث في المجتمع.

وهذا ما يظهر في المقابلات رقم: **01، 08، 10، 21، 25، 26، 36.**

6.1. مسايرة الهيمنة الانثوية

بالنسبة لمسايرة الهيمنة الأنثوية فقد ظهرت في المقابلتين رقم 34 ورقم 35:

حيث نرى في المقابلتين صورة الشخصية المضطربة للذكر، وعكست لنا من جهة هشاشة النظام الأبوي ومن جهة أخرى هشاشة دفاع الجانب الذكوري، حيث نجد مجمل سلوكيات الأنثى احتوت على التنغيص والتهديد، وفي الغالب لجوء الذكر للهروب وهذا لتفادي بروز الصراعات بينه وبين الأنثى. كما أنها تحمل دلالة أنثربولوجية تشير إلى تقبل الأمر الواقع وتقبل التغيرات السوسيولوجية والثقافية، كذلك تظهر المسايرة في المقابلة رقم 27 "**لا أستطيع إطلاقا ممارسة العنف ضدها أو ضربها**" أما في المقابلة رقم 31 "**أجد نفسي منقادا لأوامرها تفاديا للمشاكل**"

7.1. تحليل مكانيزمات هوية الجنسين

تكشف المقابلات عن تباين واضح في كيفية تكوين الهويات بين الجنسين، حيث تتسم الهوية الأنثوية بميل للاستقلالية والتمكين، ففي المقابلة رقم 06 "**عندي اكتفاء ذاتي والحس العالي بأهمية الذات وثقافتي غربية**".

نجد ذلك أيضا في المقابلات رقم: **01، 15.**

أما بالنسبة لإشكالية الهوية الذكورية فهي في تباين، حيث تُظهر رسوخ بنية الهيمنة الذكورية عندما قال المبحوث في المقابلة رقم 38: "**كي كنت سيليبتار ... نحب نفرض رأيي في كل كبيرة وصغيرة**" ومع هذا يبقى القلق مسيطرا ومهيمنا على الفكر.

بينما تُسلط الهوية الذكورية الضوء على الاضطراب الناتج عن الجيل الجديد كما لا حظناه في المقابلة رقم **39.** هذا الاختلاف قد يعكس تأثيرات اجتماعية وثقافية تلعب دورًا في تكوين هويات الجنسين وتمثلاتهم عن الذات.

8.1. التمرد والعصيان الاجتماعي

التمرد الذي تمارسه الأنثى ضد القوانين والعادات التقليدية يظهر بشكل متزايد، سواء في سلوكها اليومي أو في تعاملها مع الذكر، هذا التمرد يعكس التحول في نظرة الأنثى لدورها في المجتمع وكيفية تأثيرها على القيم الاجتماعية. وهذا مابينته المقابلات التالية: **07، 09، 11، 12، 14، 22، 29.**

9.1. الثقافة الشعبية ووسائل الإعلام

تلعب الثقافة الشعبية ووسائل الإعلام دوراً مهماً في تشكيل صورة الأنثى الجديدة. تظهر الدراسة أن الإعلام يعزز من صورة الأنثى القوية والمستقلة، ما يساهم في تحدي المعايير الاجتماعية التقليدية. كما أن ظهور المؤثرات عبر وسائل التواصل الاجتماعي قد يساهم في تشكيل وعي جديد لدى الفتيات، ويشجع على التمرد والعصيان ضد القوانين المجتمعية التي تقيد حرياتهن، والانشطار من ثقافة العادات والتقاليد.

وهذا ما يظهر من خلال المقابلات رقم: **14، 18، 19، 20، 42، 43، 44.**

من خلال هذا التحليل الأنثروبولوجي، يتضح أن الأنثى قد انتقلت من دور تقليدي محدود إلى دور أكثر استقلالية وفاعلية. ورغم التحديات التي تواجهها، فإن تحولات وعيها وقوة تأثيرها في المجالات الاقتصادية والاجتماعية قد عززت مكانتها في المجتمع. في المقابل، يواجه الذكور تحديات جديدة تتعلق بتغير أدوارهم التقليدية وضغوطات النظام الاجتماعي، ما يخلق نوعاً من الصراع بين الجنسين قد يؤدي إلى إعادة تشكيل المعايير الاجتماعية.

2. تحليل نتائج الدراسة على ضوء الفرضيات

الفرضية الأولى: تجاوز الأنثى للسلطة الذكورية والنظرة الدونية عبر استراتيجيات وميكانيزمات مختلفة، مما أسهم في ظهور هوية جديدة للأنثى.

تُظهر النتائج التي تم الحصول عليها تحولًا كبيرًا في الدور الاجتماعي للأنثى، حيث تمكنت الأنثى من تجاوز السلطة الذكورية والنظرة الدونية التي كانت سائدة في العديد من الثقافات والمجتمعات عبر التاريخ. هذا التحول يعكس تغييرًا عميقًا في الأدوار التقليدية، حيث تساهم الأنثى الآن في إعادة تشكيل صورتها الاجتماعية والاقتصادية. الإجابات التي تم جمعها تشير بوضوح إلى تعزيز استقلالية الأنثى في مجالات حياتية متعددة، مثل العمل، والمال، والعلاقات الأسرية.

مع مرور الوقت اعتمدت الأنثى استراتيجيات متعددة لتحقيق التمكين الذاتي وتجاوز الأدوار التقليدية المفروضة عليها. من أبرز هذه الاستراتيجيات: التعليم المستمر، الاستقلال المالي، التخطيط بعيد المدى، والقدرة على اتخاذ القرارات بشكل مستقل. هذه الأساليب تشير إلى تحول جذري في الهوية الأنثوية، حيث أصبحت الأنثى أكثر قدرة على تحديد مصيرها في مختلف مجالات الحياة. لذلك، لم تعد الأنثى محصورة في الأدوار التقليدية المخصصة لها، بل أصبحت تسعى لبناء هوية جديدة تتميز بالقوة، الاستقلال، والتمكين.

مع صعود هذه الهوية الجديدة للأنثى، يتغير المشهد داخل العلاقات بين الجنسين. تُظهر النتائج أن التغيرات في قدرة الأنثى على اتخاذ القرارات المالية والاجتماعية والمهنية قد خلقت نوعًا من التحديات لدى بعض الذكور

في التعامل مع هذا التغيير. هذا الوضع قد يعزز الشعور بالعجز والتهديد لدى الذكر، خاصة في المجتمعات التي طالما كانت تهيمن فيها السلطة الذكورية. هذا التحول يؤدي إلى إعادة تقييم دور الذكر داخل الأسرة والمجتمع.

ومنه فالفرضية الأولى محققة حيث أظهرت النتائج أن الأنثى قد تجاوزت السلطة الذكورية والنظرة الدونية عبر تبني استراتيجيات متعددة مثل الاستقلال المالي، التعلم المستمر، واتخاذ القرارات بشكل مستقل. هذا التحول قد ساهم في ظهور هوية جديدة للأنثى تتسم بالتمكين والقوة، مما أدى إلى تغييرات في موازين القوى داخل العلاقات بين الجنسين.

الفرضية الثانية: العنف الرمزي الذي تمارسه الأنثى ضد الذكر كمؤشر على الهيمنة الأنثوية والصراع بين الجنسين.

النتائج التى تم التوصل إليها في تحليل العنف الرمزي الذي تمارسه الأنثى ضد الذكر كأداة لهيمنتها في سياق الصراع بين الجنسين تجلت في أن العنف الرمزي لا يتجسد في أشكال مادية مباشرة، بل في تأثيرات نفسية واجتماعية تمارسها الأنثى على الذكر، مما يغير ديناميكيات القوة بين الجنسين. في المجتمعات التقليدية، كان العنف الرمزي يمارس من قبل الذكور ضد النساء، حيث كانت الأدوار الاجتماعية تفرض على الأنثى الخضوع وعدم الاستقلالية في اتخاذ القرارات. مع تطور المجتمع، انعكست هذه الأدوار، وأصبحت الأنثى بدورها تستخدم العنف الرمزي ضد الذكر، ما يعكس تحولًا في العلاقات الاجتماعية بين الجنسين.

هذا النوع من العنف يتجسد في أساليب نفسية واجتماعية غير مباشرة مثل النقد المستمر، السيطرة العاطفية، والتحكم في القرارات اليومية، حيث يؤثر في الذكر دون أن تكون هناك مظاهر مادية للقوة. وتظهر هذه الفرضية بوضوح في السياقات التي يزداد فيها استخدام النساء لهذه الأساليب كأدوات للهيمنة في العلاقات، ما يعكس تغييرًا في توزيع السلطة بين الجنسين. العنف الرمزي في هذه الحالة يتجاوز التأثيرات الظاهرة ليعزز هيمنة الأنثى بطرق غير مرئية لكنها فعالة، مما يجعل الذكر يشعر بالعجز النفسي.

هذه الظاهرة تثير مشاعر العجز الذكوري، حيث يُحتمل أن يتعامل الذكر مع العنف الرمزي بمقاومة خفية أو تحمل داخلي، مما يعكس تحولًا في موازين القوة التقليدية بينهما.

ومنه فالفرضية محققة، حيث أن العنف الرمزي الذي تمارسه الأنثى ضد الذكر يمثل تحولًا في هيمنة الأنثى داخل العلاقات بين الجنسين. يُظهر هذا العنف الرمزي تأثيرًا غير مرئي ولكنه قوي على الذكر، ويعكس الصراع المتزايد بين الجنسين في المجتمعات الحديثة. الذكر قد يشعر بالعجز نتيجة لمواجهة هذا العنف النفسي والاجتماعي، مما يؤدي إلى تغيرات في العلاقة بينه وبين الأنثى من حيث السلطة والتأثير.

الفرضية الثالثة: الموروث الثقافي وصورة الأنثى المتسلطة في السحر والحكايات الشعبية.

في ضوء الفرضية الثالثة، الموروث الثقافي يتناول كيف يتم تمثيل الأنثى في العديد من الثقافات ككائن يمتلك قوى خارقة أو تأثيرات غير مرئية على الذكر، سواء من خلال الأساطير، السحر، أو الحكايات الشعبية. هذه الصورة للأنثى المتسلطة ليست مجرد خرافات أو قصص شعبية بل هي جزء من بناء ثقافي طويل يساهم في تشكيل الأدوار الاجتماعية عبر التاريخ.

الموروث الثقافي يعكس فكرًا جمعيًا يرى في الأنثى قدرة على التأثير في الذكر بطرق غير مباشرة وغير مرئية، سواء عن طريق السحر أو الأساطير التي تم تداولها عبر الأجيال. مثل هذه التصورات تعزز فكرة أن الأنثى تمتلك نوعًا من القوة أو السيطرة على الذكر، وإن كانت هذه السيطرة تُمارَس بشكل غير ملموس. يمكننا أن نرى ذلك في الحكايات الشعبية مثل "بقرة اليتامى" التي تُصوَّر فيها الأنثى على أنها المسيطرة داخل الأسرة أو في العلاقات مع الذكر، حيث يكون الذكر في كثير من الأحيان في موقف الخضوع أو الضعف أمام هذه القوة الأنثوية.

هذه التمثلات الثقافية تُظهر أن الهيمنة الأنثوية كانت موجودة حتى في العصور القديمة، حيث كان يُعتقد أن الأنثى قادرة على التسلط والتأثير على الذكر. اليوم، يمكن أن تتحول هذه الهيمنة إلى أشكال أكثر رمزية

ونفسية، مثل السيطرة العاطفية أو الاجتماعية التي تمارسها الأنثى في العلاقات. وهذه الأنواع من السيطرة، وإن كانت غير مرئية، تبقى فعّالة وتؤثر في موازين القوة بين الذكر والأنثى في المجتمع المعاصر.

ومن خلال الموروث الثقافي، يظهر أيضًا تمثل عن الذكر ككائن ضعيف أو عاجز أمام قوى الأنثى المتخيلة. هذا التمثل قد ينعكس على الواقع بشكل يجعل الذكر يشعر بعجز أو خضوع تجاه تأثيرات هذه الصورة الثقافية عن الأنثى. الحكايات الشعبية التي تُصوِّر الذكر في موقف الضعف أمام الأنثى تعزز هذا الشعور لدى الذكر، مما يؤدي إلى صراع داخلي في فهم دوره الاجتماعي.

في ضوء الفرضية الثالثة: يساهم الموروث الثقافي في تشكيل وتوجيه التمثلات الاجتماعية حول أدوار الذكور والإناث. الأنثى، كما تُصوَّر في العديد من القصص الشعبية والمعتقدات الثقافية، تكون في موضع القوة والهيمنة، في حين يظهر الذكر في صورة ضعيفة أو خاضعة. هذا التوزيع للأدوار لا يقتصر على الماضي بل يمتد تأثيره إلى الحاضر، مما يخلق صراعًا بين الأدوار التقليدية والحديثة.

في النهاية، يعكس هذا التحليل كيف يمكن أن تؤثر التمثلات الثقافية على العلاقات بين الجنسين وتُعزز الصور النمطية التي قد تُساهم في تعزيز الهيمنة الأنثوية أو العجز الذكوري.

الفرضية العامة

التحليل الأنثروبولوجي للفرضيات الثلاث يعزز الفهم العميق للتغيرات الاجتماعية والثقافية المتعلقة بالأدوار الاجتماعية بين الذكور والإناث. هيمنة الأنثى تتجسد في استراتيجيات متعددة مثل الاستقلال المالي والتعليم، بالإضافة إلى العنف الرمزي الذي تُمارسه الأنثى بشكل غير مرئي ولكنه فعال. الموروث الثقافي يعزز صورة الأنثى المتسلطة في الخيال الشعبي، مما يعكس تحولات جذرية في العلاقات بين الجنسين. هذه التحولات تكشف عن صراع مستمر بين الأدوار الاجتماعية التقليدية والحديثة، ويُظهر العجز الذي قد يشعر به الذكر في مواجهة هذه الهيمنة الثقافية.

3. عرض النتائج العامة

من واقع الحياة في المجتمع المحلي تبسة، توصلنا بعد دراسة تمثلات هذا المجتمع المحلي من حيث طبيعته وعاداته وتقاليده، إلى إبراز شخوصه ونماذجه الإنسانية المختلفة، أين عكست طبيعة هيمنة الأنثى السائدة في المجتمع التبسي، ومكانة الأنثى فيه وفق المؤثرات التي بدأت تهز عرش الثقافة القديمة بفعل تغير الصورة النمطية للأنثى التقليدية، وتأثير التحولات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية... الخ.

ومن خلال دراستنا لتمثلات الهيمنة الأنثوية خلصنا إلى النتائج الآتية:

- أثرت التحولات الثقافية والاقتصادية والتغيرات الاجتماعية التي مر بها المجتمع المحلي، فامتد هذا الأثر ليصل إلى موضوع الأنثى، فقد تغيرت صورتها لتبدو أنثى جديدة، بعد أن نالت حرية التعليم والعمل وحق المشاركة في الحياة بكل أطيافها وقد انفرد بعض المبحوثين بتقديم هذه الصورة الجديدة المتطلعة إلى التحرر وتغيير العلاقات السائدة .
- تغير صورة الأنثى التبسية عن الصورة النمطية للأنثى التقليدية في علاقاتها الأسرية (أم، أخت، زوجة) التي كانت تعكس واقع القيم والتقاليد، والتى كانت في مجملها صورة سطحية تتسم بالدونية والاستلاب والخضوع لإرادة الأب والزوج والابن وأعراف المجتمع وتقاليده، إذ تغيرت تماما عما كانت سابقا.
- كانت الأنثى التقليدية تعيش ضحية للظروف الاجتماعية المتخلفة إذ غالباً ما كانت خاضعة لإرادة الذكر فلا تمتلك حق الاختيار في كل ما يعني حياتها الخاصة، أما اليوم فقد أصبحت تلك الأنثى المتمردة على كل العادات والتقاليد والقيم المجحفة في حقها.
- الأنثى التبسية في ثقافة الحداثة أصبحت تشكل المحور الأساسي في صنع الحدث فدورها لم يعد سطحياً أو هامشياً وتأثيرها أصبح واضحا، من خلال ولوجها لكل قطاعات العمل.
- الاستقلال المالي لعب دورا أساسيا في تغير أدوار الجنسين وكان عاملا بارزا في تغوّل الهيمنة الأنثوية.
- اتساع فضاء الأنثى في المجتمع المحلي ولم يعد محصورا في بيت والدها أو بيت زوجها.
- تمثلات الأنثى القوية في مجمل حديث المبحوثين الذين أجمعوا على وصفها بالأنثى المسترجلة المستقوية المتمردة المتسلطة، وكان ذلك تعبيرا عن الواقع الجديد للأنثى ونظرة المجتمع الذكوري الذي لم يكن متقبلا لما آلت إليه الأوضاع الاجتماعية.

- تباين محتوى التمثل الاجتماعي حول مظاهر وأسباب الهيمنة الأنثوية نظرا لعدة عوامل إدراكية ومعرفية مجتمعية، وترجمت هذه العوامل عبارات تحدد الحقل الدلالي والمحتوى الضمني لتمثلات الجنسين.
- تفسير التمثلات الاجتماعية لظاهرة الهيمنة الأنثوية في الواقع الاجتماعي ضمن البناء المعرفي الموجود مسبقا والمتمثل في المعارف والمعلومات المشتركة اجتماعيا النابعة من ثقافة المجتمع والمشكلة لهويته خاصة الجانب المرتبط بالدين الإسلامي كركيزة من ركائز الهوية التي تميز المجتمع التبسي.
- انطلاقا من الملاحظات الميدانية في الواقع المادي المعاش، تبين أن التمثل الذي يحمله الذكر حول الأنثى لم يعد وفيا للثقافة التقليدية، ولم يعد من تمثلات العادات والاعراف بل إن التحولات التي شهدها العالم على مستوى الحريات الفردية والتعليم والتثقيف اصبحت هي المسيطرة ولاقت رواجا وقبولا كبيرين. وارتباطا بذلك، يلاحظ في السنوات الأخيرة انتشار سيطرة وتسلط الأنثى على الذكر، سواء في الشارع العام أو أماكن العمل أو في أماكن مغلقة.
- السيطرة النسوية على السلطة والقرار في المجتمع نتيجة تحول القيم النسوية إلى معيار للسلطة والاحتكام إلى النساء في تحديد القوانين والسياسات التي تؤثر على المجتمع.
- تحقيق نسبي لتوازن القوى بين الجنسين واحترام حقوق الأنثى ومشاركتها الفعالة في العملية القرارية.
- تدهور الضابط الديني للسلوك كشف عن تحول كبير في المجتمع الذي كان يعتمد في السابق على الدين كإطار مرجعي لتنظيم العلاقات بين الجنسين. تراجع هذا الضابط سمح بظهور حركات تطالب بالمساواة والحقوق، وأحيانًا بالهيمنة.
- التحولات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية أدت إلى تآكل الأدوار الرجولية التقليدية، مما أدى إلى شعور الكثير من الذكور بالاغتراب عن الذات والمجتمع. هذا الشعور ولد أزمة نفسية، أو ما يُعرف بالأزمة الرجولية، حيث يجد الذكور أنفسهم في حاجة إلى إعادة تعريف هويتهم في ظل معايير جديدة قد لا تتوافق دائمًا مع تمثلاتهم التقليدية عن الرجولة.
- تفشي العنف الرمزي الذي أصبح من الأيديولوجيات التي تبنتها الأنثى تجاه الذكر نتيجة تدهور وضعه المادي وفقد دوره التقليدي كمعيل للأسرة.
- اختلاف تمثلات الرقابة الانثوية لدى الجنس الذكوري بين مؤيد ومعارض.
- مخاوف المجتمع التقليدي ترجمت إلى واقع تمثل في اللباس، والسلوكيات والتنشئة الاجتماعية التي تحررت من كل القيم والأخلاق التقليدية.

- طرق التعبير الشعبية التقليدية أشارت إلى صراع بين القيم القديمة والجديدة، وبينت أدوار الأنثى والذكر التقليدية والمتحولة. إذ تظهر فيها الأنثى كقوة مهيمنة، بينما الذكر يظهر كضحية لهذه التحولات، مما يعكس الأزمة الرجولية في مواجهة التغيرات الاجتماعية.
- استنتجنا هشاشة النظام الأبوي في مجموعة من السلوكيات التي تحمل دلالة أنثربولوجية تشير إلى تقبل الأمر الواقع والتغيرات السوسيولوجية والثقافية.
- إجابات المخبرين عكست لنا وجود تذمر ذكوري من الهيمنة الأنثوية التي تسير نحو كل ما هو معاكس لقيم المجتمع التقليدي.
- غياب جزئي للدور الذكوري والذي ارتبط بالتصدعات العميقة للهيمنة الذكورية وهذا فسح المجال أمام هيمنة أنثوية.
- نتائج الدراسة تمحورت حول التمثلات التي قدمها المبحوثين حول الهيمنة الأنثوية التي عملت على تذويب الهيمنة الذكورية، مستعينة بالتحولات الثقافية الجديدة التي تدعمها الحركات النسوية ووسائل الإعلام والتحول الفكري.


خاتمة

خاتمة

في الختام يمكن القول أن الهيمنة الأنثوية تُعتبر ظاهرة اجتماعية معقدة تمثل تحولًا جذريًا في علاقات القوة بين الجنسين، ويتجسد هذا التحول في إعادة تشكيل الدور الاجتماعي للأنثى داخل النظام الثقافي والاجتماعي. وعند النظر إلى انعكاسات الهيمنة الأنثوية، يتضح أنها تُؤثر بشكل عميق على الذكر وعلى المجتمع المحلي التبسي، مما يطرح إشكاليات تمثلات الهوية للذكور والإناث على حد سواء.

بالنسبة للذكر، فإن تمثلاته للهيمنة الأنثوية غالبًا ما تكون مشحونة بالتوتر والصراع الداخلي. ففي المجتمعات التي تقوم على قيم أبوية، يُعد الذكر الموقع التقليدي للسلطة والهيمنة، وعليه فإن ظهور الأنثى المهيمنة يُعتبر تهديدًا لهذه الهيمنة التقليدية. هذه الصورة تُثير مشاعر التحدي والرفض في بعض الأحيان، إذ يتمثل الذكر هيمنة الأنثى كخروج عن القيم الثقافية الراسخة التي تشكّل هويته. ولكن في المقابل، نجد أن بعض الذكور قد يتفاعلون مع هذا التحول بشكل يتسم بالتكيف أو التسليم بالحتمية الاجتماعية الجديدة، مما يعكس تحولًا تدريجيًا في الوعي الجمعي للذكر تجاه مكانة الأنثى. فتمثل الذكر للهيمنة الأنثوية يظل في حالة من التغير المستمر، يعكس التفاعل مع التيارات الثقافية الجديدة التي تنشأ من الحركات النسوية والوعي الاجتماعي بالحقوق.

أما بالنسبة للأنثى، فإن تمثلاتها للهيمنة تتراوح بين تعزيز الذات واستعادة القوة والسلطة، وبين القبول بالقيود التي تفرضها الهياكل الاجتماعية القديمة. في بعض الحالات، قد ترى الأنثى في هيمنتها جزءًا من استعادة حقها الطبيعي في السلطة، خاصة في سياقات تاريخية أو ثقافية كانت فيها مقموعة أو مهمشة. لكن على الجانب الآخر، قد تواجه الأنثى تحديات كبيرة في تفعيل هذه الهيمنة على أرض الواقع، خاصة

في المجتمعات التي تظل متمسكة بقوة بالقيم التقليدية التي تحد من حرية حركة المرأة في الفضاء العام. مع هذا، فإن تمثلات الأنثى حول سلطتها تتشكل وفقًا للعوامل الاجتماعية والثقافية المتنوعة، والتي تشكل خلفية أساسية لفهم كيفية تعاملها مع هيمنتها في السياق الاجتماعي.

أما المجتمع المحلي، فهو يعكس بوضوح التوترات بين القيم التقليدية التي تدافع عن سلطوية الذكر، وبين التحولات التي تطرأ على المجتمع بسبب تغير الأدوار الاجتماعية للأنثى. الهيمنة الأنثوية في هذا السياق لا تُنظر فقط على أنها تحوّل في موازين القوة بين الجنسين، بل هي أيضًا انعكاس للتحولات الأوسع في المجتمع، والتي تشمل تغييرات في الحقوق المدنية والسياسية للمرأة، وظهور ثقافات معارضة للترتيبات التقليدية. هذه التحولات تؤدي إلى إعادة تقييم الدور الذي تلعبه الأنثى في الأسرة والمجتمع، مما يخلق صراعًا بين الرغبة في الحفاظ على الهوية الثقافية من جهة، وبين ضرورة التكيف مع القيم الاجتماعية الحديثة من جهة أخرى.

يظهر تأثير هذا الصراع في التوترات التي تنشأ حول دور الأنثى في مجال العمل، الأسرة، والتربية، وتتناقض هذه التوترات مع النظرة الأبوية التقليدية التي تعتبر الرجل هو صاحب السلطة العليا. وفي هذا الإطار، يظهر تصادم بين القيم المحافظة التي ترى في الأنثى دورًا ثانويًا في الهيكل الاجتماعي، وبين تلك التي تؤكد على المساواة والتمكين النسائي.

في السياق الأنثروبولوجي، يجب أن نفهم الهيمنة الأنثوية كعملية اجتماعية متغيرة، تتأثر بعوامل ثقافية وتاريخية واقتصادية متنوعة، وأن تمثلات الذكر والأنثى لها ليست ثابتة أو جامدة، بل تتطور استجابة للضغوط الاجتماعية والتغيرات الثقافية. كما أن الهيمنة الأنثوية تتخطى كونها مجرد سلوكيات فكرية أو ثقافية، فهي جزء من الحركة الاجتماعية المستمرة التي تساهم في إعادة تشكيل المفاهيم المتعلقة بالقوة والسلطة في المجتمع.

ختامًا، الهيمنة الأنثوية ليست مجرد تنازع على السلطة بين الجنسين، بل هي إعادة تمثل للأدوار الاجتماعية في سياق ثقافي يتسم بالتغير المستمر. هذه الهيمنة تعكس التحولات في مواقف المجتمع تجاه المرأة وحقوقها، وتُظهر الصراع بين الهياكل الاجتماعية القديمة التي تركز على سلطة الذكر، وبين الرؤى الحديثة التي تدعو إلى المساواة بين الجنسين. في ضوء ذلك، يبقى هذا الموضوع موضوعًا مركزيًا في دراسة التحولات الاجتماعية، التي لا تقتصر على تأثيرات الهيمنة الأنثوية على الذكر، بل تشمل أيضًا الآثار العميقة التي تتركها على المجتمع ككل في إطار بناء علاقات اجتماعية جديدة وأكثر توازنًا.



قائمة المراجع والمصادر

قائمة المراجع والمصادر

المراجع العربية

1. ابراهيم الحيدري، فلسفة التاريخ عند باخوفن، مجلة كلية الاداب، بغداد، 1979.
2. إبراهيم أنيس، عطية صوالحي، المعجم الوسيط، ج 2، إشراف: حسن علي عطية، شوقي أمين، دار المعارف مصر، 1973.
3. إبراهيم خاطر، الشباب ودورهم في التغيير والإصلاح، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2014.
4. ابن منظور، لسان العرب، ج4.
5. ابو زيد سمير، العلم والنظر العربية الى العالم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2010.
6. أحمد رأفت عبد الجواد، مبادئ علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، د/س.
7. أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان ناشرون الثانية، 1978.
8. أحمد عايد، مدخل لمنهجية البحث الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د. ط، 2006.
9. ادوارد تي هول، اللغة الصامتة، تر: لميس فؤاد اليحيى، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 2007.
10. إسماعيل قيرة وآخرون، التصورات الاجتماعية ومعانات الفئات الدنيا، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة.
11. الأسود حافظ، الأنثروبولوجيا الرمزية – دراسة نقدية مقارنة الاتجاهات الحديثة في فهم الثقافة وتأويلها، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2002.
12. أنتوني غيدنز، علم الإجتماع، تر: فايز الصياغ، مجد الميسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 4.
13. ايان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونر إلى هابرماس، تر: محمد حسين غلوم، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1999.

14. ايمانويل كانت، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، تر: عبد الغفار مكاوي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1960.
15. باقر موسى، الصورة الذهنية في العلاقات العامة، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن–عمان، نبلاء ناشرون وموزعون عمان، 2014.
16. بركة فاطمة، مظاهر سلطة الأب داخل الأسرة الجزائرية، رسالة ماجيستر في علم الاجتماعن جامعة الجزائر، 2000.
17. بن صافي حبيب، العنف وعلاقته بالفرد والمجتمع، مجلة الحوار الثقافي، عدد ربيع وصيف 2015م، مخبر حوار الحضارات، التنوع الثقافي وفلسفة السلم بجامعة مستغانم، الجزائر.
18. بوسنة عبد الوافي زهير، التصورات الاجتماعية لظاهرة الانتحار لدى الطالب الجامعي–دراسة ميدانية بجامعة بسكرة–، إ/ هاروني موسى، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم النفس الإكلينيكي، جامعة منتوري قسنطينة، 2007.
19. بيار بورديو، الهيمنة الكورية، تر: سلمان القعقراني، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2009.
20. بيار بورديو، جان كلود باسرون، إعادة الإنتاج تر: ماهر تريمس، مراجعة سعود المولى، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2007.
21. بيل أشكروفت جاريت، جريفث دراسات ما بعد الكولونالية، تر: أحمد الروبي، أيمن حلمي، تقديم كرمة سليم، إشراف: جابر عصفور، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط 1، 2010.
22. تهاني محمد عثمان منيب، عزة محمد سليمان، العنف لدى الشباب الجامعي، مركز الدراسات والبحوث– جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية–، الرياض، 2007.
23. جريدر فيروز، دراسة ميدانية حول التصورات الاجتماعية للأساتذة تجاه ظاهرة الفشل المدرسي في التعليم الثانوي، أوقاسي لونيس، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس المدرسي، جامعة منتوري– قسنطينة، 2010.
24. جمال بن عمار الأحمر، الصور الذهنية –في الفلسفة والعلوم الإنسانية–، ط1، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، 2016.
25. جورج طرابيشي، نقد العقل العربي، العقل المستقيل في الإسلام، ط1، دار الساقي، بيروت، 2004.

26. جورج غروفيتش، الأطر الاجتماعية للمعرفة، تر: خليل أحمد خليل، ط2، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2008.
27. جوردون ماريشال، موسوعة علم الاجتماع المجلد الأول، تر: محمد الجوهري، هناء وآخرون، مراجعة وتقديم: محمد الجوهري، المجلس الأعلى للثقافة، ط 2، 2007.
28. جوزيف س. ناي، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية، تر: د. محمد توفيق البجيرمي، ط1، الرياض، م. ع. س، 2007.
29. جيرار ليكلرك، العولمة الثقافية –الحضارات على المحك–، تر: جورج كتورة، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004.
30. جيرنو أحمد جالو، الفضائيات المتخصصة والصور الذهنية، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، نبلاء ناشرون وموزعون، عمان، 2016.
31. جيل دولوز، فلسفة كانط النقدية، ت/ أسامة الحاج، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان،1997.
32. جيلبير دوران، الخيال الرمزي، تر: علي المصري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط2، 1994.
33. الحاج الشيخ سمية، التصورات الاجتماعية للمرض العقلي لدى الأطباء، إ/ بوسنة عبد الوافي زهير، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس، تخصص علم النفس الاجتماعي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2012.
34. الحاج بلقاسم، المرأة ومظاهر تغير النظام الأبوي في الأسرة الجزائرية –دراسة ميدانية وصفية لأهم مظاهر التغير الاجتماعي في الوسط الحضري للعاصمة، جامعة الجزائر 1، 2013.
35. حسين عبد الحميد أحمد رشوان، البناء الاجتماعي: الأنساق والجماعات، مؤسسة شباب الجامعة، د.ط، 2007.
36. حسين فهيم، قصة الأنثروبولوجيا، فصول في تاريخ علم الإنسان، سلسلة عالم المعرفة رقم 98، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون، الكويت، فبراير 1986.
37. حنا ديب، هيجل وفيورباخ، ط1، أمواج للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1994.
38. حورية هدهود، الاغتراب النفسي وعلاقته بالتوافق النفسي الاجتماعي لدى المراهق الجانح، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، تخصص علم النفس، فرع علم النفس الجنائي، جامعة المسيلة، 2012.

39. خالد حامد: المدخل على علم الاجتماع، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
40. خالد حامد: منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والانسانية، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
41. د. شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا، الكويت، 1981.
42. د. معن خليل العمر، علم اجتماع الجندر، سيدني، أستراليا، 2014.
43. د. يحيى سعد، نظرية الانتشار الثقافي، موقع دراسة للاستشارات والدراسات والترجمة، 2021.
44. دنسكوتش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير السعيداني، بيروت، ط1، 2007.
45. دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير السعيداني، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007.
46. دينكن ميشيل، معجم علم الاجتماع، تر: إحسان محمد الحسن، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1989.
47. رجاء ناصر، المرأة العربية والمشاركة السياسية، ط 1، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، 2017.
48. زرواتي رشيد، تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم االاجتماعية، ط1، 2002.
49. سالم يساري، ثقافة العنف المجتمعي وأسئلة التنمية والتحديث، مجلة فيلاديلفيا الثقافية، جامعة فيلاديلفيا، 2010.
50. سجموند فرويد، محاضرة تمهيدية جديدة في التحليل النفسي، تر: عزت راجح، مكتبة مصر، د. ط.
51. سعيد التل، مناهج البحث العلمي "طرق البحث النوعي"، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2007.
52. سميرة أحمد السيد، مصطلحات علم الاجتماع، ط1، مكتبة الشقري، السعودية، 1997.
53. سيد علي ميلود، تمثلات عمال القطاع الصناعي الخاص الواقع المهني، إ/ كمال علي مزيغي، مذكرة لنيل شهادة ماجستير تخصص تنظيم وعمل، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2004.
54. عاطف غيث محمد، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1989.
55. عامر نورة، التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية، إ/الهاشمي لوكيا، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس وعلوم التربية، قسم علم النفس، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، 2004.
56. عباس حسن، المرأة في عصر النبي محمد، 2007.
57. عبد العزيز، معجم علم النفس والتربية، ج 1، إعداد: فؤاد أبو حطب، محمد سيف الدين، تنفيذ: سعد الحرب، المطابع الأميرية، مصر، 1974.

58. عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة، مركز دراسات الوحدة العربية، 2017.
59. عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة.
60. عبد الكريم بزاز، علم اجتماع بيار بورديو، إ/ نور الدين بومهرة، دراسة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، علم الاجتماع والديموغرافيا جامعة منتوري، قسنطينة، 2006.
61. عبيد الله العبيدي، المرأة في الجاهلية والإسلام، ط 1، دار الفكر العربي، 1995.
62. عبيدي سناء، العوامل الأسرية التي تجعل الطفل في خطر تصورات الأخصائي النفسي في ولاية قسنطينة، دراسة ميدانية لنيل شهادة الماجستير في علم النفس العيادي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009.
63. العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، الجزائر العاصمة.
64. علي بوعلاقة، بلقاسم سلاطنية، علم الاجتماع التربوي ـ مدخل ودراسة قضايا المفاهيم ـ، منشورات جامعة محمد خيضر، بسكرة.
65. علي خليل شقرة، الإعلام والصورة النمطية (صورة العرب والمسلمين نموذجا)، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، نبلاء ناشرون وموزعون، عمان، 2015.
66. علي فالح الهنداوي، علم نفس النمو–الطفولة والمراهقة–، ط2، دار الكتاب الجامعي، العين، 2002.
67. عمار بلحسن، المشروعية والتوترات الثقافية الدولية ... المجتمع والثقافة في الجزائر، في: جيوفري نويل سميث، كينتين هور، غرامشي وقضايا المجتمع المدني، ت/ فاضل جتكر، ط1، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، 1991.
68. الغزوي فهمي وآخرون، المدخل إلى علم الاجتماع، عمان، دار الشروق، 1992.
69. غوستاف لوبون، سيكولوجية الجماهير، تر: هاشم صالح، ط1، دار الساقي، بيروت، 1991.
70. فاروق محمد العادلي: الأنتروبولوجيا التربوية، دار الكتاب الجامعي، مصر، 1981.
71. فاروق مداس، قاموس مصطلحات علم الاجتماع، سلسلة قواميس المنار، دار مدني، د. س.
72. فرح موسى الريفي وعلي مصطفى الشيخ، مبادئ البحث التربوي، مكتبة الأقصى، الدارالعربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ط.
73. فرويد وآخرون، سيكولوجية العدوان، بحوث في ديناميكية العدوان لدى الفرد الجماعة الدولة، تر: عبد الكريم ناصيف، ط1، دار منارات للنشر، عمان، 1986.

74. فهمي الطاهر، المرأة في الإسلام: دراسة تحليلية، ط 2، مركز دراسات المرأة، دمشق، 1999.
75. فؤاد البهي السيد، علم النفس الاجتماعي، دار الكتاب الحديث، الكويت، د/س.
76. فيليب كابان، جان فرانسوا دورتيه، علم الاجتماع، من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارت، تر: إياس حسن، ط1، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، 2010.
77. فيليب لايورت، تولرا جان، بيار فارنييه، إثنولوجيا أنثروبولوجيا، تر: مصباح الصمد، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2004.
78. كامل محمد محمد عويضة، علم نفس الشخصية، سلسلة علم النفس رقم: 14، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.
79. كريس هارمان، غرامشي ضد الإصلاحية، تر: مركز الدراسات الاشتراكية، مصر د.ط، د.ت.
80. كريم زكي حسام الدين، اللغة والثقافة، دار غريب، القاهرة، ط2، 2001.
81. كولن فريزر وآخرون، تقديم علم النفس الاجتماعي، ت/ فارس حلمي، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2012.
82. لشطر ربيعة، التصورات الاجتماعية لأطفال الشوارع مدينة عنابة نموذجا، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس الاجتماعي، جامعة 20 أوت 55، سكيكدة، 2008.
83. لوران فلوري، ماكس فيبر، تر: محمد مقلد، دار الكتاب الجديد، بيروت – لبنان، ط 1، 2008.
84. ليلى أحمد، المرأة والحداثة في العالم العربي، ط 1، دار النهضة العربية، بيروت، 1992.
85. ليلى حمدان، المرأة العربية في العهد العثماني، ط 1، دار الفكر العربي، بيروت، 2010.
86. ليندا جين شيفرد، أنثوية العلم، العلم من منظور الفلسفة النسوية، تر: يمنى طريف الخولي، سلسلة عالم معرفة، عدد 306.
87. مالك بن نبي، شروط النهضة، ت/ عبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، 1986.
88. مالك بن نبي، مشكلات الحضارة –مشكلة الثقافة–، تر: عبد الصبور شاهين، ط4، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2002.
89. مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط4، 1984.
90. مالك بن نبي، مشكلة تبسيط الأفكار في العالم الإسلامي، ط1، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1997.

91. محجوب محمد عبدو، الإتجاه السوسيوأنثروبولوجي في دراسة المجتمع، وكالة المطبوعات، الكويت.
92. محمد الجوهري، المدخل الى علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 2007.
93. محمد السويدي، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري: تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغير في المجتمع الجزائري المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون.
94. محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984.
95. محمد عبيداتو وآخرون، منهجية البحث العلمي أنواعه والتطبيقات، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، الجامعة الأردنية،1999 .
96. محمد عودة الريماوي، علم نفس النمو–الطفولة والمراهقة–، ط2، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2008.
97. محمد لمباشري، دوركايم والتمثلات الجمعية: مقاربة نفسية اجتماعية تربوية.
98. مزوز بركو أطروحة دكتوراه إجرام المرأة في المجتمع الجزائري العوامل والآثار 2007/2006.
99. معتوق جمال، المرأة والجريمة (النظريات المفسرة للجرائم النسوية)، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2017.
100. مها عيساوي، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ المغرب القديم بعنوان المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، 2010.
101. ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي المركز الثقافي، الدار البيضاء– المغرب، ط 3، 2002.
102. ميرال مصطفى عبد الفتاح، صورة العرب –في الفضائيات الإخبارية الأجنبية–، ط1، دار العالم العربي، القاهرة، 2013.
103. ناجية الوريمي، زعامة المرأة في الإسلام المبكر بين الخطاب العالم والخطاب الشعبي، (دط)، دار الجنوب، تونس، 2016.
104. نادية دشاش، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير بعنوان عنف الزوجة ضد الزوج أسبابه وأشكاله، فرع علم النفس الاجتماعي، 2006.
105. نجلاء الهذلي، المرأة في العهد العثماني: تحليل تاريخي اجتماعي، ط 2، مركز الدراسات الاجتماعية والتاريخية، 2005.
106. نوال شفيق، نساء في الخلافة العباسية، ط 1، دار الكتاب العربي، بيروت، 2002.

107. نيقولاي برديائف، العزلة والمجتمع، ت/ فؤاد كامل عبد العزيز، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر، 1982.

108. هادية العود البلهول الانحراف النسوي دوافعه النفسية وعوامله المجتمعية، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2010.

109. هارلمبس هولبورن، سوسيولوجيا الثقافة والهوية، تر: حاتم حميد محسن، دار كيوان، دمشق، ط1، 2010.

110. هالة عبد اللطيف، النسوية العربية والتحولات الاجتماعية، ط 1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2019.

111. هدى شعراوي، مذكرات هدى شعراوي، ط 2، دار الهلال، القاهرة، 1986.

112. يحي مرسي عيد بدر، أصول علم الإنسان الأنثروبولوجيا، ج1، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2007.

المراجع الأجنبية

113. ADDI Lhouari, Sociologie et Antropologie chez pierre BOURDIEU, Edition de couverte, Paris, 2002.
114. Bandura A., & Walters R.H, Social learning and personality development. Holt Rinehart and Winston : New York
115. BOURDIEU Pierre, Esquisses d'une théorie de la pratique, Editions Du seuil, Paris, 2000/1972.
116. Chris Drew, The 6 Types Of Cultural Diffusion (AP Human Geography), 2023,
117. CLENET j, Représentation, Formation et Alternance, Edition Developpement l'harmattan, Paris, 1998.
118. Dominique Aimon, le concepte de representation, DEA, En science de l'éducation, 1998.
119. Donna J. Haraway, Simians, Cyborgs, and Women : The Reinvention of Nature, 1st edition, Routledge, New York, 1991.
120. DURKEIME E, Sociologie et philosophie, P.U.F Paris, 1967.
121. Gesell (S.), Histoire ancienne de l'Afrique du nord, T. 1, éd. Hachette, Paris, 1970.
122. Gustave Nicholas Fischer, la psychologie sociale, édition le Sevil, Paris, 1997.
123. JODLET Denis, Les Représentations sociale, P.U.F Paris, 1989.
124. Lacoste Dujardin (Camille), Des mères contre les femmes, Paris, Ed de la découvert،1985.
125. Mauss Marcel, Essai sur le don. Forme et raison de l'échange dans les sociétés archaïques, in Mauss Marcel, Sociologie et anthropologie, Paris, Presses universitaires de France, 1980.

126. Michel Foucault, The History of Sexuality, Volume 1: An Introduction, 1st edition, Vintage, 1976.
127. Michel Théron, comprendre la culture générale, édition Marketing éditeur des préparations de grandes écoles médecine, Paris, 1991.
128. Pierre Ansar, les sociologies contemporaines, édition le Seuil, Paris, 3éme édition, Septembre 1990.
129. Royal Anthropological Institute of Great Britan and Irland, Notes and Queries of Anthropology, 6th.ed, London, 1951.
130. Serge Moscovici, Des représentations collectives aux représentations sociales : éléments pour une histoire, LES REPRÉSENTATIONS SOCIALES, chapitre 2, pp. 62-86. Paris : Les Pres-ses universitaires de France, 1ère édition, 1989, Collection : "Sociologie d'aujourd'hui".
131. Templane laurens et Nicolas Roussian, la mémoir sociale indentité et représentation sociale, P.U.R cedex, 2002.
132. Victor Turner, *The Ritual Process : Structure and Anti-structure* (New York : Cornell University Press, 1991).
133. ZERDOUMI Nafissa, Enfants d'hier, l'éducation de l'enfant en milieu traditionnel algérien, Paris, Maspéro, 1970.

مواقع الانترنيت

134. https://www.djelfa.info/vb/showthread.php?t=906909
135. https://www.tiktok.com/@crazybiladers/video/7303962706984389894
136. https://tadwine.wordpress.com/page/3/
137. https://www.foochia.com/archive/273599


الملاحق

دليل المقابلة

الاستراتيجيات

1. هل تؤمن بأن الأنثى تمتلك القدرة على التفكير بعيد المدى ووضع أهداف مستقبلية بأسلوب واقعي ومتوازن؟
2. ما رأيك في مدى قدرة الأنثى على تحليل المواقف والأحداث بشكل عميق ودقيق؟
3. ما رأيك في الأنثى التي تحرص على فحص الأمور من زوايا متعددة قبل اتخاذ قراراتها؟
4. برأيك، هل سعي الأنثى للتعلم واكتساب المعرفة من خلال التعليم الرسمي أو المصادر المتنوعة كالدورات والكتب والإنترنت يعزز من رغبتها في التسلط والهيمنة؟
5. ما السبب في أن الأنثى لم تعد تقبل آراء الآخرين في شؤونها الخاصة، وكيف ساهم وعيها في تمكينها من فهم مشاعرها ومشاعر من حولها، بالإضافة إلى قدرتها على التعبير عن أفكارها وآرائها بوضوح وثقة، وإقامة حوار فعّال؟
6. ما تعليقك على استقلالية الأنثى في اتخاذ قرارات حياتية بناءً على تفكيرها الشخصي، سواء في العلاقات أو في مسيرتها المهنية؟
7. ما تعليقك على محاولة الأنثى اليوم الإنخراط في نشاطات تهدف إلى تحسين وضعها ودعم القضايا الاجتماعية التي تهمها، بالإضافة إلى سعيها لتحقيق أهدافها الخاصة والتغلب على الصعوبات المرتبطة بالقيود الاجتماعية والثقافية؟
8. ما تفسير فهم الأنثى لثقافتها ومحيطها الاجتماعي، ووعيها بالقضايا التي تؤثر عليها وعلى غيرها من النساء في المجتمع؟

9. ما تفسير قدرة الأنثى على تأمين دخلها الخاص واتخاذ قرارات مالية مستقلة بعيداً عن التبعية؟ ولماذا أصبحت الأنثى اليوم تعتمد على نفسها أكثر من اعتمادها على الآخرين؟

10. هل يشكل الاستقلال المالي للأنثى تهديدًا للنظام التقليدي الذي يحدد دور الذكر كمُعيل؟

11. في رأيك، هل أصبحت الأنثى اليوم قادرة على تحديد القيم التي تؤمن بها، وتطبيقها في حياتها اليومية، والتصدي للممارسات التي تتناقض مع هذه القيم؟

12. برأيك، هل أثرت مشاركة الأنثى في العمل على الأدوار الأسرية التقليدية، خاصة في مجال التنشئة الاجتماعية؟

العجز الذكوري

1. هل لا يزال الذكر يحتفظ بالدور التقليدي في قيادة الأسرة وإدارة شؤون المنزل؟ وهل يعاني من ضغط اجتماعي بسبب الأدوار الأسرية الجديدة التي فرضتها الأنثى، وكيف يراها في سياق التغيرات الاجتماعية؟

2. هل تعتقد أن الأنثى قد تستخدم أساليب معينة للتأثير على قرارات حياتية لشريك حياتها، مثل تحديد مكان عمله أو تحديد الأشخاص الذين يزورهم؟ وهل يُمارَس ضغط اجتماعي أو عائلي على الذكر ليخضع لهذه القرارات؟ وكيف يساهم هذا في تشكيل مفهوم الهيمنة والتحكم الأنثوي؟

3. هل تعرضت لضغوط نفسية من الأنثى في أي مرحلة من حياتك؟ وكيف كان تأثير ذلك عليك؟

4. هل يُعتبر العجز المالي للذكر أمام رغبات الأنثى مصدرًا للتوتر في العلاقة؟ كيف يمكن أن يؤثر هذا على توازن العلاقة بين الزوجين؟

5. كيف يمكن للذكر التعامل مع الضغوط الاقتصادية التي يواجهها في الحياة اليومية؟ هل توجد استراتيجيات فعّالة للتعامل مع هذه الضغوط؟

6. هل تعتقد أن استقلال الأنثى المالي قد يساهم في زيادة التوترات داخل العلاقة بسبب اختلاف القوى بين الزوجين؟ إذا كان الأمر كذلك، كيف يرى الذكر الاستقلالية المالية والحرية المطلقة للأنثى؟ وهل يؤثر هذا على تصوره لدور الأنثى في المجتمع؟

الثقافة الشعبية

1. هل تعتقد أن الحكاية الشعبية "بقرة اليتامى"، التي يعرفها الجميع، تحمل دلالات رمزية تعكس تسلط الأنثى في شخصية "زوجة الأب"؟

2. في رأيك، هل تلجأ الأنثى لاستخدام السحر كوسيلة لفرض سيطرتها على الذكر؟ وكيف يمكن لهذه الممارسات أن تؤثر على توازن القوة والعلاقة بين الجنسين؟

3. هناك أغاني شعبية تتناول فكرة "حكم الأنثى" بأسلوب ساخر أو جاد. هل تجد نفسك مستمتعاً بسماع مثل هذه الأغاني؟ وإذا كنت لا تستمتع بها، فما الذي يثير تحفظك تجاهها؟

وسائل الاعلام

1. حسب رأيك، كيف يسهم الإعلام الحديث في تشكيل صورة "الأنثى الجديدة"، وما تأثير ذلك على المجتمع؟

2. ما تفسيرك لدور المؤثرات على مواقع التواصل الاجتماعي (مثل فيسبوك، تيك توك، وإنستغرام) في تحفيز الفتيات على التمرد على الأعراف الاجتماعية؟

3. كيف ترى تأثير نشر وسائل الإعلام لصور الأنثى وهي تقوم بسلوكيات تُعتبر غير محتشمة على تشكيل القيم والمعايير الأخلاقية في المجتمع؟

4. هل تعتقد أن الإعلام أصبح أداة لتغيير المعايير الاجتماعية التقليدية المتعلقة بدور الجنسين؟ وكيف ينعكس ذلك على العلاقات بين الذكور والإناث؟

التمظهرات

1. كيف ترى سلوك الأنثى اليوم؟ وهل تعكس تعابيرها وإيماءاتها قوة أو سيطرة في العلاقات بين الجنسين؟
2. ما رأيك في ظاهرة "الكلوشارات"؟ وهل تُشعرك سلوكياتهن بالتهديد أو الخوف؟
3. كيف تفسر ظاهرة الأنثى التي تتشبه بالذكر؟ وهل ترى في ذلك تحديًا للأدوار التقليدية؟
4. كيف تمكنت الأنثى من تحسين فرصها في العمل؟ هل يعود ذلك لكفاءتها أم لمظهرها الخارجي؟
5. ما تصورك للأنثى في الأدوار القيادية؟ وهل طرأ تحوّل في هذا التصور؟

تمثلات الرقابة والأوامر الانثوية

1. هل تفرض الأنثى أوامر تقيد حرية الذكر أو خياراته؟
2. هل لاحظت مواقف يومية تحاول فيها الأنثى فرض رأيها باستمرار؟
3. كيف يتعامل الذكر مع أوامر الأنثى في الحياة اليومية؟ وهل يقاومها أم يتقبلها؟
4. هل تختلف نظرة الذكر للأوامر الأنثوية بين العمل والحياة العائلية؟
5. هل يمكن اعتبار الصراع بين الجنسين حافزًا لإثبات الذات الأنثوية؟
6. هل يرى الذكر الرقابة الأنثوية اهتمامًا أم تدخلاً غير مبرر؟
7. هل فقد الذكر مكانته القيادية بسبب تصاعد تأثير الأنثى في صنع القرار؟

العنف الرمزي

1. كيف يؤثر استخدام الشتائم والعنف اللفظي بين الجنسين على العلاقات اليومية؟
2. ما تفسيرك لاستخدام بعض النساء العنف ضد الرجال في المواقف الاجتماعية؟ وهل يعكس ذلك شعورًا بالقوة أم العجز؟
3. هل تعتقد أن التصرفات المؤذية نفسيًا من قبل الأنثى، مثل الكلام الجارح، تمنحها شعورًا بالتسلط؟ وكيف يؤثر ذلك على العلاقات الاجتماعية؟
4. لماذا قد تلجأ بعض النساء إلى النقد أو السخرية كأسلوب للتأثير على الرجال؟
5. هل لديك أمثلة من المجتمع تظهر فيها الأنثى تهدد أو تتحدى دور الذكر التقليدي؟
6. هل لاحظت نماذج لسلوكيات عنف أو تنغيص تمارسها الأنثى ضد الذكر؟
7. كيف يؤثر العنف الرمزي الممارس من الأنثى على صورة الذكرذ التقليدية؟ وهل يغير ذلك من أدوار الجنسين؟
8. لماذا قد تستخدم بعض النساء أساليب مثل التلاعب أو الاستهزاء للحصول على ما يريدن من الرجال؟
9. ما تأثير العنف الرمزي الذي تمارسه الأنثى على الحالة النفسية للذكر والعلاقات العاطفية؟

سلوكيات التمرد والعصيان

1. هل تلاحظ تمرد النساء على القوانين والعادات التقليدية؟ وكيف يظهر ذلك في تعاملاتهن مع الرجال؟
2. كيف تؤثر سلوكيات مثل التحدي والعصيان على العلاقات بين الجنسين؟ وكيف يفسر الرجال هذه التصرفات؟
3. ما تأثير تمرد الأنثى في المجتمعات التقليدية على صورتها ودورها الاجتماعي؟

الحكاية الشعبية: "بقرة اليتامى"

قالك واحد الراجل يخدم فلاح وعندو بقرة مربيها، ماتت مرتو خلاتلو طفلة وطفل وقبل ما تموت وصاتو على البقرة وقالتلو ماتبيعهاش خليها للولاد، ازوَج هاذاك الراجل بعدما ماتت مرتو وجاب مرا أُخرى، هاذيك المرا زادت جابت معاه طفلة، أَمالا مرتْ باباهم ولات تغير منهم ياسر وماتمدلهمش ياكلوا ويشربوا، عادوا كي يجوعوا مساكن يروحوا للبقرة ويشربوا منها، وكانت هاديك البقرة عندها ضرع عسل ولآخر حليب، يرضعوا لولاد حتى يشبعوا، أمالا لولاد هادوك بقاو غير يكبروا و يَزْيانوا، حارت مرت باباهم، وقالت وَشْ ياكلوا هاذو الذراري حتى جابوا رواحهم هكا، وبنتي نعطيها تاكل قلب الحبة ما كبرت ما سمانتْ؟ من اليوم نرجعَ انْعسّهم...، كي عسّتْهم لقاتهم يرضعوا من البقرة، قالت لراجلها بيع البقرة، قالها يا مرا كيفاه نبيع البقرة، بقرة ليْتامى ماتتباعش يا مخلوقة أنعلي الشيطان، قالتلو قلتلك بيعها يعني بيعها، الراجل مسكين صاب روحو بين نارين كي مَغلوب الشرَع، دا البقرة للسوق ويعيطْ ويْقول: يا اللي يْسَمّعْكُم بالخيرْ بَقْرَة لَيْتامى اللي يشريها يعشي فالندامة ...، يردوا عليه الناس ويقولوا، ماتتباعش، يعاود يردّها للدار، مرة على مرة والحال كيما راه. قالتلو مرتو إدّيها المرة هاذي تتباع قالها يا مرا البقرة تاع ليتامى ماتتباعش، قالتلو قلتلك المرة هاذي تتباع، دا البقرة ومشى للسوق هو خْرَج منّا وهي لبست برنوس ودارت عمامة كيما الرجال ومشات للسوق، كي عيط وقال يا مّالين الدلالة بقرة ليتامى تتباع ولا لالا...؟ نطْقَت هي بصيفَةْ راجَل وقالت بيع تَرْبَحْ، راح الراجل للجزار ودّا البقرة باعهالو وقالّو عندي شَرط واحد، خليلي الضرع تاع البقرة للذراري، أعطاه هاذاك الضرع ودّاه الراجل وراح حطّو في قبر مرتو يمّات ليتامى، وكي رجع للدار قالهم كي تجوعوا روحوا لقْبَر يمّاكم راني خليتلكم ضرَع البقرة، عادوا الذراري كلما يجوعوا يروحوا للقبر ويرضعوا من هاذاك الضرع، تباعت البقرة بصح لولاد مازالوا كيما راهم شابين وصحاح، حارت مرت باباهم ووصات بنتها تبّعهم وتشوفهم واش ياكلوا وتاكل كيفهم باه تكبر وتزيان كيما هوما، تَبعتهم لقاتهم راحوا للقبر تاع ماماهم وكي فاقوا بلّي

راها تعس فيهم داروا رواحهم ياكلوا في الحشيش، كلات كيفهم بالصح مازيانتش، صفارت ومرضت، مرت باباهم ضَربَتْهُم وقالتَلهم علاه أنتم تاكلوا الحشيش تكبروا وهي مَرْضَت...، كي راحت ترقد بقات تخمم كيفاش تدير باش تتهنى منهم.

قالت لراجلها يا راجل البلاد هاذي ما فيهاش الخير لازم نرحلوا منها ... الصباح ناضوا بكري ولمّوا قشّهم ورحلوا، فالطريق جازوا على واد، مَدّت للطفل كَسْكاس وقالتلو عمر فيه الماء ومدّت للطفْلَة الصوف كحلة وقالتَلها ردّيها بيضَة، راحوا لَولاد مساكن للواد وبدا الطْفل يعمر في الكسكاس وهو يقطر والطفلة تغسل في الصوف ما تنقاتش، وَلى الطْفَل يْغلق في الكَسِكاسِ بالطين باش يتعمرلو بالماء جاء ليه زاوش وقالوا: طرّي بالطينْ يَا مَسْكين نَاسَكْ رَحلوا وأنت في العين، كي سمعوا الزاوش يقوللهم هكذا فاقوا بلّي كاين حاجة رَواحوا للدَار، مَرت باباهم قْبَل ما ترحل خَبْزَتلهم الكسرة ودارت فيها الرهْج، ورَبطت الكلب في الرحى (الطاحونة) هو يدور والمَطحنة دور معاه باه مايفيقوش لولاد بلّي راحوا وخلّاوهم، دخلوا لولاد ولقاو الكسرة، شدّ الطفل مورصو باه ياكل ماخلّاتوش أُختو قالتلو مرت بابانا ماشي موالفة تخبزنها وضُك راهم راحوا وخلاونا، استنى نفوتوا نجربوها في الكلب، رماو مورصو كسرة للكلب كي كلاها مات، ولات مشات هي وخوها، مشاو، مشاو، مشاو، مشاو، ... وصلوا لعين البقر، عْطش الطفل وقالها أُختي عطَشت خليني نشرب من هاذيك العين قالتلو لالا يا خويا ماتشربش هاذي عين البقرة تعود تشرب وتوليلي بقرة، زادوا مشاو مشاو وصْلوا لعين الداب قالها أختي عْطَشِت نَشِرب قالتلو لالا يا خويا ماتشْربش توليلي دابْ، زادوا مشاو مشاو لْقاو عين الحصان قالها أختي نشرب قالتلو لالا يا خويا ماتشربش تْعود توليلي حْصان، زادوا مشاو مشاو لقاو عين لَغْزال قالها أختي نشرب قالتلو لالا تعود توليلي غْزال، مسكين عطش ياسر خلّاها مشات شوية ورْجع وشرب كي دارت لقاتو لْحَقْها غْزال قالتلو خْدَعَتْني يا خويا يا وليد امّا وبويا، قالها مانْساكشْ يا خْتي حتى نموت، راحوا لواحد لبلاصة هي طلعت للشَجرة وتبات وهو يبات تحت الشجرة، تقعد هي في الشجرة وتمشط شعَرْها لواحد النهار جاء السُلطان يْشَرب لَحْصان تاعو،

امالا لصقت شعرة طويلة في لسان لَحصان وماحبش يشرب، شاف السُلطان هاذاك لحصان لقى الشعرة دايرة على لسانو نحاهالو، وقال مولات هاذي الشعرة ما تكون غير عدرة وراح قاس هاديك الشعرة على البنات كامل تاع الدشرة وما لقى حتى وحدة عندها شعر كيما هاديك الشعرة ولّى رجع للعين شاف ظل الطفلة في الماء تاع الواد ...، طلع راسو لقاها فوق الشجرة قالها إنْس ولا جنْ؟ قالتلو إنْس ... لا إله إلا الله محمد رسول الله، قالها اهبطي ما حبتْش، راح وبعثلها لعجوز الستوت قالتلو أنا نقْدر نجيبهالك، راحت الستوت تحت الشجرة وحطت تخبز في الكسرة على الطاجين وهو مقَلوب وجابت المعزة وتحلبها من قرونها وتَحْكَمها من ضرَعْها، نَطْقت الطفلة وقالت لها ماشي هاكذاك، قالتها الستوت أرواحي أخبزيلي مالا واحلبيلي، هبطت وخبزت لها وحلبتلها المعزة ولْغدوة من ذاك زادت رجعت الستوت ودارت نفس الخدمة وكي نزلت ربطتها حتى جاء السُلْطان، امّالّا قالها نزَوج بيك، قالتلو نقبل نَزوج بيك بَصح بْشَرط، مَا تاذيشْ خويا لَغْزال، قالها شَرْطك مَقبول، زَوجت بيه ولّات عايشة في خيرْ بالخديمات في لَقْصَر، يوم من لَيام جاء باباها يَطْلب، طلت من التاقة عَرْفاتو قالت للخُدّام قولولو يستنى حتى نخبزولو الكسرة، خَبْزت الكسرة ودارت فيها اللّويز، وبعثتهالو وقالتلو ما تَقْسَمهاشْ حتى تكون بين ولادك، وصل للدار وحط الكسرة في الطابلة وقْسَمها طاح منها اللّويز، قالتْلو مرتو هاذي ما تكون غير بنتك لونجة، غَدوة إدّي خْتْها ورُوح لعندها، كي داها فرحت بيهم لونجة وقعدت هي وختها يشمسو قدام البير خت لونجة دزّتها وطاحت لونجة في البير وكانت حامل بالتوام، وراحت حَكْمت بلاصتها، وكي جاء السلطان قالها واش بيك يا لونجة كْحَلْتي قالتلو من ماء بلادكم، قالها وش بيها عينك عوارت قالتلو من كحل بلادكم، قاللها وش بيه شعرك حراش قالتلو من زيتكم، غَدوة من ذاك قالتلو أذبح لَغزال قالها كيفاه نَذبحو يخي تفاهمنا عليها قالتلو قلت لك أذبحو، سمع لغزال واش قالت العورة، راح للبير وقعد يقول لونجة، لونجة يا بنت مّا لَمواسْ مضات والطناجر غلات، وخوك لَغْزال في المَمات، قالتلو روح للسلطان وقولو يذبح بقرة ويشلحها ويملحها ويحطها على طرف البير، راني ولدت وموسى على رُكبة وعيسى على رُكبة ولَحنش بوسَبْع روس يعسّ فينا، سمعو الخُدّام الهدرة هاذي وراحوا

قالوا للسُلطان روح شوف لَغْزال واش يقول عند البير، راح وطلّ يلقى لونجة مع لولاد، ذبح البقرة وشلحها وملحها، خرج لحنش كلا اللحم وعطش راح يحوس على الماء، جبدوا لونجة هي وأولادها، وحْكاتلهم كيفاه صرا هاذ الشي كامل ... حكم السلطان العورة ذبحها ونحالها راسها، وطيّبها وبعثها لمّاليها وداروا راس العورة في شكارة وركّبوها فوق الدابْ باش يوصلو ليمّاها، عرضت يماها الجيران باش ياكلوا اللحم وتفرح وتقول سعدي ببنتي بعثتلي اللحم، والحمار يهدر ويقول، تيس تيس راس العورة في التّلّيس، سمعاتو يماها وراحت للتّلّيس ولقات راس بنتها عرفت بلّي الشر اللي دارتو خلصاتو.